

الرياضة البدنية عند العرب

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا - القاهرة

الرياضة البدنية عند العرب

تأليف

محمد كامل علوى

ليسانسيه فى التربية والآداب
دبلوم فى علم الصحة والتدليك والتربية البدنية من اسكتلندا
دبلوم فى التربية البدنية من السويد
شهادة الجدارة وفن التدريس والمدالية الفضية فى السباحة من انجلترا
والحائز على الشارة الخشبية (Wood Badge) فى الكشافة
من جلول پارك (لندن)
مفتش عام التربية البدنية بوزارة المعارف

الناشر

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا - القاهرة

فهرس الكتاب

صفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

صفحة

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

كلمة صاحب المعالى الشيخ عبد الله ابراهيم الفضل
وزير المملكة العربية السعودية

لقد لعبت الرياضة دوراً هاماً فى حياة كل ولد وكل بنت وكل رجل وامرأة. على أن العرب كانوا فى صدر الإسلام، ولا يزالون إلى اليوم، مدفوعين إلى مزاولة رياضتهم لأنهم على يقين أن العقل السليم فى الجسم السليم، وكانوا يتعلمون الرياضة ويزاولونها منذ الطفولة، وربما لازموها حتى المشيب. وعلاوة على ذلك فإن الرياضة قد احتلت مكاناً رفيعاً لديهم فى أوقات فراغهم كمصدر للصحة والنشاط.

وفى هذا الكتاب الفريد استطاع المؤلف أن يحيط بالموضوع بشكل بديع، فى مهارة الواثق، وقدمه بشكل متقن واضح.

فإلى أولئك الذين يهتمون ويعجبون بالرياضة يسرنى أن أوصى بهذا الكتاب القيم الثمين، وخصوصاً وأن هناك شعوراً منذ زمن طويل بفراغ الدائرة العربية التهذيبية من مثل هذا السفر.

١٠ من صفر سنة ١٣٦٧
٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٧

المندوب فوق العادة
والوزير المفوض للمملكة العربية السعودية

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسائر الأنبياء والمرسلين .

وبعد ، فقد لبثت الحضارة العربية عمرا مباركا ، تؤدى رسالتها فى النهوض بالبشرية وإسعاد حياتها ، ولم يتأذن الله بزوالها وإحلال الحضـــارة الحديثة محلها ، حتى أبلت فى هذه السبيل بلاء حسنا . على أن الحضـارة الحديثة قـــد اقتبست منها ، وأخذت أخذها فى كثير من النواحى .

وقد حرص كثير من العلماء والباحثين على دراسة آثار الحضـارة العربية ، لإحياء مواتها ، واستخراج ذخائرها ، والكشف عن جهود بناتهـــا فى خدمة الثقافة والتربيب ، لكنهم قصروا دراساتهم على الجانب العقلى وحده ، كأن القوم لم يكونوا يعرفون التربية البدنية أو لم يكونوا يقدرونها حق قدرها .

ولقد يكون السكوت عن هذا قبل اليوم سائغا ، أما الآن فلا . فقد اجتمعت كلمة الدول العربية ، وانضوت تحت لواء جامعتها العتيدة ، تتعـاون على الخير ، وتتخذ الأهبة لاستحياء مجد الآباء ، ونشر آثارهم فى شتى نواحى النشاط .

فاستخرت الله ، واعتمدت عليه فى دراسة الرياضة البدنية عنـــد العرب ، استدراكا لفائت ، ومشاركة فى حاضر . فانطلقت فى بطون الأسفار ، جادا فى البحث والتنقيب ، وبدأت بالعصر الجـــاهلى ، وفى الجزيرة العربية طبعا ، ثم انحدرت إلى سائر العصور فى سائر الأقطـار ، ثم عدت من هذه الرحلة البعيدة الشـــاقة ، ملء اليدين ، زاخر الوفاض .

ولست أدعى أنى بما فعلت قد أوفيت على الغاية ، ولكنى أستطيع أن أقول فى ثقة واطمئنان أنى حاولت محاولة بذلت فيها كل ما أملك من جهد وعناية .

وانى لأرجو وقد عززت كتابى عن التربية البدنية من ناحيتى العلاج ووظائف الأعضاء — بهذا الكتاب عن الرياضة البدنية عند العرب — أن أكون قد أسديت خدمة إلى التربية البدنية ، التى يرعاها جلالة الفاروق العظيم ، فيما يرعى من مقومات النهضة الحاضرة .

حفظ الله الملك ، وأيد عرشه ، وأعاننا على أداء كل ما يقتضينا الإخلاص والوفاء للملك والوطن من واجبات ، إنه نعم المعين .

المؤلف

محمد كامل علوى

الباب الاول

١ – الطرد (١)

أباح الله تعالى الصيد فى آيتين من القرآن ، الأولى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » والثانية قوله تعالى « قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين » . أى وصيد ما علمتم من الجوارح .

كان الطرد من أهم ضروب الرياضة عند العرب ومن أحبها إلى نفوسهم، سواء فى العصر الإسلامى أو فى العصر الذى قبله . ومما حدا بهم إلى هذه الرغبة وحفزهم إلى ممارسة هذه الرياضة طبيعة بلادهم وطريقة معيشتهم التى حتمت عليهم التدرب الدفاع عن النفس والحصول على العيش . وكثيراً ما كانوا يفخرون بقوتهم البدنية وببطشهم وصولتهم وشجاعتهم ، يشهد بذلك الكثير من أشعارهم فى عصرهم قبل الإسلام .

وعلى كل لم تكن بلاد العرب فى يوم ما موطناً مناسبا للحيوانات الضخمة ذات الجلد الغليظ . فقلة الماء الجارى فى تلك البلاد جعل وجود التماسيح أمراً مستحيلا . ومن المقطوع به أن الحيوانات البرية لم تكن بصحراء شبه الجزيرة . لكن العرب عرفوا الفهد ، وذكروا الأسد فى الكثير من أشعارهم فى عصر ما قبل الإسلام ،وهذا دليل على وجود هذا الحيوان فى وقت ما فى تلك البلاد .ومما

---

(١) الطرد : بطاء مشددة مفتوحة فراء مفتوحة : الصيد .

لا ريب فيه أن هذا الحيوان لم يكن وجوده إلى حد الكثرة ، يشهد بذلك ما جاء فى أشعارهم فإنه ولو أنهم ذكروا الكثير من الوصف الرائع فى منازلة الآساد ومقاتلتها وما كان يبديه رجالهم من شجاعة فى هذا الصدد إلا أن مثل هذه المنازلات كانت قليلة الوقوع فضلا عن ندورتها وما كان يصحبها من أخطار . ويغلب أن الأسد الآن قد انقرض من جميع أنحاء شبه الجزيرة . أما حيواناتهم فهى النمر المخطط والضبع والذئب وابن آوى والقط البرى ومن بين الطيور الجارحة النسر والصقر والباز .

أما أسلحة العربى فكانت فى بادىء الأمر مقصورة على الأحجار الصوان الكثيرة فى بلاده ، ثم خطا العربى فى سلاحه خطوة أوسع فاستخدم القوس والنشاب والحربة ذات الرأس المصنوعة من حجر الصوان . بعد ذلك أتى عصر المعادن فعرف البرنز والحديد وأصبح أهل اليمن على علم بصناعة المعادن ومنها الحديد .

وبكشف المعادن أصبحت أشكال الأسلحة متعددة متنوعة ، فصنعت منها المدى والخناجر والسيوف بأشكالها المختلفة . وقد نعت العرب جميع هذه الأسلحة بنعوت مختلفة ووصفوها بصفات متعددة نراها بكثرة مدونة فى أشعارهم .

وشاهد العرب العائشون فى الحيرة على حدود العراق وعرب غسان على حدود فلسطين أنواعا من الحيوانات البرية لم يرها العرب القاطنون بالبلاد نفسها .

ولما جاء الإسلام أوحى إلى العرب بدافع الشجاعة والإيمان وقوة العقيدة فتح البلاد المجاورة ففتحوا العراق وإيران ومصر وسوريا وشمال أفريقيا وبعض الأقاليم المجاورة للهند ، فرأوا فى هذه الأصقاع أنواعاً من الحيوان لم يشاهدوها أو يعرفوها من قبل وأدركوا ما كان للطرد من القدر العظيم فى معظم هذه البلاد ، فكل ما رأوه من آثار الأشوريين البارزة على الأحجار دلتهم على أن الصيد كان

الرياضة الممتازة للملوك ، وفيه كانت تتاح لهم الفرصة لإظهار بطولتهم وشجاعتهم سواء أكان يمارس بالسيف أم بالحراب أم على ظهور الخيل أم بمساعدة كلاب الصيد أم بالسهام التى تسدد من مركبة تجرها الخيل ، على حين كان أتباع عديدون مترجلين يترقبون ليسددوا إلى الفريسة الطعنة القاضية . وكانت تستخدم أيضاً الشباك فى صيد جميع أنواع الحيوانات بما فيها الظباء ، كما كان يستخدم الحبل فى صيد حمار الوحش .

من هذا يظهر لنا أن الإنسان منذ ذلك الوقت السحيق اخترع جميع ضروب الرياضة التى سبق ذكرها ولم يترك شيئاً لمن أعقبوه سوى إدخال القليل من التغيير فى الطريقة أو التفاصيل .

نعم : إن كان الميل للصيد قد ضعف وقل فى البلاد التى فتحها العرب إبان الغزو فإنه لم يزل يمارس وكان العرب مشغوفين وتواقين لمعرفة طرق جديدة لمطاردة الحيوانات ، فكانوا بطبيعتهم يتطلعون للوصول إلى المكانة الأولى فى هذا الميدان حتى يبرهنوا — وهم أمة فاتحة — على شجاعتهم وسبقهم وطول باعهم فى ذلك تاركين الأعمال المنزلية وشئون الزراعة للشعوب المحكومة الذين كانوا يعتبرون نوعاً من الأداة لمباشرة مصلحة المسلمين .

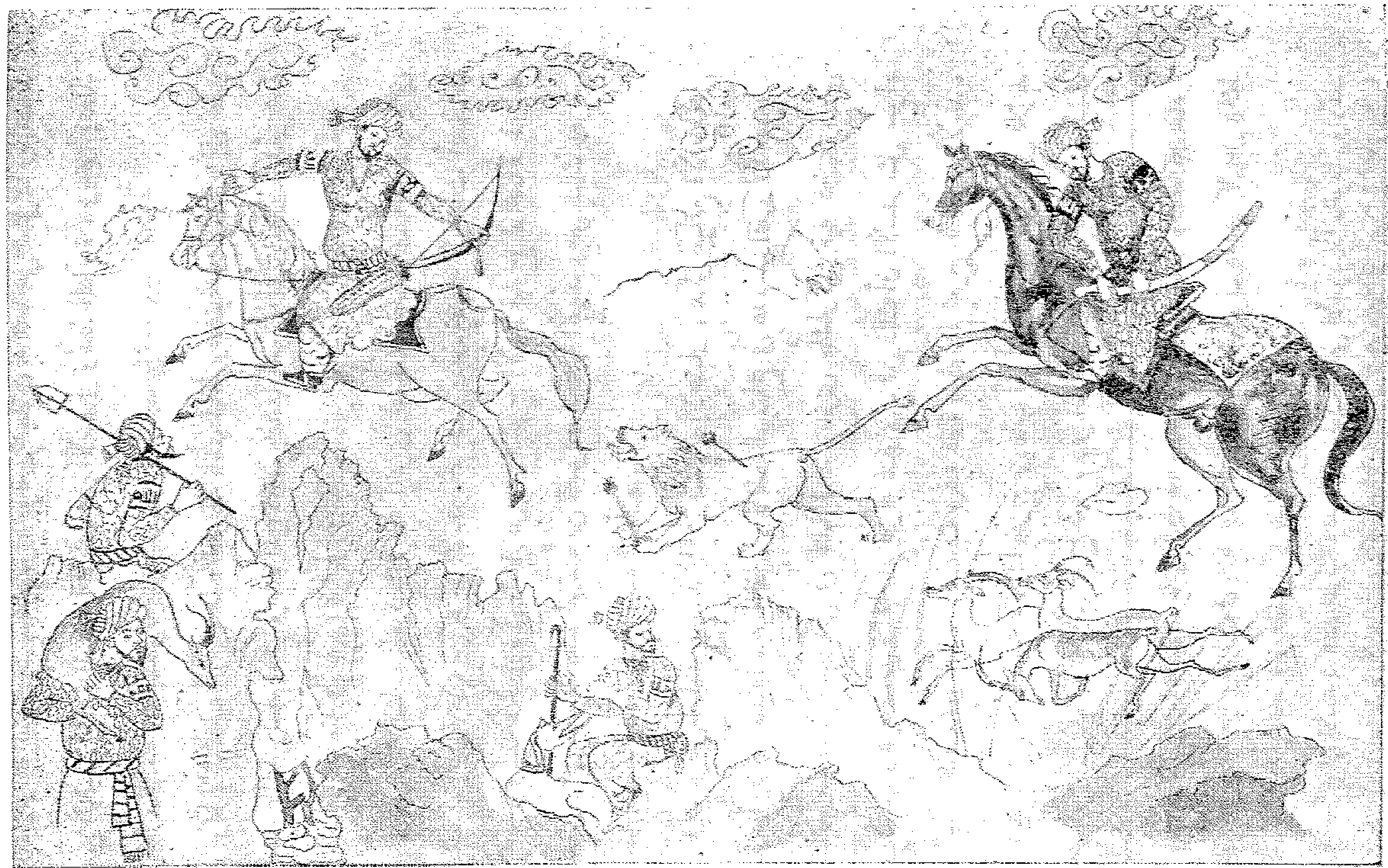
ومن طرق الطرد التى ابتدعها العرب أن الواحد منهم كان يمتطى حصاناً مدرباً لمقابلة الأسد ، وعند مايهجم الأسد عليه يسرع فى الجرى بحصانه أمامه لأنه أسرع منه حتى إذا ماأحس بأن الأسد قد أعياه التعب من سرعة الجرى فإنه فى هذه الحالة يدور حوله بحصانه وينتظر حتى يقترب الأسد منه وعند ذلك يسدد إليه السهم فى قدمه — شكل (١) — فيصير الأسد فى حالة تألم ولكنه على الرغم من ذلك يستمر فى متابعة الفارس والفارس يواصل تسديد السهام إليه من مسافات تقل تدريجاً حتى تخور قواه ويصرع فى النهاية .

وتدريب الخيل لملاقاة الأسد أمر ميسور ، فكانت توضع السباع فى أقفاص بقصور بعض النبلاء وكان يوضع طعام الخيول المراد تدريبها أمام هذه الأقفاص ، على حين آخرون كانوا يدربون خيولهم بوضع دمية من الخشب على شكل أسد ومغطاة بجلد أسد حقيقى بقرب أسطبل الخيول وعلى مسافة تمتد فيها حاسة شمها وتظل مدة يألف الخيل فيها منظر الأسد ورائحته . عند ذلك تحرك هذه الدمية فى جهات مختلفة بواسطة حبل رفيع موثق فى أطرافها ورأسها ويقوم بتحريكه رجل مختف عن الأنظار وراء شجرة أو ما أشبه . بعد ذلك يمتطى هذا الحصان بعيداً فى الخلاء ويدرب على الاقتراب من هذا الأسد « الدمية » بحيث تكون المسافة بين هذه الدمية والفارس راكب الحصان طول حربة ، وفى بعض الأحيان ينفخ الرجال فى أبواق لتحدث أصواتاً تشبه زئير الأسد وذلك لتعويد الحصان زئيره . والحصان العربى ليس مشهوراً بجماله الجسمانى فقط ولكنه مشهور أيضاً بذكائه وقوة تحمله .

وكان العرب إذا آنس منهم راجلان أو فارسان — شكل (٢) — القدرة على صيد الأسد يخرجان إلى الخلاء وهما على قلب رجل واحد فيعمل أحدهما على إيقاع الأسد فى الشرك ويكون الآخر على مقربة منه وإلى جانب الأسد يحاول أن يطعنه فى الأجزاء الخلفية من جسمه . فبينما يهجم الأسد على مطارده يبادر الصائد الآخر بقطع أوتار ساقه حتى يتسنى لرفيقه أن يطعنه برمحه أو يضربه بسيفه فيقضى عليه ، وكان جانب الأسد الأيسر هو الهدف دائماً حتى يتسنى للرمح أن يجد له منفذاً إلى قلبه . وإذا وثب الأسد على الصائد الأول عند ملاقاته فإن الصائد الثانى يبذل قصارى جهده لتعميته وذلك بطعنه فى عينيه طعنة يصبح بعدها من السهل القضاء عليه . وهناك طريقة أخرى لصيد الأسد تتلخص فى أنه كان يراقب الأسد عدد كبير من الصيادين حتى ينام بعد الظهر ، وبعد ذلك يتقدمون عليه



شکل ۱



شکل ۲

صامتين والحراب فى أيديهم فيلتفون حوله ويحيطون به تماماً على شكل دائرة.عندئذ يعطى الرئيس إشارة لتسديد الحراب على الأسد فى وسط الدائرة ، وحين إعطاء الإشارة الثانية منه يطعنونه بحرابهم .

ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة كانت شاقة ومضنية جداً تحتاج إلى حذر شديد وطاعة ونظام حكيم وهذه المزايا كان ينقصها العربى الذى كان أكثر محبة ووفاء لقرنائه منه طاعة وانقياداً لرؤسائه .

وقد روى كتاب العرب طريقة أخرى لصيد الأسد وهى أنه كان يكمن الصائد فى كمين قريب من عرين الأسد . ثم يحاول أن يخدعه بإحداث أصوات مزعجة أو برشقه بالحجارة فى داخل عرينه . فيخرج الأسد فيلوح له الصائد بذراعه اليسرى وهى ملفوفة بعدة لفائف من الصوف فيعضها الأسد وهو بذلك يعرض جسمه للصائد فيطعنه هذا الطعنة النجلاء .

وقد عرض أسامة بن منقذ (١) فى كتابه « الاعتبار » لذكر طبائع الأسد على مادرسها إذ كان صياداً ماهراً فقال « قاتلت السباع فى عدة مواقف لاأحصيها . وقتلت عدة منها ماشاركنى فى قتلها أحد ، سوى ماشاركنى فيه غيرى ، حتى خبرت منها وعرفت من قتالها مالم يعرفه غيرى . فمن ذلك أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله مالم يجرح فحينئذ هو الأسد ، وفى ذلك الوقت يخاف منه . وإذا خرج من غاب أو أجمة وحمل على الخيل فلا بد له من الرجوع إلى الأجمة التى خرج منها ، ولو أن النيران (٢) فى طريقه . وكنت

---

١ — أسامة بن منقذ : عاش مابين ١٠٩٥ و ١١٨٨ ميلادية . وقد كان شاعراً ومحارباً وصياداً ماهراً وقد نزل فى بلاط نور الدين وصلاح الدين فى دمشق كما حل ببلاط الخلافة الفاطمية فى القاهرة وببلاط زنكى بالموصل .

٢ — نيران الأسد : كانت العرب توقد نارا يهولون بها على الأسود إذا خافوها . والأسد إذا عاين النار حدق إليها وتأملها فيشغل عن المارة . وتسمى هذه النار نار التهويل .

أنا قد عرفت هذا بالتجربة ، فتى حمل على الخيل وقفت فى طريق رجوعه ، قبل أن يجرح . فاذا رجع تركته إلى أن يتجاوزنى وطعنته ، فقتلته .

أما الفهد والفيل فكان صيدهما معروفاً عند العرب ، وكان أصعب من صيد الأسد ، إذ كان يتطلب من الصياد أن يكون أكثر حذراً وحزماً .

وقد قال أبو نواس وهو ينعت الفهد :ـــ

لما طوى الليل حواشى برده — عن واضح اللون نقى ورده
ناديت فهادى برد فهـــده — نداء من جاد له بوده
فجاء يزجيه على سمنـــده — أصفر أحوى بين بين ورده
واحد قد فى اكلال قده — قلت ارتدته فانثنى لزنده
ماكان إلا نظرة من بعده — ونظرة أخرى بأدنى جهده
حتى أرانا العين دون ورده — مطرداً يحســـو يشفرى عده
فانصاع مرقداً على مرقده — كأنه حين انفرى فى شده
وامتد للناظر فى مرتده — كوكب عفريت هوى لعده
كما انطوى العاقد من ذى عقده — خمسين عاما بيدى معتـــده
حتى احتوى العين ولما يرده — فنحن أضياف حسامى غمده
فيما اشتهينـا من ذوات طرده

وكان صيد الذئب والثعلب معروفا عند العرب ، ولكنهم كانوا أكثر عناية بصيد الضبع لما كان ينسب إلى مخه ولسانه من خواص تتصل بأعمال السحر .

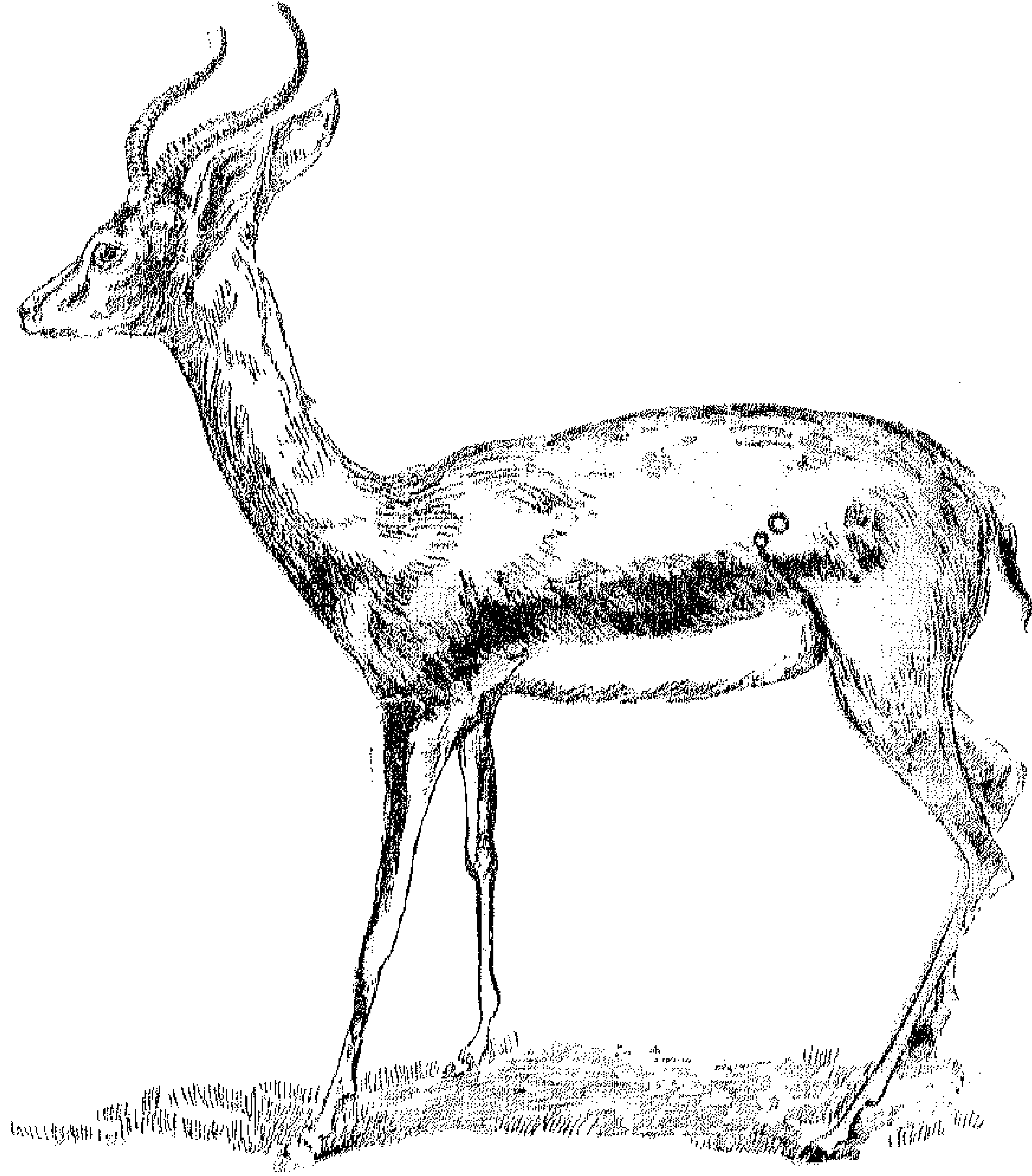
وسنحدثك الآن فى الصيد الذى قام به العربى وأنواع الحيوانات التى كان يأكل لحما . فأهم هذه الأنواع كلها الغزال والظبى (شكل ٣) والثور البرى والحمام والدراج (شكل ٤) . فنجد صور جميع هذه الحيوانات ممثلة على قطع من الرخام، وعلى ألواح من الخشب ، وعلى قطع من العاج ، وعلى الصفائح البرنزية للأبواب

الخشبية ، والمسارج النحاسية ، وعلى الصوانى ، والموائد السداسية ، والمباخر . وعلب الجـــواهر ، والصناديق ، وعلب الأقلام ، والفنجانات ، والأطباق ، والأقداح ، والقراميد ، والأوانى الخزفية ، والمنسوجات ، والسجادات ، وعلى الزجاج والقطع الفنية من البلور .

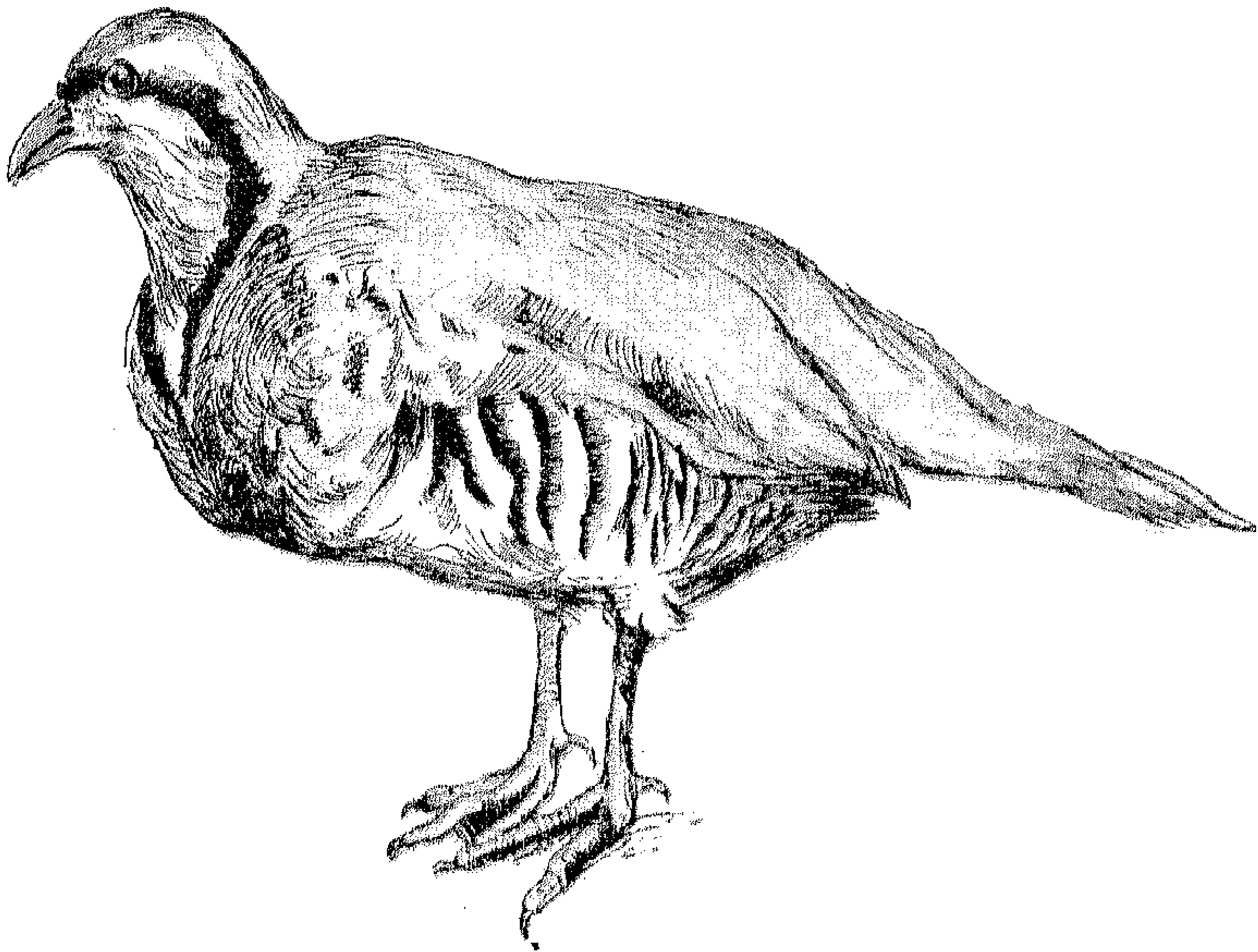
وقد روى العرب كثيراً من القصص عن مشاهير الصائدين . فمن ذلك : أن أحد ملوك السلاجقة فى القرن الحادى عشر الميلادى كان كلفاً بالصيد حتى قيل إنه صاد فى يوم واحد من الحيوانات مابلغ حوالى عشرة آلاف . وفى هذا اليوم تصدق بعدد من الدنانير يعادل عدد هذه الحيوانات التى اصطادها قائلا : « إنى أخاف الله العلى القدير لأنى أزهقت أرواح هذه المخلوقات بدون أن يستميلنى إلى ذلك داعى الجوع » . وبعد ذلك اعتاد أن يتصدق بدينار عن كل حيوان يصطاده . وقد روى عنه أنه خرج ذات يوم للصيد فقتل عدداً كبيراً من الحمير الوحشية فجعل من حوافرها وكذا من قرون الغزال الذى قتله فى هذه البقعة كومة عالية على شكل تل ، وظل هذا التل قائماً حتى القرن الثالث عشر الميلادى وكان يعرف باسم برج القرون .

كان للعربى قدرة عجيبة فى اقتفاء آثار القدم على الأرض ، وقد كان له من حدة حاسة الشم ماساعده ومكنه من تتبع الفريسة بمهارة كما يتتبعها كلب الصيد تماما . وكان له من حدة البصر ماساعده على ملاحظة أقل حركة قد تحدث فى أوراق شجرة بعيدة المسافة عنه . وقد روى كتاب المسلمين فى العصور الوسطى ، أن هذه المميزات كانت تكون جزءا هاما من علوم العرب قبل الإسلام .

وقد أظهر العربى خفة ورشاقة عظيمتين فى رمى السهام وإصابة الفريسة بالأحجار وهذه كانت ترمى إما باليد أو « بالمقلاع » ويندر جداً أن يطيش سهمه أو تخيب رميته فى صيد صغار الطيور بهذه الطريقة .



الظبي — شكل ٣



الدراج — شكل ٤

وينبغى ألا يغيب عن أذهاننا أن طبيعة البلاد الوعرة وقلة الفرصة التى تتاح للعربى أن يسعى ويكد وأن ما هو فيه من راحة وفراغ فى أثناء وجوده مع غنمه وإبله كل هذا جعله يمعن النظر ويفكر فى أحوال الحيوانات وطرق معيشتها حتى تمكن من الكشف عن وجود الحيوانات بسهولة مع تفادى أكبر خطر يمكن قد يحدث له .

ولكن هذه القدرة نفسها قد حفزته أحيانا إلى المخاطرة بنفسه ومغامرته بحياته فى سبيل صيد الحيوانات الكبيرة الذى كان يتطلب فى القيام به بمجموعات كبيرة من العرب وقد كان يشترك فى ذلك أحياناً مضارب خيام أو قرية برمتها . ولسوء الحظ لم يرو لنا المؤرخون من العرب إلا النزر اليسير من هذه الرحلات للصيد ، ولو أنه وصل إلى علمنا أن جمعيات منظمة للصيد كانت تعقد من الخلفاء والأمراء والسلاطين وكبار الموظفين .

وكان صيد النعام من أحب ضروب الرياضة عند العرب ، فاصطادوا الكثير منه وأكلوا وصنعوا من ريشه زينة لهم ، كما استخدموا أوتاره وعظامه فى عمل السهام ورءوس الحراب .

وكان صيد النعام من أشد أنواع الطرد وأكثرها جهداً ، فهو يتطلب قوة عظيمة وبنية قوية لمقاومة الإجهاد والفقدان الناجمين من المطاردة فى حالة السرعة العظيمة فى مدة طويلة من الزمن وبخاصة تحت تأثير الشمس المحرقة المضنية لكل من الإنسان والحصان . وكان من الضرورى تدريب الخيل على الجرى أوقاتاً طويلة فى مثل هذه الحالة الشاقة ، وكانت الخيل لاتعطى نصابها العادى من العلف طوال مدة تدريبها .

وظل الصيد على ظهور الخيل غير معروف عند العرب حتى القرن العاشر قبل الميلاد حينما أهدى الملك سليمان إلى وفد من وفود العرب حصاناً يسمى « زاد

الركب ، وإليه تنسب جميع فضائل الخيول العربية الأصيلة . وقد استجلب الحصان قديماً إلى شبه الجزيرة ثم استؤنس فى العصور الأولى الماضية فى شرق بحر قزوين بوساطة رعاة البدو فى تلك الأنحاء ثم جلبه الحيثيون فيما بعد إلى غرب آسيا قبل الميلاد المسيحى بألفى سنة ومن سوريا جلب إلى شبه جزيرة العرب قبل عصرنا هذا. ومن المعروف أن الخيل كانت نادرة فى بلاد العرب فى عهد النبى ، وكان قليل من الزعماء والقادة يملك أكثر من حصان واحد ، وقد عمل النبى صلى الله عليه وسلم على التشجيع على تربيتها وتكثيرها .

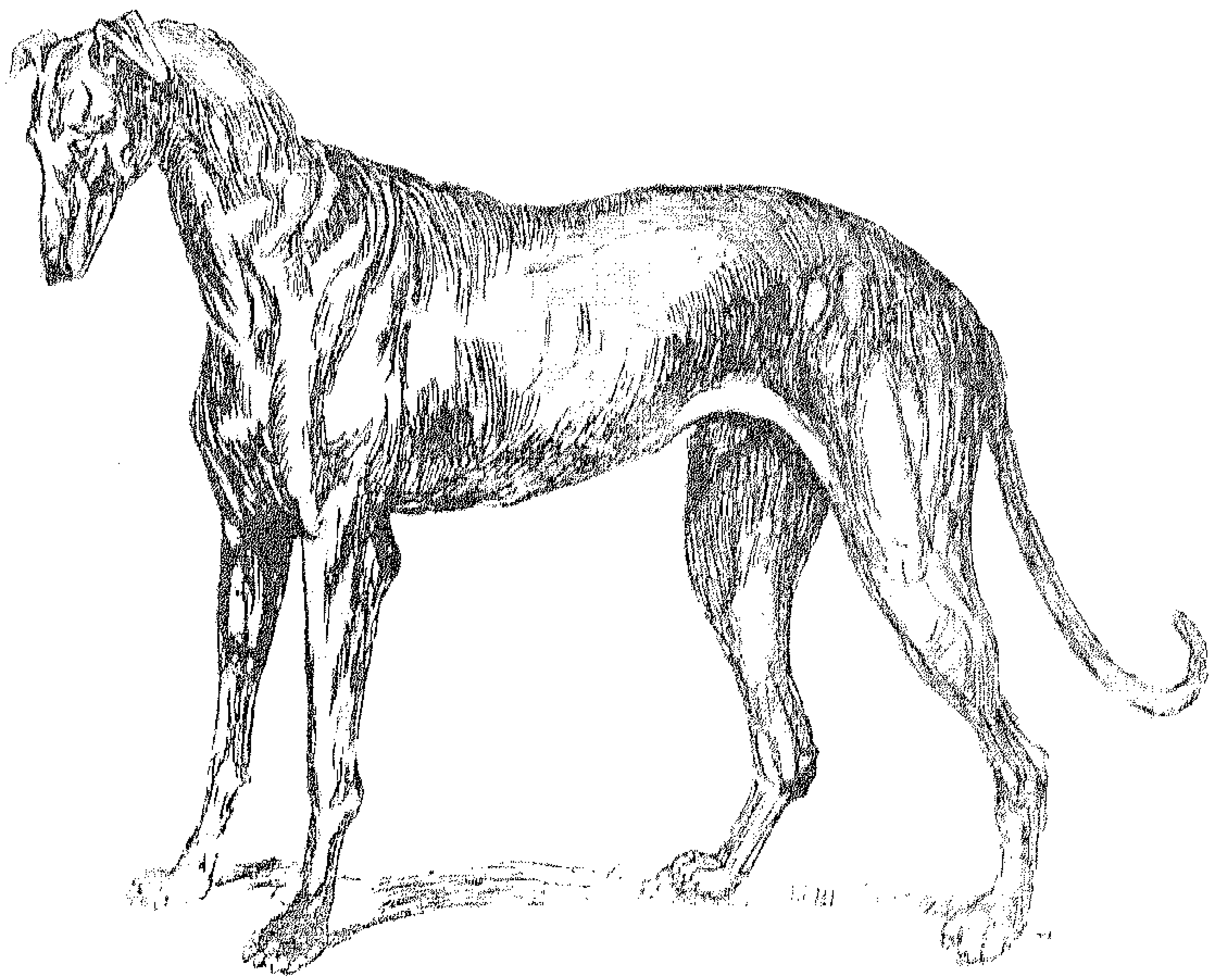
ولم يكن العرب حتى القرن السابع الميلادى يعرفون قواعد الصيد كما هى معروفة اليوم ، فكانت طريقتهم مطاردة الفريسة وهم على ظهور الخيل حتى يدركوها ثم يطعنوها بحرابهم عدة مرات وفى النهاية يطعنونها الطعنة القاضية .

وكان العرب يستخدمون كلاب الصيد فى الطرد كما هو مدون فى بعض أشعارهم قبل الإسلام حيث يصفون مادار من عراك بين ظبى وكلبين من هذه الكلاب .

وقد درب العرب الكلب السلوقى (شكل ٥) (نسبة إلى بلدة سلوق من أعمال اليمن) على الطرد . وكانت طريقتهم فى ذلك أن يلثموا ثعلباً بحيث يصبح عاجزاً عن إحداث ضرر أو أذى ثم يطلقون عليه ذلك الكلب السلوقى الصغير فيمزقه إرباً إرباً وقد شجعه على ذلك عدم استطاعة الثعلب وهو فى هذه الحالة على العض.

وقد وصف أبو نواس هذا النوع من الكلاب فى إحدى أراجيزه قائلا :

أنعت كلباً ليس بالمسبوق ... مطهماً يجرى على العروق
جاءت به الأملاك من سلوق ... كأنه فى المقود الممشوق
إذا عدا عدوة لامعوق ... يلعب بين السهل والخزوق
يشفى من الطرد جوى المشوق ... فالوحش لو مرت على العيوق



شکل ٥

أنزلها داميـــة الخلوق ذاك عليه أوجب الحقوق

لـكل صياد به مرزوق

وقال ينعته :

أعددت كلباً للطراد فظاً إذا غـدا من نهم تلظى
وجاذب المقود واستلظى كأن شيطاناً له ألظا
يـكظ أسراب الظباء كظا حتى تراها فرقاً تشظى
يحوز منها كل يوم حظاً حتى ترى نجيعها مكتظا

وكثيراً ماشغف المسلمون بصيد هذه الحيوانات والقبض عليها حية بحيث يستطيعون الاحتفاظ بها فى حدائقهم وكان هذا معروفاً عن خمارويه الأمير الطولونى كما كان مأثوراً عن بعض خلفاء الدوله الفاطمية .

وكثيراً ما كان العرب يستخدمون فى الطرد الطيور الجارحة مثل الباز والصقر. وقد وصف أحد كتاب العرب طريقة تدريبهم كما يأتى : —

« كان يمسك الباز بوضع شبكة على ارتفاع قليل من الأرض ، ثم يؤتى بيمامة صغيرة أو بطائر يماثلها يربط بالأرض تحت الشبكة ، فلا يكاد الباز يلمح اليمامة حتى ينقض عليها كالبرق الخاطف ولـكن سرعان مايتعرقل فى الشبكة ويقع فى الشرك . عند ذلك يخرج الصائد من مخبئه القريب من الشبكة ويبادر بتغطية رأس الباز برفراف من الجلد ليمنعه من الرؤية ثم يربطه فى إحدى رجليه برباط من الجلد، وبعد ذلك يضعه فى غرفة مظلمة ويجوعه أياماً يعطيه بعدها قطعاً من اللحم ويعوده تدريجاً على أن هذا اللحم لايعطاه إلا بعد أن يسمع صوتاً معيناً يـكون بعد سماعه تناول طعامه ، ويصبح أن يبقى الباز فى النور مادام رأسه مغطى . ولـكى يتم تدريب البـــاز يؤتى به إلى الفضاء ويوثق حبل بالرباط الجلد الذى فى رجليه ، ثم يطلق وراء حمامة بعد أن يرفع الغطاء عن رأسه ، وعندما يمسك الحمامة يدعوه صاحبه فيعود فإن عاد إليه فبها، وإلا فإن صاحبه يشد الحبل الموثوق به ويعطيه قطعة

من اللحم ليأكلها ، وبهذه الطريقة كان يدرب الباز على عدم تمزيق الفريسة . وعند الصيد يحمل مطبع الباز الباز ويقيه بكفوف من الحديد ليس فيها مواضع إلا للإبهام ولباقى الأصابع معاً ويظل رأسه مغطى حتى إذا ما أراد صاحبه أن يطلقه للصيد رفع الغطاء عن رأسه فقط . وقد روى المقريزى أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد شجع تدريب الباز وتربيته وأن الأمراء كانوا يقتنون عدداً كبيراً منها (شكل ٦) .



شكل ٦
الأمير البازيار (مدرب الباز)

وكان يخرج الفرسان من الملوك للصيد وبصحبتهم مطبعو البزاة فكان يجثم كل باز وهو مغطى الرأس أمام كل فارس (شكل ٧) وكان يحمل قفص من الحمام كمطعم أمام كل واحد منهم على فرسه . وفى لحظة معينة يطلق المطبعون بزاتهم فتطير فى الفضاء على ارتفاعات مختلفة راسمة دوائر واسعة فيـــه فاذا ما لمح الباز



شكل ٧

طائراً بين الأشجار فإنه ينقض عليه ليمسكه ، فإذا أفلت منه فإنه يطير بسرعة فوقه بحيث يكون قريباً من الفريسة ماأمكن حتى إذا ماوجد نفسه فى وضع يمكنه من إمساكه إنقض عليه ثانية وحينئذ يلحق الصائد به فيقتل الطائر ويضعه فى جعبته.

وقد روى أسامة بن منقذ فى كتاب الاعتبار عن والده وكان صياداً ماهراً مانصه : —

« وكان يتكلف فى تسيير قوم من أصحابه إلى البلاد لشراء البزاة . حتى أنه أنفذ إلى القسطنطينية من أحضر له بزاة منها. وحمل الغلمان معهم من الحمام ماظنوه أنه يكفى البزاة التى معهم فتغير عليهم البحر وتعوقوا حتى فرغ مامعهم من طعم البزاة . فاضطروا إلى أن صاروا يطعمون البزاة لحم السمك . فأثر ذلك فى أجنحتها وصار ريشها ينكسر ويتقصف . فلما وصلوا بها إلى شيزر (١) كان فيها بزاة نادرة. وفى خدمة الوالد بازيار (مطبع الباز) طويل اليد فى إصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنائم فوصل أجنحتها واصطاد بها . وقرنص بعضها عنده » .

وقد روى فى موضع آخر مانصه : —

« وقد شاهدت صيد ملك الأمراء أتابك زنكى ، رحمه الله. وكان له الجوارح

---

(١) بلد على نهر العاصى على بعد عشرين ميلا إلى الشمال الغربى من حماة بسوريا أو على مسافة ساعة منها بالسيارة وهى وطن بنى منقذ وفيها عاشوا فى قلعة حصينة من قلاع العصور الوسطى ، شادتها يد الطبيعة وأحكمتها . تلك القلعة هي قلعة « شيزر » (شكل ٨) التى نشأت الفرسان من بنى منقذ الكنانيين .

وتقع بلدة شيزر على هضبة سماها مؤرخو العرب « عرف الديك » يحيط بها نهر العاصى من ثلاث جهات .فهى شبه جزيرة حفرت الخنادق حولها فى الصخر . وكانت هذه القلعة هم الغازين لسوريا إبان الحروب الصليبية .

وذكرها أمرؤ القيس في قوله :

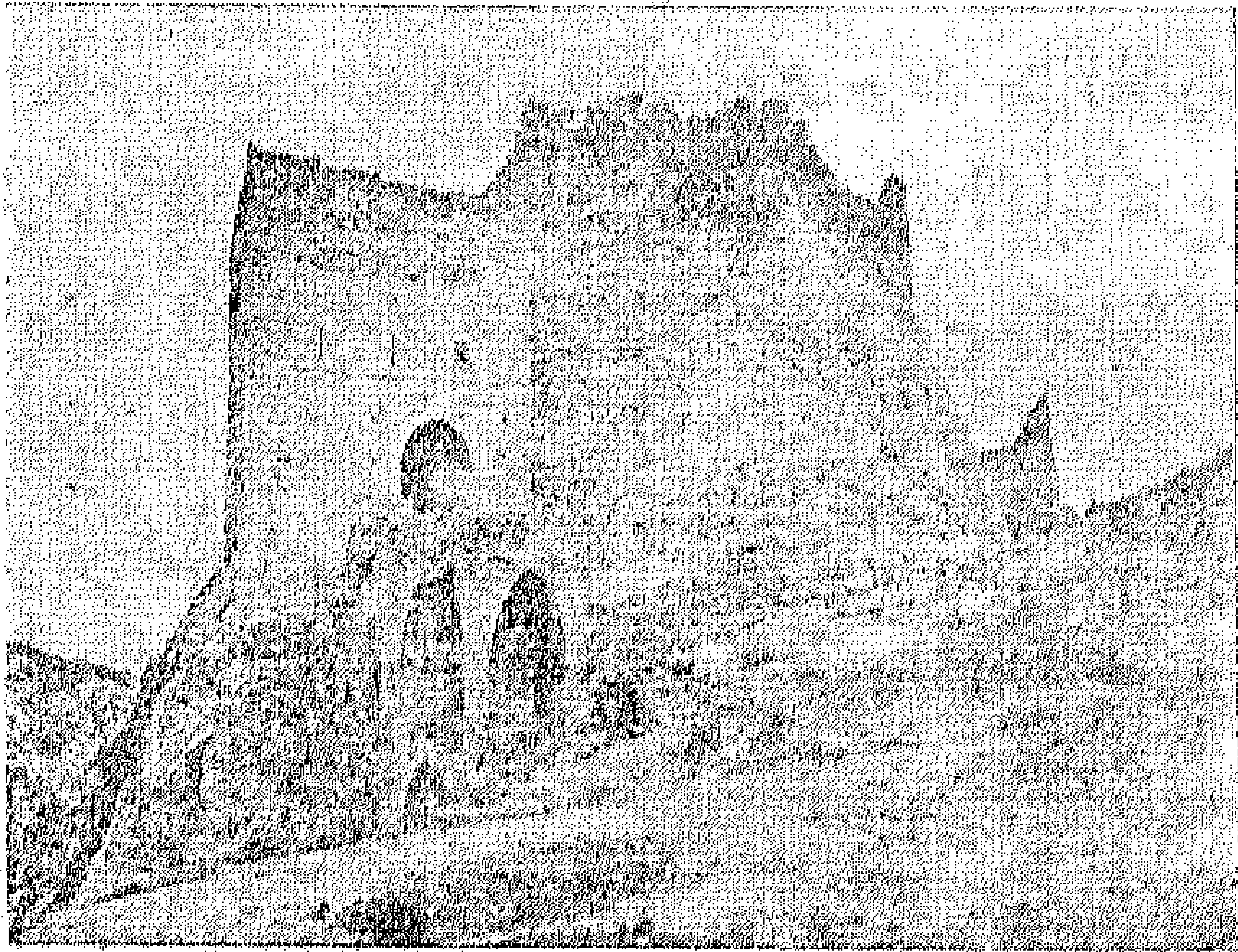
تقطع أسباب اللبانة والهوى ... عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

الكثيرة . فرأيته ونحن نسير على الأنهار فيتقدم البازداريه بالبزاة ترميها على طيور الماء وتدق الطبول كجارى العادة فتتصيد منها ماتصيد وتخطىء ماتخطىء »

الطرد فى مصر

وحكى عن الصيد فى مصر أنه كان للحافظ لدين الله عبد المجيد أبى الميمون ، جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين البحرية . فكان لها زمام يخرج بها فى الأسبوع مرتين ، وأكثرهم رجالة على أيديهم الجوارح . وقد روى عن ذلك مانصه :ـ

« فكنت أركب يوم خروجهم إلى الصيد لأتفرج بنظر صيدهم . فمضى الزمام إلى الحافظ وقال له (إن الضيف فلاناً يخرج معنا) ـ كأنه يستطلع أمره فى ذلك . فقال (أخرج معه يتفرج على الجوارح) . فخرجنا يوماً ومع بعض البازيارية باز مقرنص (سقط ريشه) أحمر العينين ، فرأينا كراكى . فقال له الزمام (تقدم ارم عليها الباز الأحمر العينين) فتقدم فرماه ، وطارت الكراكى فلحق منها



شكل ٨

واحداً على بعد منا لحطه . فقلت لغلام لى على حصان جيد (ادفع الحصان إليه وانزل فاغرز منقار الكركى (شكل ٩) فى الأرض واكتفه واترك رجليه تحت رجليك إلى أن نصلك) . فمضى وعمل ما قلت له . ووصل البازيار فذبح الكركى (١) وأشبع الباز .

فلما دخل الزمام حدث الحافظ بما جرى وما قلته للغلام وقال (يامولانا : حديثه حديث صياد) . قال : (وأى شىء شغل هذا إلا القتال والصيد؟) . وكان معهم صقور يرسلونها على البلاشين (٢) وهى طائرة . فاذا رأى البلشون الصقر دار وارتفع . والصقر يدور فى جانب آخر حتى يرتفع على البلشون . ثم ينقلب عليه يأخذه .

وفى تلك البلاد طيور يسمونها البُج (٣) مثل النحام (شكل ١٠) يصيدونها أيضاً . وطيور الماء فى مقطعات النيل سهلة الصيد . والغزال عندهم قليل . لكن فى تلك البلاد بقر بنى إسرائيل . وهو بقر صفر قرونه مثل قرون البقر الأهلى وهو أصغر منه يعدو عدواً عظيما . وتخرج لهم من النيل دابة يسمونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان ، وهى جرداء مثل الجاموس . لها أنياب طوال فى فكها الأسفل ، وفى فكها الأعلى خروق لأنيابها تخرج رءوسها من تحت عينيها . وصياحها مثل صياح الخنازير ، ولا تبرح بركة فيها ماء وتأكل الخبز والحشيش والشعير » .

وقص عن الصيد فى دمشق مانصه :

« ورأيت الصيد بدمشق أيام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان

---

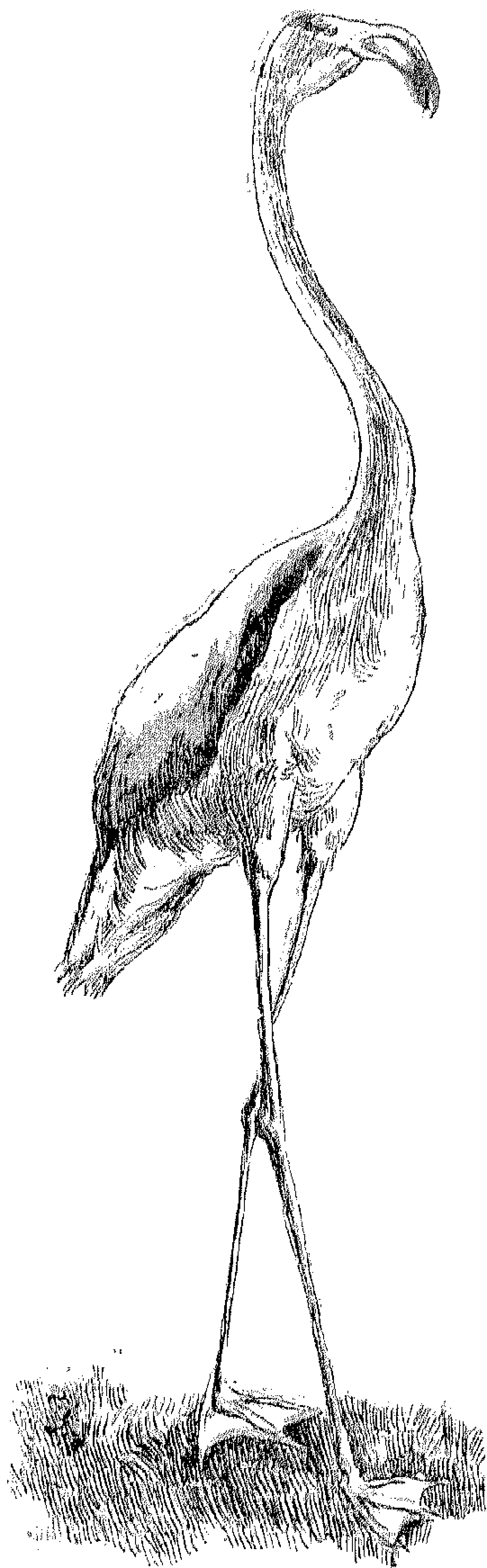
(١) طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين ويعرف بالكركى فى العراق والرهو فى مصر والشام والغرنوق فى بلاد المغرب .

(٢) مفرده بلشون وهو الطائر المعروف بمالك الحزين .

(٣) البج بضم الباء نوع من طيور الماء .



الكركى — شكل ٩



النحام — شكل ١٠

وحمر الوحش واليحامير(١) . فرأيته يوماً قد خرج ونحن فى رفقته إلى شعراء بانياس(٢) وفى الأرض عشب عظيم . فتصيدنا كثيراً من اليحامير . وضربت الخيام حلقة ونزلنا ، فقام من وسط الحلقة يحمور (شكل ١١) كان نائماً فى العشب. فأخذ يعدو فى وسط الخيام . ورأيت ونحن عائدون رجلا قد رأى سنجاباً فى شجرة ، فأعلم به شهاب الدين ، فجاء ووقف تحته ورماه مرتين أو ثلاثاً فما أصابه ، فتركه وصار شبه المغتاظ الذى لم يصبه . فرأيت رجلا جاء فرماه فوسط النشابة فيه. فاسترخت يداه وبقى متعلقاً برجليه والنشابة فيه حتى هزوا الشجرة فوقع . ولو كانت تلك النشابة فى ابن آدم لمات لوقته . فسبحان خالق الخلق » .

الصيد فى عكا

وقد روى عن الصيد فى عكا مانصه : « وكنت قد مضيت مع الأمير معين الدين (٣) ، رحمه الله ، إلى عكا عند ملك الإفرنج فلك بن فلك ، فرأينا رجلا من الجنوية قد وصل من بلاد الفرنج ومعه باز كبير مقرنص يصيد الكراكى ، ومعه كلبة صغيرة إذا أرسل الباز على الكركى عدت تحته . فاذا أخذ الكركى وحطه عضته فلا يقدر على الخلاص منها . وقال لنا ذلك الجنوى (إن الباز عندنا إذا كان ذنبه ثلاث عشرة ريشة اصطاد الكركى) فعددنا ذنب ذلك الباز فكان كذلك ، فطلبه الأمير معين الدين رحمه الله ، من الملك فأخذه من الجنوى هو والكلبة . وأعطاه للأمير معين الدين ، فجاء معنا ، فرأيته فى الطريق يثب إلى الغزلان كما يثب إلى اللحم ، ووصلنا به إلى دمشق ، فما طال عمره بها ولا صاد شيئا ومات » .

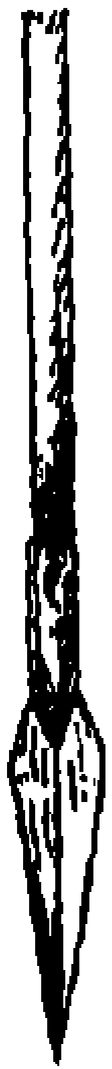
---

(١) مفرده يحمور وهى دابة تشبه العنز .
(٢) بانياس : بلد يقع الى الجنوب الغربي من دمشق .
(٣) هو الوزير الأكبر شهاب الدين محمود بن تاج الملوك حاكم دمشق في ذلك الحين .

الصيد فى حصن كيفى (١)

وقص ماشاهده من الصيد فى حصن كيفى عند أعالى نهر دجلة ما نصه: «وشاهدت الصيد فى حصن كيفى مع الأمير فخر الدين قرا أرسلان ابن داوود(٢) رحمه الله. وهناك الحجل (شكل ١٢) والزرخ كثير والدراج. فأما طير الماء فهو فى الشط (شط دجلة) وهو واسع ما يتمكن البازمنها. وأكثر صيدهم الأراوى (شكل ١٣) ومعزى الجبل يعملون لها شباكا ويمدونها فى الأودية ويطردون الأراوى فتقع فى تلك الشباك وهى كثيرة عندهم وقريبة المتصيد. وكذلك الأرانب».

الصيد فى حماة


شكل ١٤

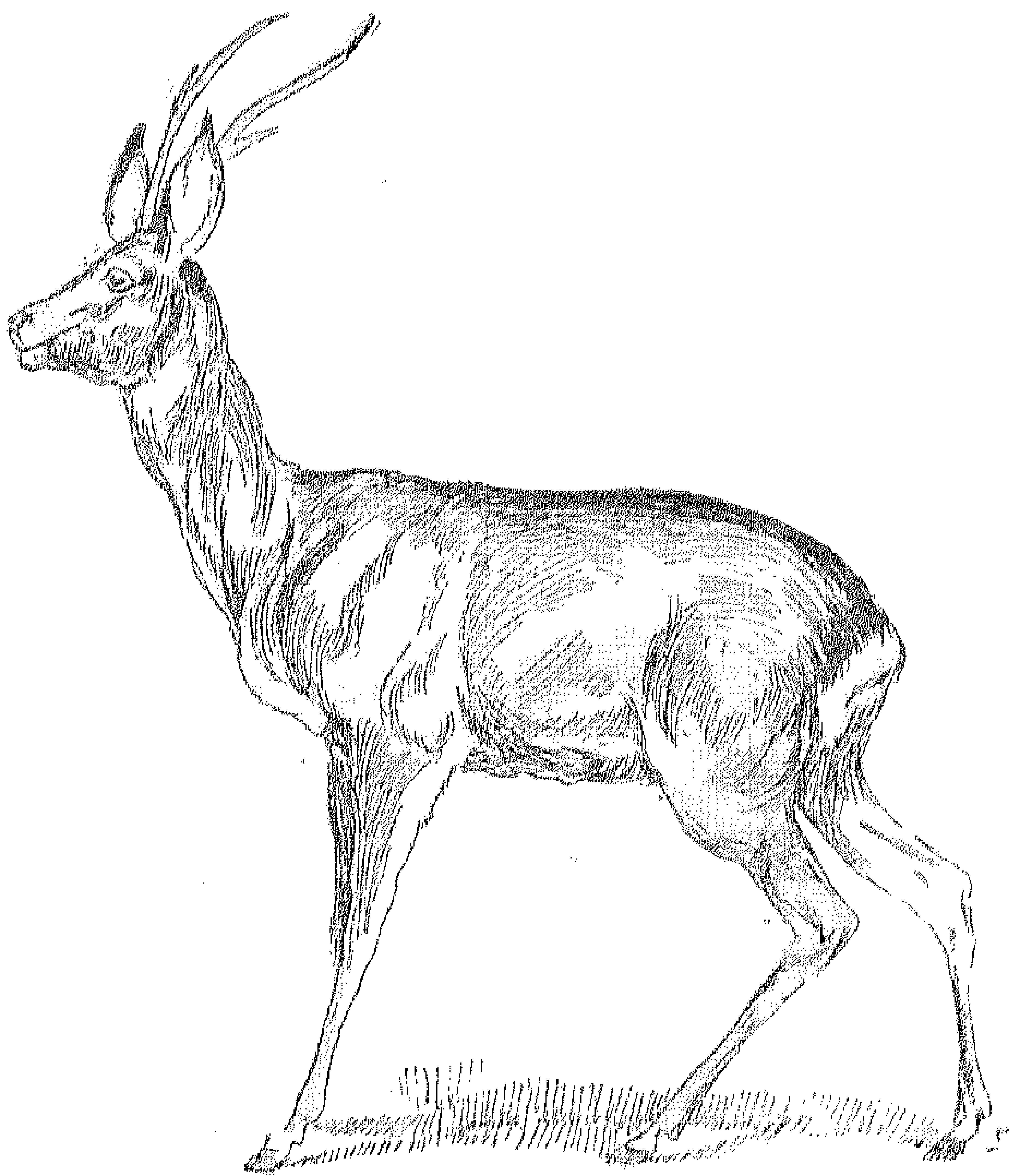
وعنه قال: «وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين، رحمه الله. فحضرته ونحن بأرض حماة وقد جلبوا له أرنبا فضربها بنشابة كشباء وقامت وسبقت إلى جحر دخلته. فركضنا خلفها، ووقف عليها نور الدين. وناولنى الشريف السيد بهاء الدين رحمه الله رجلها وقد قطعتها النشابة من فوق العرقوب وشقت جوفها قرنة النصل». (شكل ١٤)

الصيد فى حلب

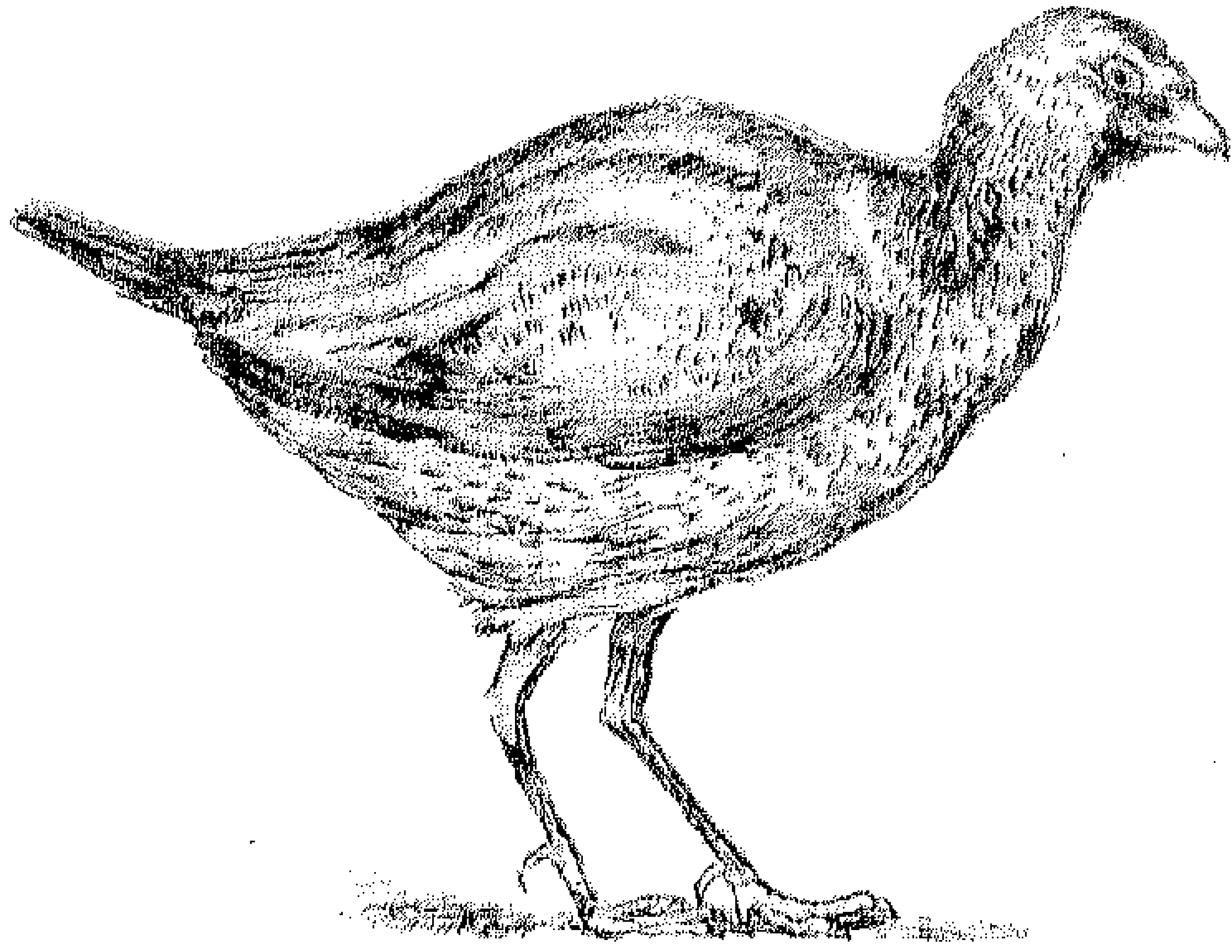
وعنه قال: «وحضرته يوما وقد أرسل كلبة على ثعلب ونحن على قرا حصار بأرض حلب، فركض خلفه وأنا معه. فلحقت الكلبة فأخذت ذنب الثعلب فرجع إليها برأسه فعض خيشومها. فصارت الكلبة تعوى ونور الدين، رحمه الله، يضحك. ثم خلاها وانجحر».

---

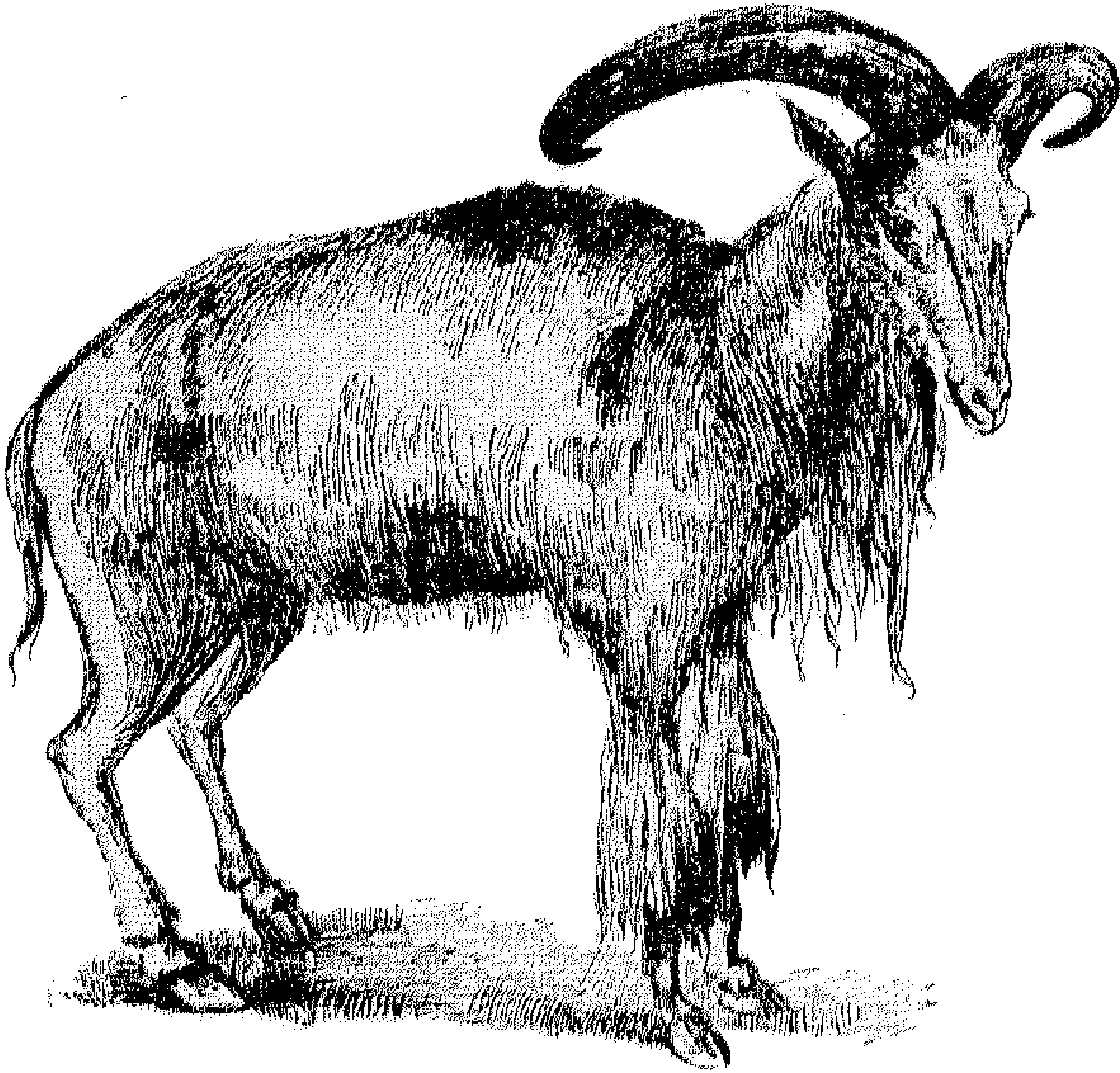
(١) قلعة عظيمة مشرفة على ضفة دجلة اليمنى تقع جنوب أرزن وبين ديار بكر وجزيرة ابن عمر على الضفة اليسرى للنهر.
(٢) صاحب حصن كيفى.



شکل ۱۱



شکل ۱۲



شکل ۱۳

وقص عن والده مانصه : « وكان يخرج إلى الصيد ونحن أولاده معه فى أربعة رجال ومعنا غلماننا وجنائبنا وسلاحنا، فإنا ما كنا نأمن من الفرنج لقربهم منا. ويخرج معنا بزاة كثيرة من العشرة وما حولها ومعه صقاران وفهادان وكلابزيان . مع أحدهما كلاب سلوقية ومع الآخر كلاب زغارية . فيوم خروجه إلى الجبل لصيد الحجل وهو بعيد من الجبل يقول لنا إذا خرج إلى طريق الجبل (تفرقوا) حتى يصير إلى مكان الصيد . فاذا ماصرنا فى المتصيد أمر الغلمان فتفرق بعضهم مع البازيارية .

فكيف طار الحجل كان فى ذلك الجانب باز يرسل عليه ، ومعه من مماليكه وأصحابه أربعون فارساً من أخبر الناس بالصيد ، فلا يكاد يطير طير ولا يثور أرنب ولا غزال إلا اصطدناه . ونتهى فى الجبل نصيد إلى العصر ثم نعود وقد أشبعنا البزاة وطرحناها على القلوت (١) فى الجبل تشرب وتستحم ثم نعود إلى البلد بعد العتمة .

فإذا ركبنا الى طير الماء والدراج كان ذلك يوم فرحتنا نقع فى الصيد من باب المدينة ثم نصل إلى الأزوار (٢) فتقف الفهود والصقور براً من الزار وندخل إليه بالبزاة، فان طارت دراجة أخذها الباز وإن قفز أرنب أرسلنا عليها بعض البزاة وإن قفز غزال خرج إلى الفهود فأرسلها عليه فإن أخذ وإلا أرسلوا عليه الصقور فما يكاد يفلت منا صيد إلا بفسحة الأجل . وفى الأزوار خنازير كثيرة تخرج فنركض عليها ونقتلها فيكون فرحنا بقتلها أكثر من فرحة الصيد .

وكان له ترتيب فى الصيد كأنه ترتيب الحرب والأمر المهم . لايشتغل أحد بحديث مع صاحبه ولا هم لهم إلا الضرب فى الأرض لنظر الارانب أو الطير فى أوكارها » .

---

(١) القلوت بضم القاف واللام جمع قلت بفتح فسكون وهو النقرة فى الجبل

(٢) الأزوار الآجام مفردها زار

باز أحمر العينين

وروى عن والده قائلا — « وكان الوالد ، رحمه الله ، محظوظاً من الجوارح النادرة الفارهة . وذلك أنها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجارح الفاره . وكان عنده فى بعض السنين باز مقرنص بيت أحمر العينين، فكان من أفره البزاة. فوصل كتاب عمى تاج الأمراء أبى المتوج مقلد، رحمه الله، من مصر (وكان مقامه بها فى خدمة الآمر بأحكام الله) يقول سمعت فى مجلس الأفضل ذكر الباز الأحمر العينين والأفضل يستخبر المحدث عنه وعن صيده » . فنفذه الوالد رحمه الله مع بازياره إلى الأفضل . فلما حضر بين يديه قال له « هذا هو الباز الأحمر العينين ؟ » قال :

« نعم يامولاى » قال « أى شىء يصيد ؟ » قال : يصيد السمانة والحرجلة وما بينهما من الصيد » .

فبقى هذا الباز بمصر مدة ثم أفلت وراح وبقى سنة فى البرية فى شجر الجميز . ثم عادوا فاصطادوه » .

باز إفرنجى

وقص عن والده ما نصه، « وكنا يوما عند الوالد رحمه الله وقد جاء إنسان من فلاحى معرة النعمان ومعه باز مقرنص مكسر ريش الأجنحة والذنب فى قـــدر العقاب الكبير، ما رأيت قط بازا مثله وقال: « يامولاى قد ضرب هذا الباز وحط عندى فأخذته وحملته إليك » . فأخذه وأحسن إلى الذى أهداه . ووصل البازيار ريشه وحمله واستجابه . وإذا الباز صائد مطابق مقرنص بيت قد أفلت من الأفرنج وقرنص فى جبل المعرة . فكان من أفره الجوارح وأشطرها » .

كلاب الصيد

وعنه قال «كان عند والدى ، رحمه الله ، من الكلاب السلوقية كلاب جياد. وكان يجيئه من بلاد الروم الزغارية كلاب جياد ذكور وإناث. فكانت تتوالد عندنا وصيدها الطير طبع فيها . ومن عجائب الكلاب الزغارية أنها ما تأكل الطيور ولا تأكل منها إلا رؤوسها وأرجلها التى ليس عليها لحم كما تأكل العظام التى قد أكلت البزاة لحمها. شاهدت منها كلبة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التى مع الكلابزى فأرسل بازاً على دراجة فبنجت فى غلفاء[1] فى جرف النهر ، فأرسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة وتلك الجروة واقفة على الجرف . فلما طارت الدراجة وثبت الجروة خلفها من على ذلك الجرف فوقعت فى وسط النهر، وما تعرف الصيد ولا صادت قط. ورأيت كلباً من هذه الزغارية وقد بنجت حجلة فى الجبل فى بنج[2] صعب وقد دخل إليها الكلب وأبطأ. ثم سمعنا حشكة فى داخل البنج فقال الوالد ، رحمه الله « فى البنج وحش وقد قتله الكلب » . ثم بعد ساعة خرج الكلب يجر رجل ابن آوى ، وكان فى البنج قد قتله ثم جره وأخرجه إلينا .

صـــيد السمك

وروى قائلا « وكنا نتصيد ونعود فننزل على بوشمير ، وهو نهر صغير بالقرب من حصن شيزر ، وننفذ نحضر صيادى السمك فنرى منهم العجب . فيهم من معه قصبة فى رأسها حربة لها جبة[3] (شكل ١٥) . ولها فى الجبة ثلاث شعب حديد طول كل شعبة ذراع . وفى رأس القصبة خيط طويل مشدود إلى

---

(١) حلفاء نهر
(٢) الوكر
(٣) الزج


شكل ١٥

يده ويقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويبصر السمكة فيزرقها بتلك القصبة التى فيها الحديد فما يخطئها . ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها . وآخر من الصيادين معه عود قدر قبضة فيه شوكة حديد وفى طرفه الآخر خيط مشدود إلى يده . ينزل يسبح فى الماء ويبصر السمكة يخطفها بتلك الشوكة ويخليها فيها ويطلع ويجذبها بذلك الخيط يطلع الشوكة والسمكة . وآخر ينزل يسبح ويمر يده تحت الشجر الذى فى الشطوط من الصفصاف على السمكة حتى يدخل أصابعه فى خياشيم السمكة ، وهى لا تتحرك ولا تنفر ، ويأخذها ويطلع. فكانت فرحتنا عليهم بصيدهم كفرحتنا بالصيد بالبزاة » .

صيد الحجل

وحكى عن هذا مانصه : « كان من عجائب الصيد أننا كنا نخرج إلى الجبل إلى صيد الحجل ومعنا عشرة بزاة نتصيد بها النهار كله والبازيارية مفترقة فى الجبل ومع كل بازيار فارسان ، ومعنا كلابزيان اسم الواحد بطرس والآخر زرزور بادية وكلما أرسل البازيار على حجلة وبنجت قد صاحوا « يابطرس ! » فيعدو إليهم مثل الهجين. كذلك كان يعدو من جبل إلى جبل هو ورفيقه طول النهار » .

صيد الغزلان والدراج

وقص عن ذلك قائلا : « وكان بين شهاب الدين مالك والوالد ، رحمهما الله ، مودة ومواصلة بالمكاتبات والرسل . فنفذ اليه يوماً يقول له « خرجت إلى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة آلاف خشف(١) فى اليوم » . وذلك أن الغزلان

(١) الخشف ولد الظبي

عندهم فى أرض القلعة كثيرة . وهم يخرجون وقت ولادة الغزلان خيالة ورجالة فيأخذون منها ماقد ولد تلك الليلة وقبلها بليلة وليلتين وثلاث يقشونها كما يقش الحطب والعشب .

والدراج عندهم كثير فى الأزوار على الفرات . وإذا شق جوف الدراجة وأزيل مافيه وحشى بالشعر لا تتغير رائحتها أياماً كثيرة.

صيد الأرانب

وروى ما نصه « وكان لؤلؤ هذا رحمه الله ، أخبر الناس بالصيد . شاهدته يوما وكانت جاءتنا من البرية أرانب جالية (١) . فكنا نخرج نصطاد منها شيئاً كثيراً . وكانت أرانب صغارا حمرا فشاهدته يوما وقد جلى عشرة أرانب طعن التسعة بالبالة (٢) وأخذها . ثم جلىّ أرنباً عاشرة . فقال له الوالد ، رحمه الله ، « دعها تقيموها للكلاب تتفرج عليها » . فأقاموها وأرسلوا عليها الكلاب.فسبقت الأرنب وسلمت . فقال لؤلؤ « يامولاى ، لو كنت تركتنى طعنتها وأخذتها » .

صيد الوز والحبارى (٣)

قال عنه ما نصه « ورأيت من الوز السمند (٤) حمية وشجاعة كحمية الرجال وشجاعتهم .وذلك أننا أرسلنا الصقور على رف وز سمند ودققنا الطبول ، فطار . ولحقت الصقور فعلقت بوزة حطتها من بين الوز،ونحن بعيدون منها، فصاحت .

---

(١) نازحة

(٢) حصا فيها زج

(٣) طائر لايجحم الدجاجة لاطويل الرجلين ولا قصيرهما طويل العنق والذنب يعرف بهذا الأسم فى جميع البلاد العربية اللسان والكبير منه يسمى « الحبرج » وهو شائع فى مصر .

(٤) الفارسي

فترحل من الوز إليها خمسة أو ستة يضربون الصقور بأجنحتها . فلولا أنا بادرناها لكانت خلصت الوزة وقصت أجنحة الصقور بمناقيرها . وهذا ضد حمية الحبارى (شكل ١٦) . فانها إذا قرب منها الصقر نزلت إلى الأرض وكيف دار استقبلته بذنبها . فإذا دنا منها سلحت (١) عليه بلت ريشه وملأت عينيه وطارت . وإن أخطأته بما تفعله بها أخذها » .

صيد العيمة

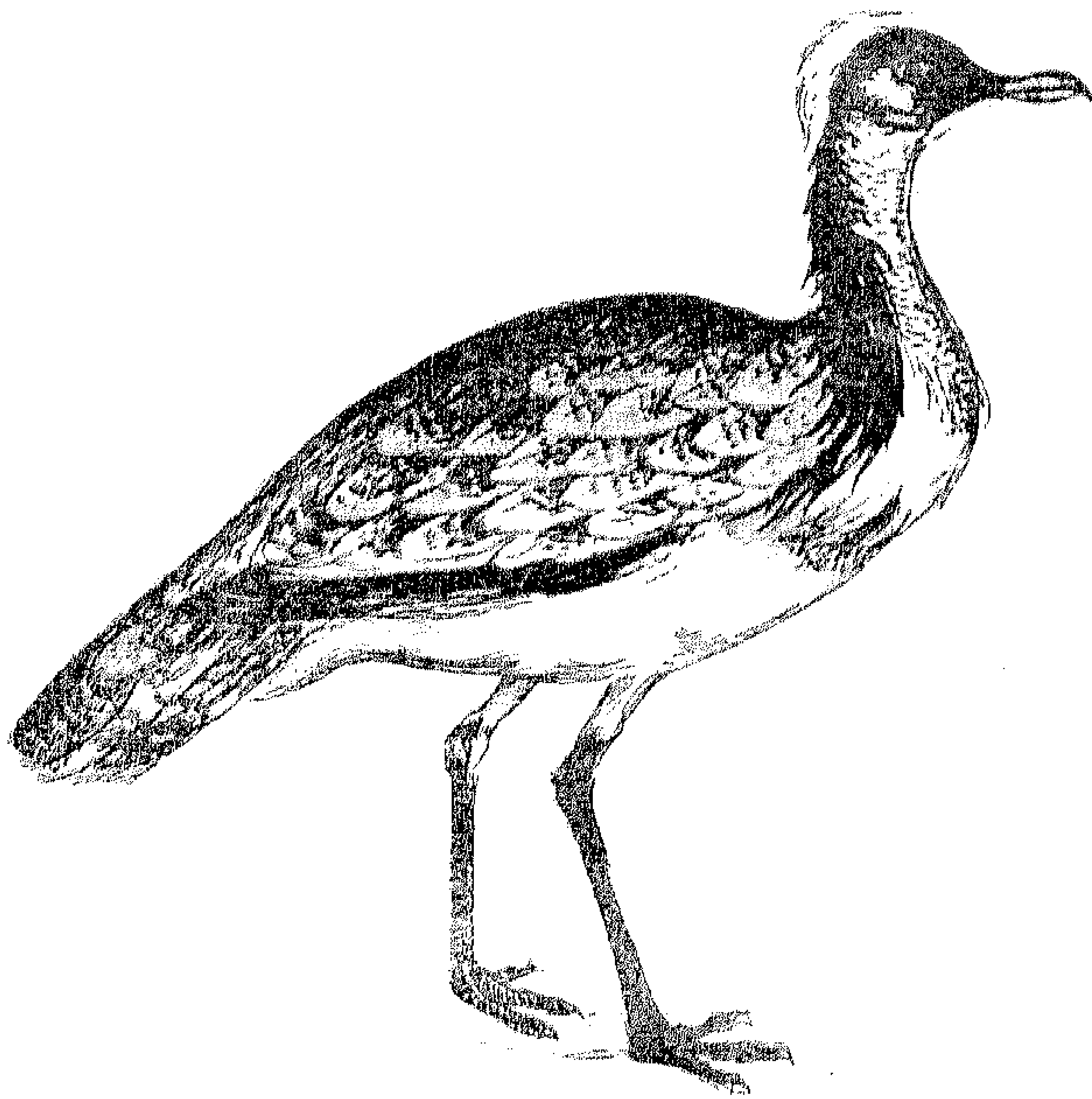
وعنه قال « ومن أغرب ما صاده الباز مع الوالد ، رحمه الله ، أنه كان على يده باز غطراف (٢) فرخ وعلى خليج ماء عيمة وهى طير أكبر من الكركى — من طرف جناحها إلى طرف جناحها الآخر أربعة عشر شبرا . فجعل الباز يطلبه ، فأرسله عليه ودق له الطبل . فطار ودخل فيه الباز فأخذه ووقعا فى الماء . فكان ذلك سبب سلامة الباز ، ولولا ذلك لقتله بمنقاره . فرمى غلام من الغلمان بنفسه فى الماء بثيابه وعدته فأمسك العيمة وأطلعها . فلما صارت على الأرض صار الباز يبصرها ويصيح ويطير عنها ، ولم يعرض لها . وما رأيت بازاً سوى ذلك اصطادها » .

وأشعار العرب طافحة بالكثير من الصيد بالبزاة وما تقوم به هذه من خدمات جليلة للصائد . ومن ذلك قول ابن المعتز فى إحدى أراجيزه :

وفتيان غدوا والليل داج — وضوء الصبح متهم الورود
كأن بزاتهم أمراء جيش — على أكتافهم صدأ الحديد

غدت للصيد بخصف كالقدد — والليل قد رق على وجه البلد
وابتل سربال النسيم وبرد — والفجر فى ليل الظلام يتقد

(١) يريد نهضت إليه
(٢) فرخ الباز



الحبارى — شكل ١٦

غواضف مسهلات للأمـــد لما غدونا وعدت خيل الطرد
وتقتضى الأرجل والأيد تعد أبرق بالركض الفضاء وركد
وقام شيطان الجريد وقعد وطار نقع فى السماء وركد
مثل القريب عندها ما قد بعد

وقوله أيضاً :

لما رأوها وعلونا نشزا هزا جناحيه إليها هزا
كما هززت اليزك المرتزا يحز أعنـــاق الرياح حزا
وسامها قبضا ونقرا وخزا يطلب فيه رءوسهن كنزا

وقوله أيضاً :

قاس على سفك الدماء فظ ما بينه وبينهن وعـــظ
يعطى يديه ما أراد اللحظ

وقال أبو نواس وهو ينعت الباز :

الف ما صدت من القنيص بكل باز واسع القميص
ذى برنس مذهب رصيص وهامة ومنسر حصيص (١)
وجؤجؤ عـول (٢) بالدليص مـدبج معـــين الفصوص
على الكراكى نهم حريص آنس عشرين بذات العيص (٣)
فانسل عن سكاره الممحوص وانقض يهوى وهو كالوبيص (٤)

---

(١) الخالى من العشر
(٢) الصدر أعجب كالبريق
(٣) موضع
(٤) البريق

دانى جناحيـــه إلى نصيص فاعتام (١) منها كل ذى خميص
فقـــده بمخلب قبوص فكم ذبحنا ثم من موقوص (٢)
وكم لنا فى البيت من مقصوص معـــدة للشى والمصوص (٣)

وقال ينعت الصقر —

لا صيد الا بالصقور اللمح (٤) كل قطامى (٥) بعيد المطرح
يجلو حجاجى (٦) مقلة لم تجرح لم تفده باللبن المضيح (٧)
أم ولم يولد بسهل الأبطح إلا بإشراف (٨) الجبال الطمح (٩)
احص (١٠) أطراف القدامى (١١) وحوح (١٢) أبرش ما بين القرا والمذبح
يلوى بخزان الصحارى الجمح يتحى لها بعد الطماح الأطمح (١٣)
يسلكها (١٤) بنيزك مـذرح ومنسر أقنى كأنف المجدح (١٥)
وهى رواق (١٦) بالبساط (١٧) الافيح متيحـــات لخفاف متيح (١٨)
فاصطاد قبـــل التعب المبرح وقبل أوب العازب (١٩) المروح (٢٠)
خمســـين مثل العنز المشرح ما بين مذبوح وما لم يذبح

وكان الطرد عند خلفاء بنى أمية فى دمشق والأندلس ، وعند العباسيين فى بغداد ، وعند الطولونيين والأخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك فى مصر متعة لاتضاهيها متعة وضرب من الرياضة لايعادله منها ضرب آخر (شكل ١٧) .

ويروى لنا المقريزى عن خمارويه قائلا أن ذلك الأمير الطولونى ماسمع قط عن أسدفى جهة ما إلا عقد النية على مطاردته فتحققت رغبته فى صيده وأوقعه فى الشرك وأتى به .

---

(١) أخذخيارها (٢) المكسور العنق (٣) طعام من لحم الطير (٤) الزكية (٥) الصقر الحديد البصر والرافع الرأس للصيد (٦) نقر العين (٧) اللبن الممزوج بالماء (٨) مرتفعات (٩) كل مرتفع (١٠) القليل الريش (١١) أربع أو عشر ريشات فى مقـــدم الجناح الواحدة (١٢) المنكمش الحديد النفس (١٣) المنشوز والجماح (١٤) الرمح القصير المسموم (١٥) كالملعقة لكنه معوج (١٦) مرتفعات (١٧) السماء (١٨) المهيآت (١٩) الذاهب (٢٠) السائر فى العشى

وبما لاريب فيه إن الصيد فى مصر وصل إلى الذروة فى عهد الفاطميين (٩٦٩ — ١١٧١ م) وقد بلغ بهم إهتمامهم بالصيد حداً جعلهم يعتبرون مناظره وصوره عناصر هامة فى تزيين قطع الألواح الفنية .

وهم أول من سن هذا المذهب وإبتدع هذه الطريقة التى سار على نهجها من أتى بعدهم . فنجد كثيراً من هـذه الصور مرسومة أو منقوشة على الخشب والعاج والخزف المصقول .

ومن أبدع الألواح الفنية الرائعة التى للفاطميين ما يتجلى فى تلك الأطر

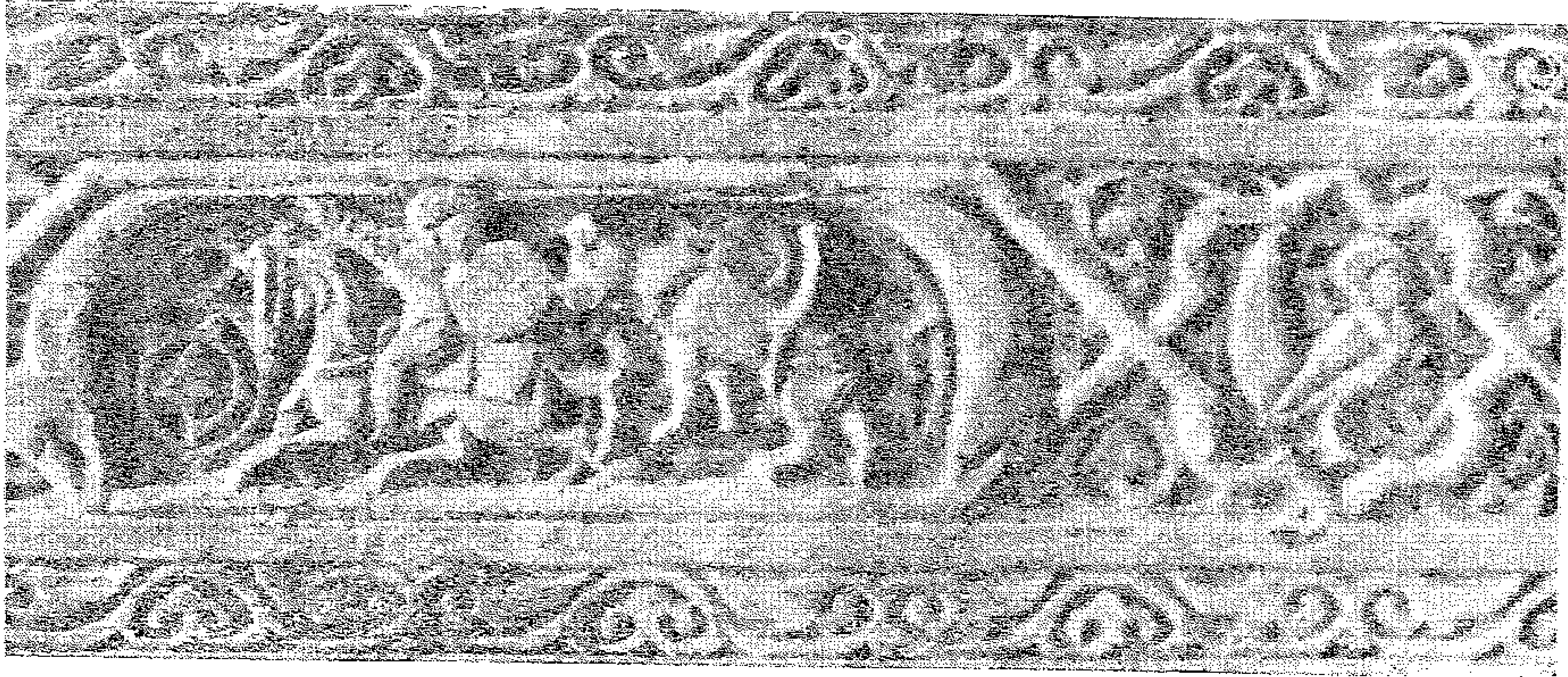


شكل ١٧
منظر صيد على صحن من الخزف
(دار الآثار العربية — القاهرة)

الخشبية الرائعة التى كانت فى البلاط الملكى الفاطمى وهى تمثل مناظر للرقص والطرد . (شكل ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) . ومن تلك الألواح الرائعة فى عهدهم مناظر الصيد التى على الخزف ذى البريق المعدنى (شكل ٢٣ ، ٢٤) . وفيما بعد كانت مناظر الصيد فى مصر حتى فى القرن الرابع عشر عنصراً هاماً فى نقش الألواح الفنية وبخاصة على الخزف ذى البريق المعدنى (شكل ٢٥ ، ٢٦) .

وكان صلاح الدين مولعاً بالصيد وكان من عادته أن يخرج إليه مصحوباً بأولاده . وقد بلغ ولعه به حداً جعله ذات مرة يمعن فى طلبه فيصبح على وشك الوقوع فى قبضة الصليبيين .

ومن المعروف أيضاً عند المماليك (١٢٥٠ — ١٥١٧ م) أن منصب أمير الصيد (أمير شيكار) كان من أهم الوظائف عندهم . وفى الواقع يذكر لنا التاريخ الكثير عن ولع سلاطين المماليك العظيم بهذا النوع من الرياضة . فكانوا يخرجون للصيد فى عدد كبير من أتباعهم الذين كانوا يكونون دائرة كبيرة تسمى الحلقة حول الحيوانات التى كانوا يصطادونها بكل حمية وحماسة . فكانت أوشحتهم وأكسيتهم الحربية ترينا أهمية الدور الذى كانت تلعبه حيوانات الصيد . فكان الأسد يمثل الوشاح الحربى للسلطان بيبرس كما كان يمثل ذلك أيضاً بالصقر بنوعين ـ ذى الرأس وذى الرأسين كما كان يمثل ذلك أيضاً البط والسمك ونوع من الوعل . ولكن على مايظهر لم تكن لهذه جميعها صفة العلامات التى تخبر بها . من هذا نستطيع أن نتصور عظمة حفلات الصيد التى كان يدعو الخلفاء والسلاطين والأمراء اليها الشخصيات الكبيرة وكبار الموظفين فى السلطنة ، وليس ذلك بغريب إذا ما أدركنا ما كان عليه البلاط الفاطمى من جلال وبهاء وما كان لسلاطين المماليك من ثروات واسعة جمعوها بما فرضوه من ضرائب على التجارة بين الشرق والغرب .

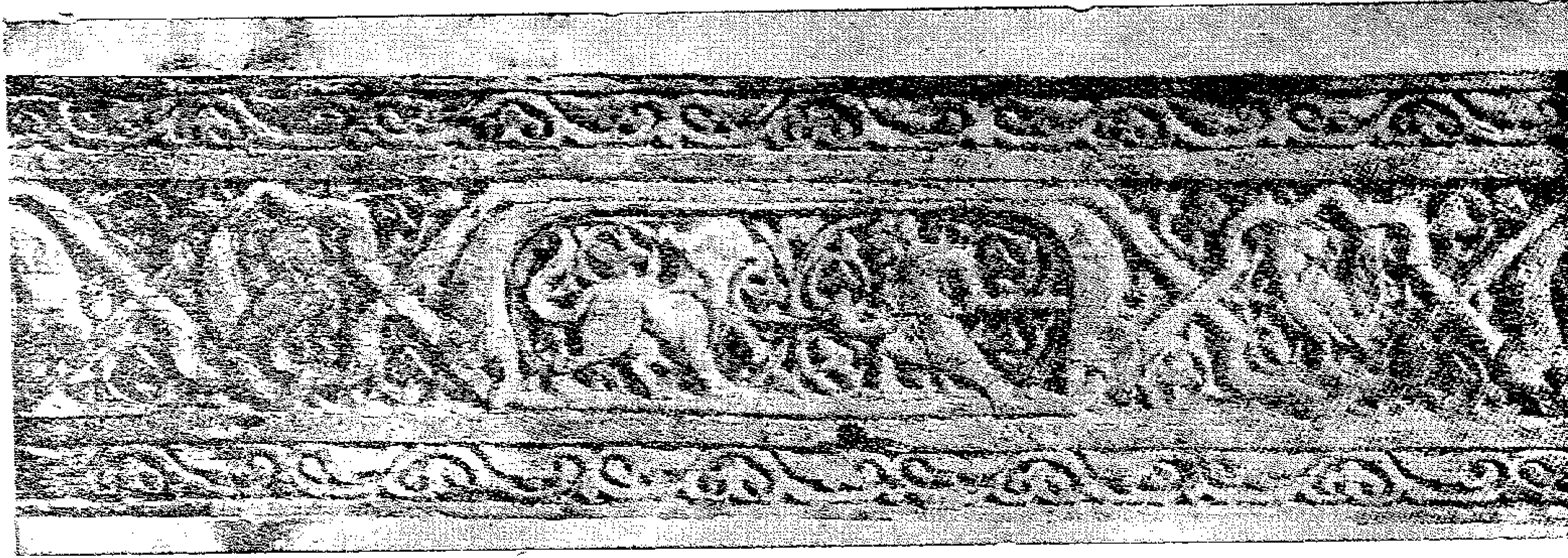


شكل ١٨

قطعة من لوحة خشبية منقوشة من القصر الملكى الفاطمى

مصر فى القرن العاشر

(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ١٩

قطعة من لوحة خشبية منقوشة من القصر الملكى الفاطمى
مصر فى القرن العاشر
(دار الآثار العربية — القاهرة)

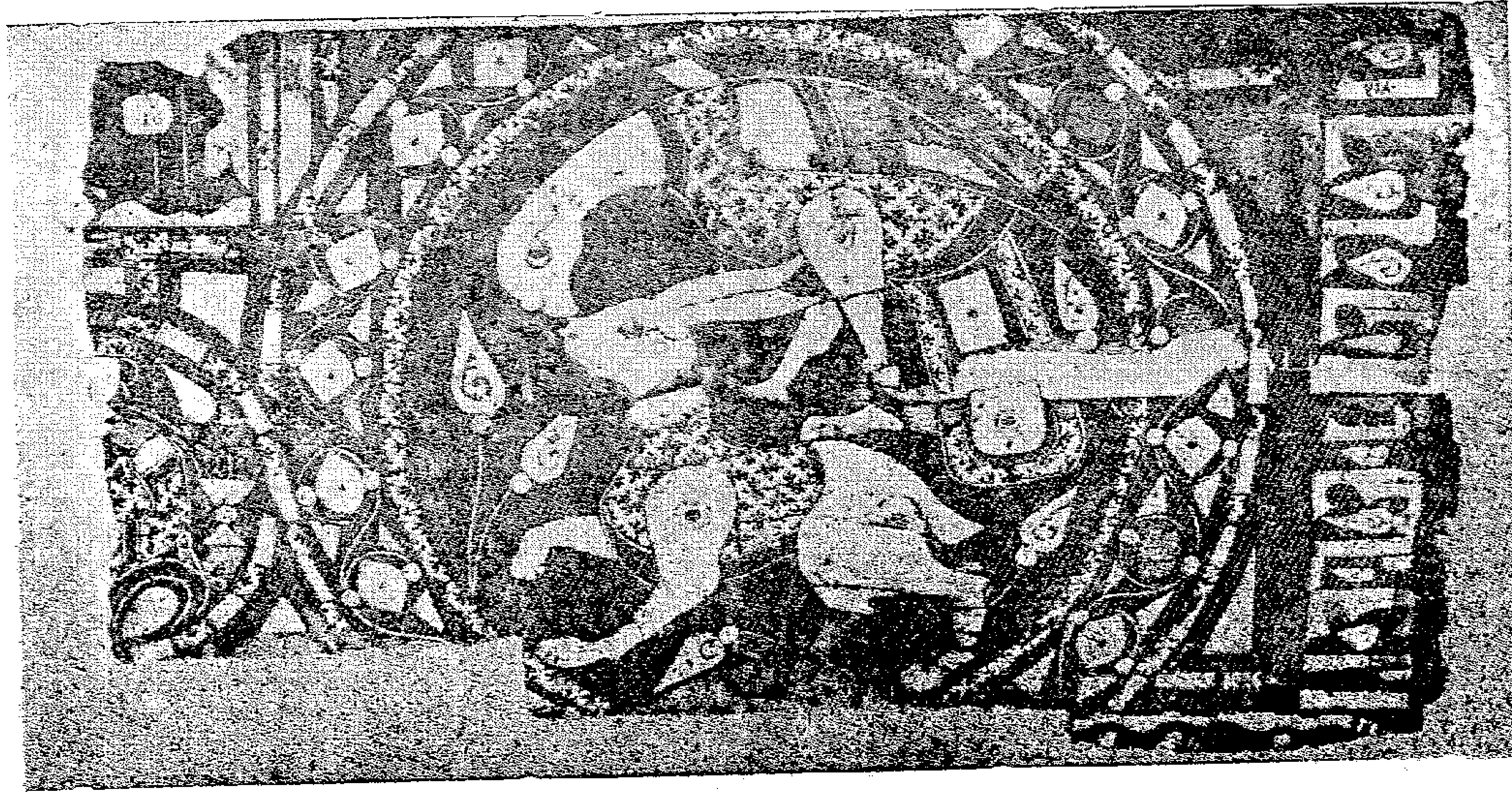


شكل ٢٠

قطعة من لوحة خشبية منقوشة من القصر الملكى الفاطمى
مصر فى القرن العاشر
(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢١
قطعة من لوحة خشبية منقوشة من القصر الملكي الفاطمي — مصر في القرن العاشر .
(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢٢

قطعة من لوحة خشبية مطعمة بالعظم والخشب الأحمر وتمثل صقراً مع فريسته .

(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢٣

قطعة من صحن مصنوعة من الخزف ذى البريق المعدني — مصر فى القرن الحادى عشر .

(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢٤

طبق من الخزف ذى البريق المعدنى — مصر فى القرن الحادى عشر

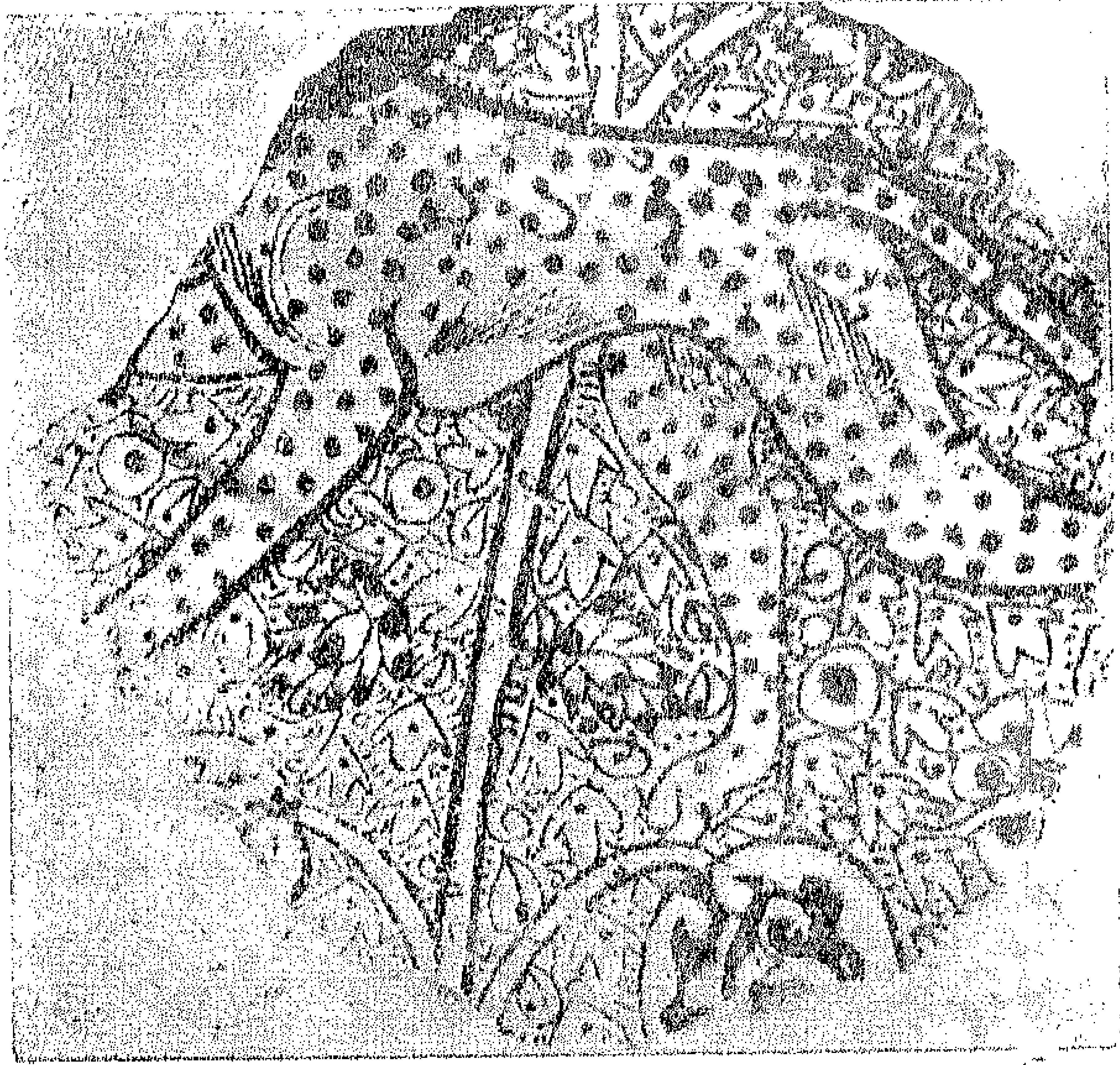
(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢٥

قطعة من الخزف ذى البريق المعدنى . الخزف المصرى فى القرن الرابع عشر

(دار الآثار العربية — القاهرة)



شكل ٢٦

قطعة من الخزف ذى البريق المعدنى . الخزف المصرى فى القرن الرابع عشر .

(دار الآثار العربية — القاهرة)

طيور الصيد وحيواناتها وطرائدها عند العرب

١ — الباشق (شكل ٢٧): من أسمائه أيضا الطوط والعلام . والبوشق صفر العيون خضر الأجل ، أصغر من البزاة . وهى على أنواع : فالأحمر الأسود الظهر جيد صبو على الكد . والأحمر الظهر والبطن رخو ليس له جلد . ومنها الأخضر المبردى(١) الشيه(٢) والأسبرج(٣) الذى يشبه لون البزاة ومنها الأصفر

وأكثر ما أوه من أوزانها مائة وثلاثون درهماً ، وأقله خمسة وتسعون درهماً وما رأوا منها كبيراً فارها وأهم مايصيده هذا الوع من الجوارح : الحمام والغر والفرافير (شكل ٢٨) والعجاج والسمان والدراج والغربان السود والبقع والبيضانيات والمكاحل .

وقال محمود بن الحسين الكاتب يصف الباشق :—

وكأن جؤجؤه وريش جناحه ... ترجيع نقش يد الفتاة العاتق
يسمو فيخفى فى الهوء وتارة ... يهفو فينقض انقضاض الطارق
ما جار عن طلب الحمام ولم يفق ... مذ كان من صيد الأوز الفايق
يشفى إذا نعب الغراب بفرقة ... قلب المحب من الغراب الناعق
وإذا القطاة تحلقت من خوفه ... لم يعد أن يهوى بها من حالق

وقال بعض شعراء بنى هاشم يصفه :—

لما انجلى ضوء الصباح فانفتق ... غدوت فى ثوب من الليل خلق
بطامح النظرة فى كل أفق ... بمقلة تصدقه إذا رمق
كأنها نرجسة بلا ورق ... مبارك إذا رأى فقد رزق

٢ — الباز (شكل ٢٩) : وهو أحمر العينين أو أصفرها ، أصفر الرجلين ،

---

(١) يشبه في نمنمته المبرد (٢) اللون (٣) لعله ذو اللون القمرى .

أسفع الرأس ، أدبس الظهر والكتفين والجناحين والذنب ، طويل الساقين حمرتهما غالبة ، أبيض الصدر مع توشيم . ويسمى الباز صقر باز فى الاسكندرية ويسمى لويحق وأبو لاحق عند عرب الشام ودوبر أدران وزماج فى العراق .

والبزاة على أنواع ـ فمنها الأسبهرج والأصفر والأحمر ومنها ما يكون أخضر عريض القطب مثل شيات البواشق ومنها الأبيض الشديد البياض .

أما أوزانها فتتراوح بين ثلاثة أرطال وثلاثة أرطال ونصف وفيها ما يزيد وينقص على ما ذكر لكبره وصغره .

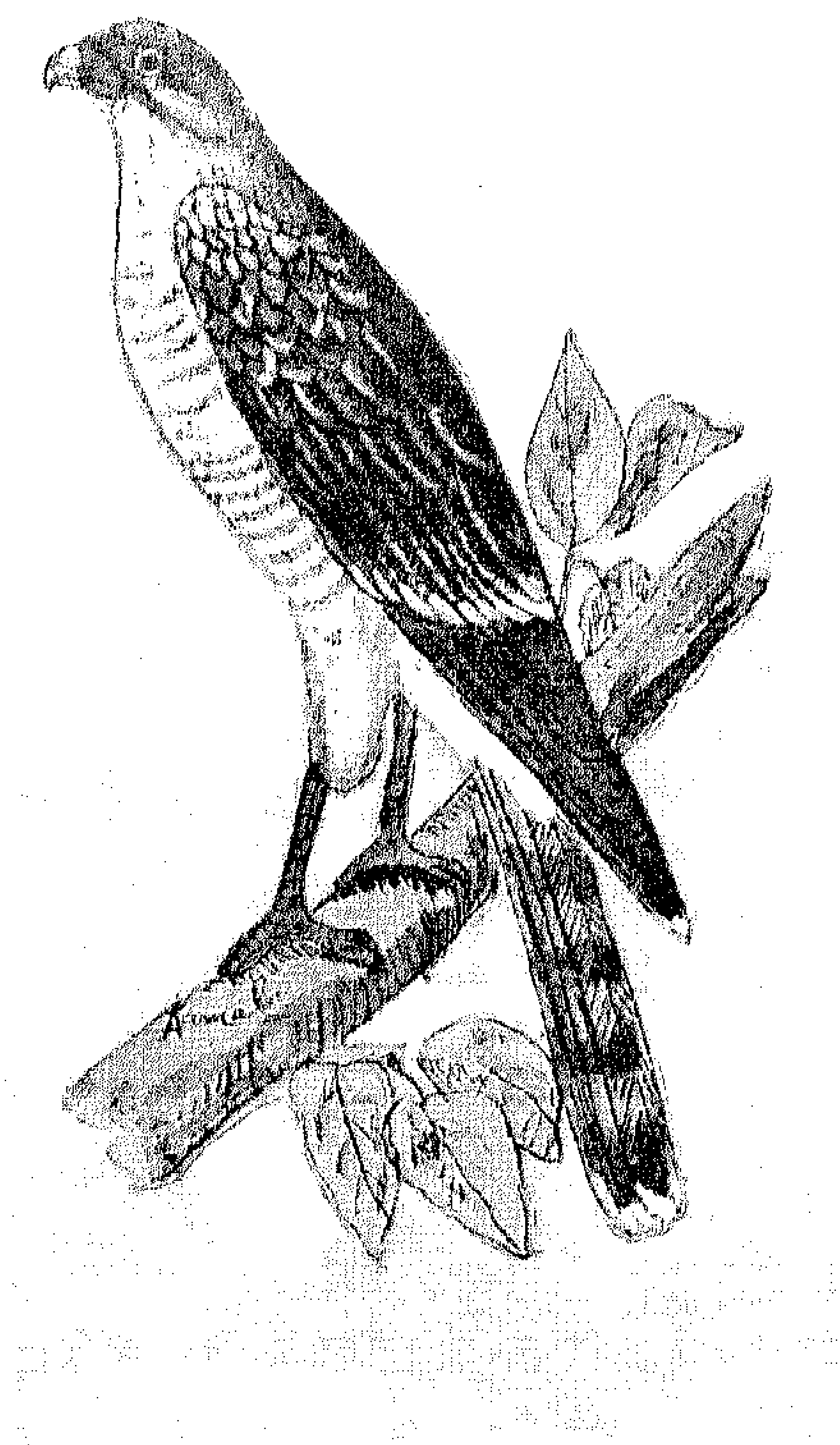
وأهم ما تصيده الأرانب والغربان والكروان[1] (شكل ٣٠) والحبارى والأوز والنحام وبوقير والعبال والدراج والحجل . ومتى كان الصائد العربى فى بلد ومعه بازه فلا يرسله على غيرها لأن طير الماء يفسده .

وفضلا عما ذكرت فإنها تصيد الغربان البقع والمكاحل والبلاشين والربطى والبيضانيات والديزج والكراكى . والبزاة تفضل البواشق فى أنها أشد منها شوكة وأقوى جسما وهو ملك الجوارح . ويروى أنه كان للاخشيد بازى يصيد به فى القمر .

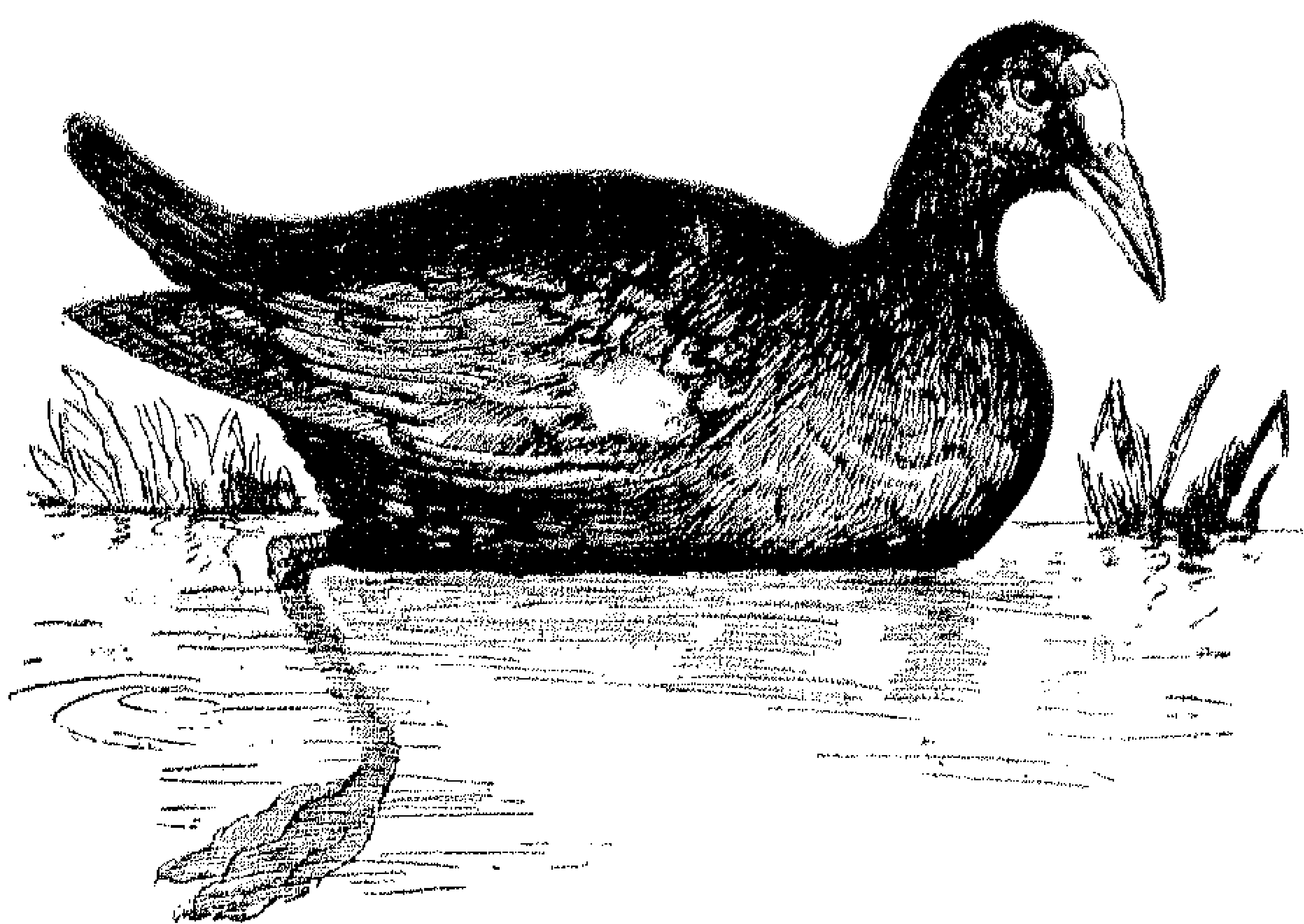
وقال بعض الشعراء فى وصف البازى ـ

مكان سواد العين منـــه عقيقة　　وتبر على خط البيــاض يدور
له قرطق ضافى البنـــائق أنمر　　مفوف ضاحى السقتين طرير
ومن تحته درع كأن رقومه　　تعاريج وشى أرضهن حرير
كأن اندراج الريش منه حبائك　　بعقب سحابات لهن نشور

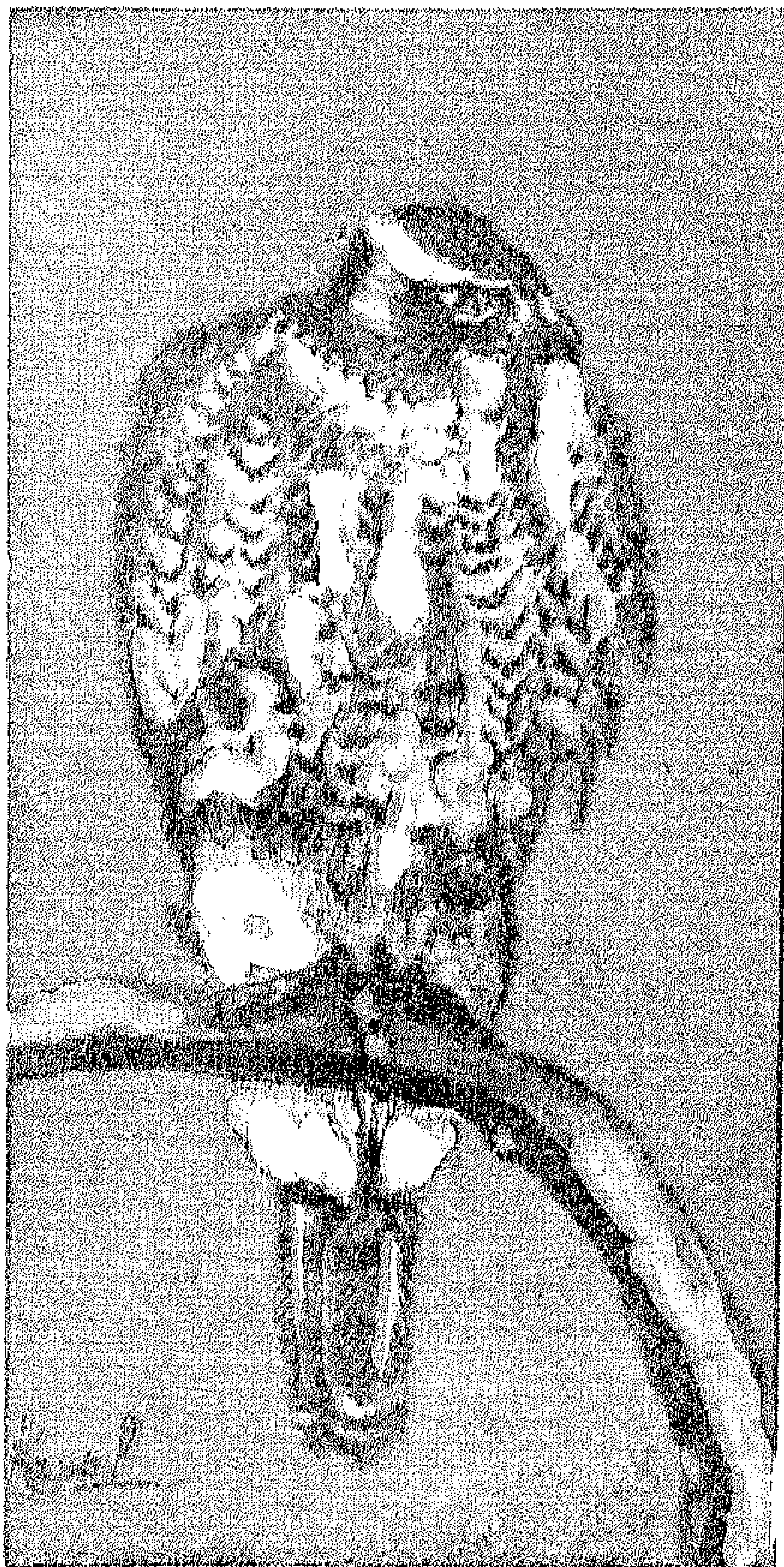
(١) طائر بين الدجاجة والحمامة أدبس طويل الساقين والعنق جاحظ العينين أصفرهما ، قصير الزمكى له فى الليل صوت حسن . ويسميه المصريون أحيانا الكروان الجبلى تمييزاً له عن طائر آخر يسمونه كروان الغيط ، ويصفه العرب بأنه بن أخت الحبارى لأنها أعظم منه .



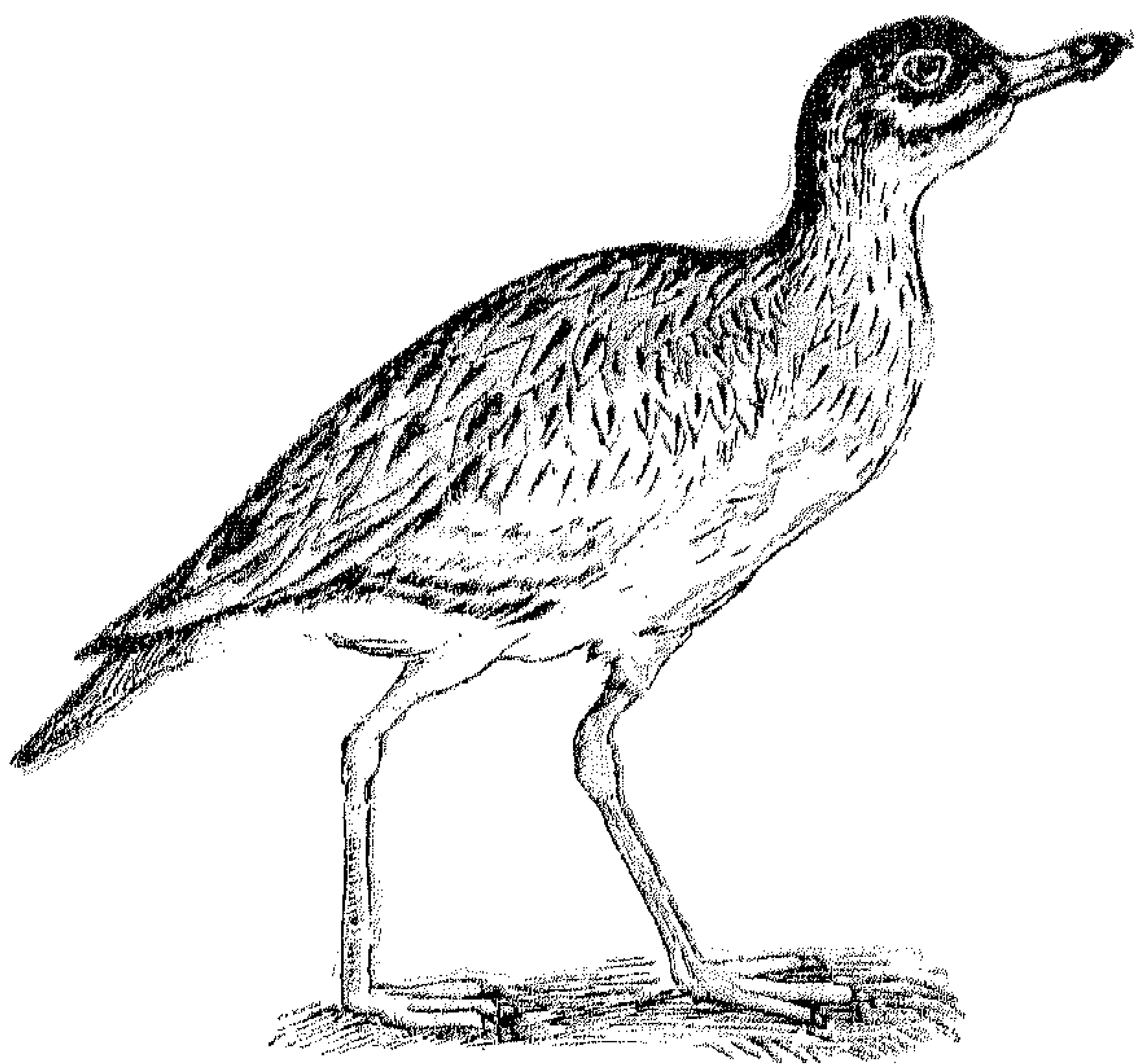
الباشق — شكل ۲۷



قرقور — شكل ۲۸



الباز — شكل ٢٩



شکل ۳۰

له هامة ملساء أما قذالها فوف وأما جيدها فقصير
ململمة فرعاء لولا شكيرها لقلت مداك ضمنته صخور
معصبة بالقد ذات نواشر لها من خطاطيف الحديد ظفور
تخيره القناص من بين عصبة لهم عند فخر القانصين فخور
يقطع أسحار البغاث كأنما له فى نحور البائسات ثوور
تبوأ أيدى مالكيه كأنه على آمريه فى الجلال أمير

والصيد بالباشق أو بالباز لايزال يمارس فى فارس والعراق وذين الزواز والمنطقة العلوية فى سوريا بنفس الطريقة التى وصفت فى كتاب ألف ليلة وليلة .

٣ — الزرق (شكل ٣١) : فى حجم الباشق أوأكبر قليلا ، أسود الظهر ، أبيض البطن ، أصفر العينين أو أحمرهما ، أصفر الرجلين وفيه قال أبو نواس :

كأن عينيه لحسن الحدقة نرجسة ثابتة فى ورقة

واسمه الكوهى عند أهل المنزلة ودمياط وفارسكور والزرق عند العرب .

وذكر أبوفراس الزرق فى قصيدته وهو يصف الطرد فقال —

وقلت أن خمسة لتقنع والزرقان الفرخ والملمع

والمقصود من خمسة : حيوانات وطيور الصيد .

٤ — الصقر (شكل ٣٢) : تضاربت الأقوال فى أصل تسمية الصقر بهذا الاسم فردها بعضهم إلى اللفظة اللاتينية « Sacer » وهى تدل على القداسة أو على كل شىء مقدس على حين ردها البعض الآخر إلى الأصل التركى « جاقر » وهو الاسم المعروف به فى البلاد العربية . وهو يعرف فى الهند وفارس بالشرق إلى يومنا هذا ، وهو مجدول البدن مستدير المنخرين ، طويل الجناحين والذنب ، عارى الساقين ، حاد المخالب ، قصير المنسر معقفه له سن فى كل من شدقيه .

والصقور على أنواع فنها الأشهب الكثير البياض وهو الحصاوى وموطنه

الجبال والبراري ، والأحمر ومأواه التلال والسهول ، والأسود البحري ويعيش في الجزائر على شاطىء البحر ، والأصفر ، والأخضر الذي يضرب ظهره إلى الخضرة .

أما من حيث الوزن فمنها ما يكون وزنه رطلين ونصف رطل ، ومنها ما يكون وزنه على الصيد رطلين وثلث رطل ومنها ما يكون وزنه رطلين فقط . وأهم ما يصيده الغزال والبلشون والأوز والحبرج سواء كان ذكراً ويسمى الحزب أو أنثى وتسمى قدادة والكراكي . وكان أهل مصر يصيدون الكراكي والحبرج به كما كان أهل العراق يصيدون به الكراكي . وقد روي عن رجل كان في أيام الأخشيد يعرف باسم « ابن سعد الهائم » أنه صاد الكراكي بالصقر وكان ذلك أعجوبة عندهم .

ويستخدمه العرب في صيد الغزال فبعد تدريبه يطلق في الجو حتى إذا ما رأى غزالا انقض عليه ونقره في عينيه فيختل توازن الحيوان وبذا يسهل صيده .

وقال بعض الشعراء في الصقر :

يارب صقر يفرس الصقورا ... ويكسر العقبان والنسورا
يجتاب برداً فاخراً مطروراً ... مسيراً بكتفه تسييرا
وقد تقبأ تحته حريرا ... مشمراً عن ساقه تشميرا
يضاعف الوشي به التنميرا ... معرجاً فيه ومستديراً
كما يضم الكاتب السطورا ... كأنه قد ملك التصويرا
لنفسه فأحسن التقديرا ... يروم منه أسداً هصوراً
مشزرا ألحاظه تشزيرا ... كأن في مقلته سعيرا
سباه من شاهقة صغيرا ... قد طار أو ناهز أن يطيرا
من كان بالرفق له جديرا ... ينذر في بقائه النذورا
ترى الأوز منه مستجيرا ... يباكر الضحضاح والغديرا
يثبت في أحشائها الأظفورا ... يلتقط الأحجار والنخشورا

٥ — الشاهين (شكل ٣٣) : قصير الساقين و الفخذين ، محدودب الظهر قصير الذنب، أخضر الكفين ، طويل المخلبين، حالك سواد الخدين ، طويل الجناحين وإذا كان الشاهين فرخاً كانت خطوط صدره عريضة كبيرة ، قصير الرقبة بغلظ ، عريض الهامة غائر العينين . والشاهين لون رأسه وذنبه أسود ضارب إلى الزرقة ، صدره أبيض ضارب إلى التوشيم . ويسمى الشاهين عند المصريين صقر شاهين .

والشواهين على أنواع فمنها الأسبهرج وهو الذى يغلب عليه البياض ومنها الأحمر والأسود وهو البحرى الخالص . أما أوزانها فتختلف من رطلين ونصف رطل إلى ثلاثة أرطال وربما زاد ذلك أو نقص . والشاهين أقل صبرا من الصقر على الكد . وهو يختلف عن الصقر فى أنه يصيد اليوم طريدة فإذا رآها فى غد حول وجهه عنها وذلك من رقته ، أما الصقر فيرجع عن طريدة وإذا رآها بعد ذلك لم يرجع عنها وكان عليها أفره منه فى الأولى وذلك لأنه أفره من الشاهين وهو يصيد مايصيد الشاهين لأن الشاهين يصيد طير الماء والصقر يصيد طير الماء . ومن صيد الشاهين الأوز أيضاً والبلشون كالصقر ، والصقر والشاهين يصيدان من الغزال إلى الكركى والكركى أكثر مافى الريش والغزال أكثر ما فى الوبر .

وقال أبو نواس فى وصف الشاهين —

قد أغتدى قبل الصباح الأبلج	بشهردان اللون أو اسبهرج
يوفى على الكف انتصاب الزمج	مشمر ثيابه عن موزج
كأن وشى ريشه المدبج	من قائم منه ومن معوج
باقى حروف الأسطر المخرفج	أبرش أوتاد الجناح أخرج
ينهش سير المقود المتجملج	من نهم الحرص وإن لم يلتج
ذى مقلة واسعة المحجج	كأنما يطرف عن فيروزج
من الشواهين كلاف عنفج	فى هامة مثل الصلاء المدمج

٦ — الكونج (شكل ٣٤) : وهو دون الصقر فى القد وهو أحمر الرأس وإذا اجتمع اثنان على غراب أو على أرنب لا تحتاجان إلى كلب معهما . وقد شوهد منها مايصيد الأوز القرطى فكان إمساكها لها عجيباً فهى لاتدعها حتى يجىء الصياد فيأخذها .

٧ — العقاب (شكل ٣٥) : هى أعظم الجوارح ، قوية المخالب مسرولة (أى فى ساقيها ريش) ولها منسر (منقار) قصير أعقف وتلقب « بالشغواء » و « اللقواء » لتعقفه وزيادة أعلاه على أسفله .

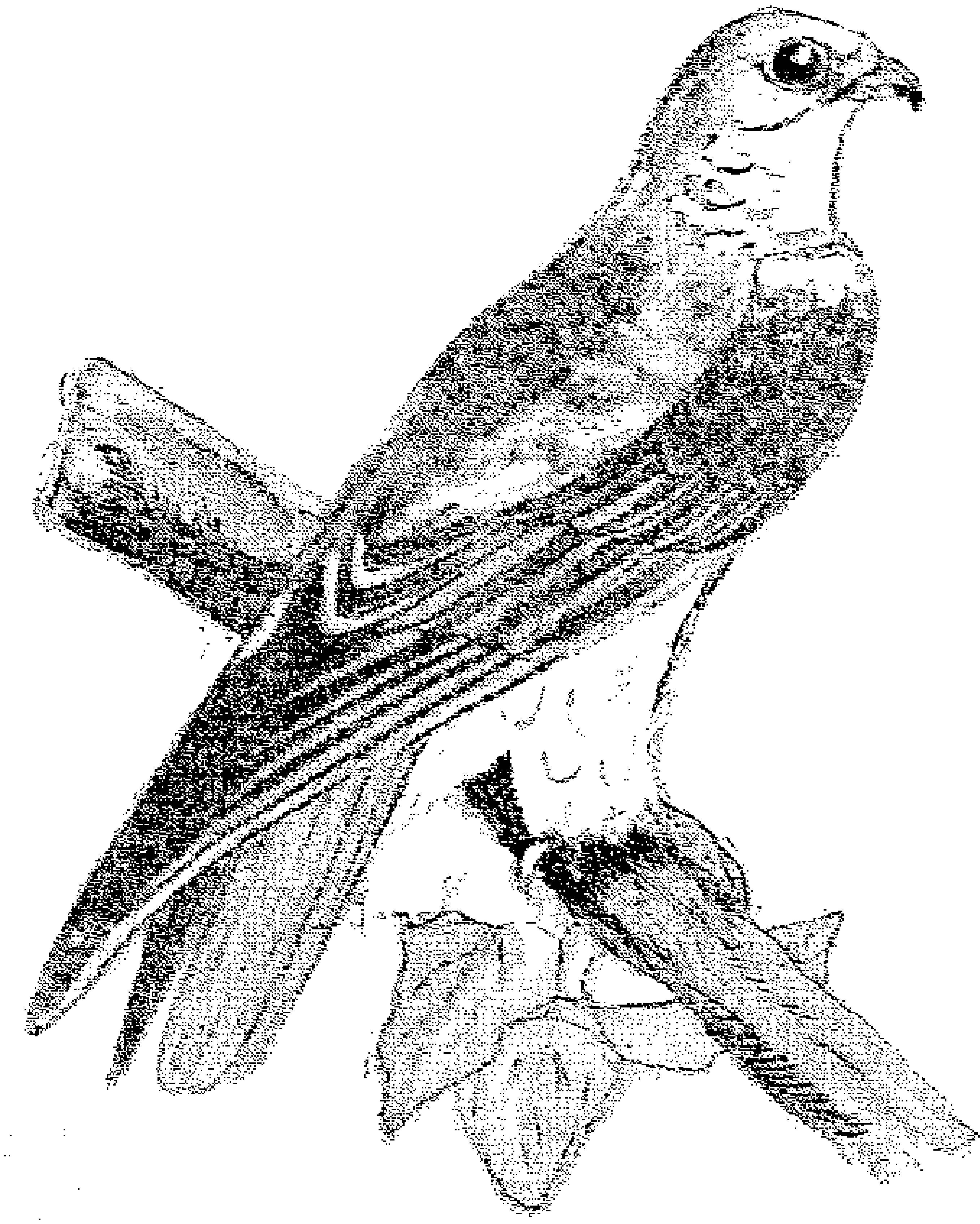
ومن أنواعها العقاب الرخماء (أى بيضاء الرأس) وهو شعار الحكومة الأميركية . ومن ضروبها أيضاً « اللناعة » وتسمى كذلك عند عرب الشام . ومن أنواعها أيضاً « الصرارة » ويقال لها فى مصر عقاب بيضاء ، وفى الشام « أبو صوى الحيات » ومنها أيضاً ملك العقبان ويسميه العرب « الخائتة » ومنها أيضاً العقاب البحرية البيضاء الذنب وصيدها السمك وهى معروفة فى بعض أنحاء القطر المصرى باسم « الشميطة » .

ومنها أيضاً العقاب النسارية وهى تألف البحار وتأكل السمك واسمها عند العامة فى مصر « المنسوزى » و « الناسورى » والعقاب على ألوان فمنها الأشقر والأحمر والأسود والكاخى (١) أما أوزانها فتتراوح بين عشرة أرطال وأربعة عشر رطلا وليس فيها مايزيد على ذلك وهى تصيد الكراكى والغزلان والأرانب .

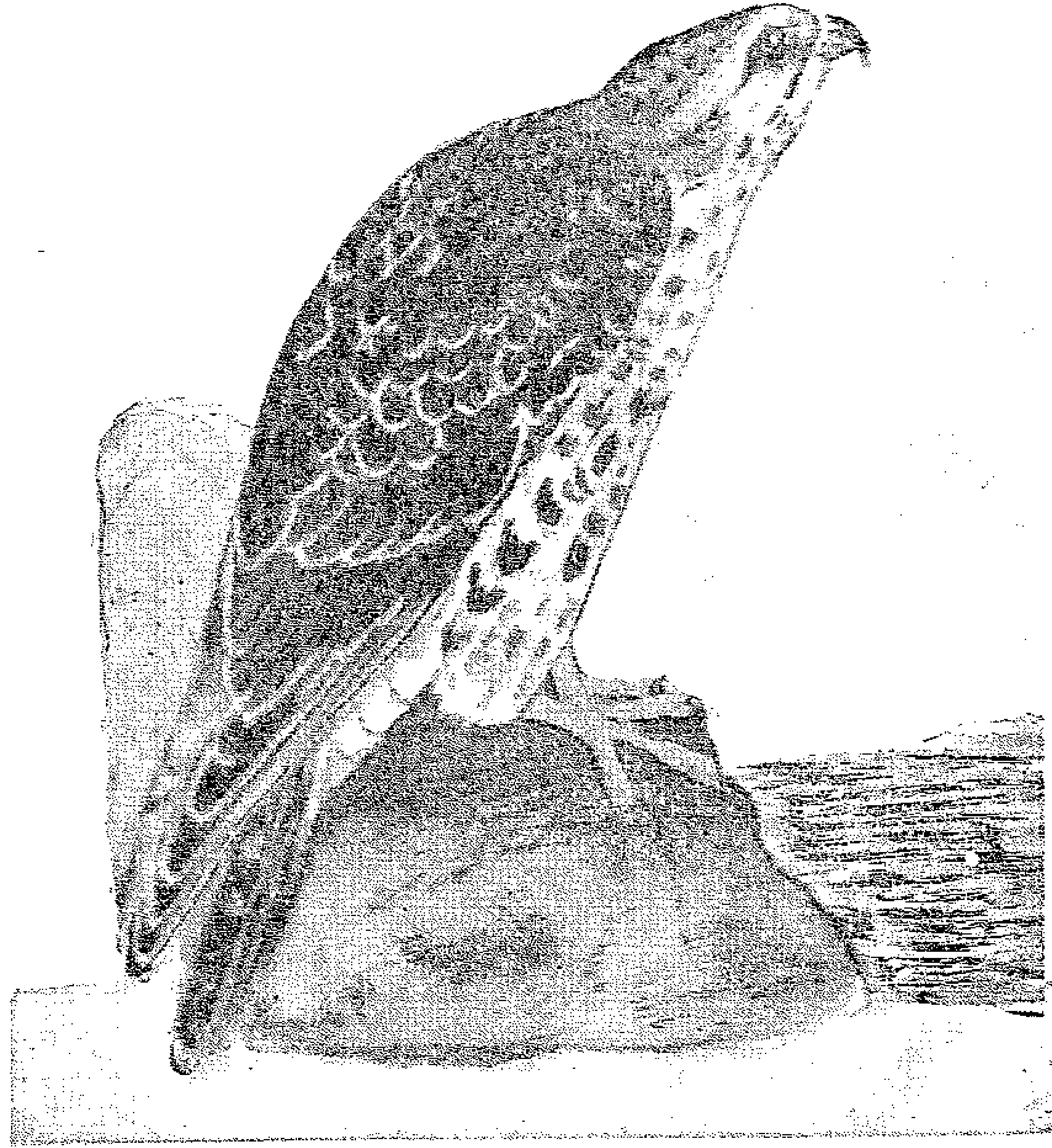
والعقاب تصيد أيضاً حمار الوحش وسبيلها إلى ذلك هو أنها إذا نظرت إلى حمير وحش رمت بنفسها فى الماء حتى تبتل جناحاها ثم تخرج فتقع على تراب أو رمل فتحتمل منه بجناحيها ثم تطير طيرانا ثقيلا حتى تقع على هامة الحمار فتصفق بجناحيها فتمتلىء عيناه تراباً فلا يبصر حتى يؤخذ . والحمير إذا سمعت صوت جناحيها وثقل طيرانها تحيد وتهرب يمنة ويسرة .

---

(١) الجامع لشتى الألوان .



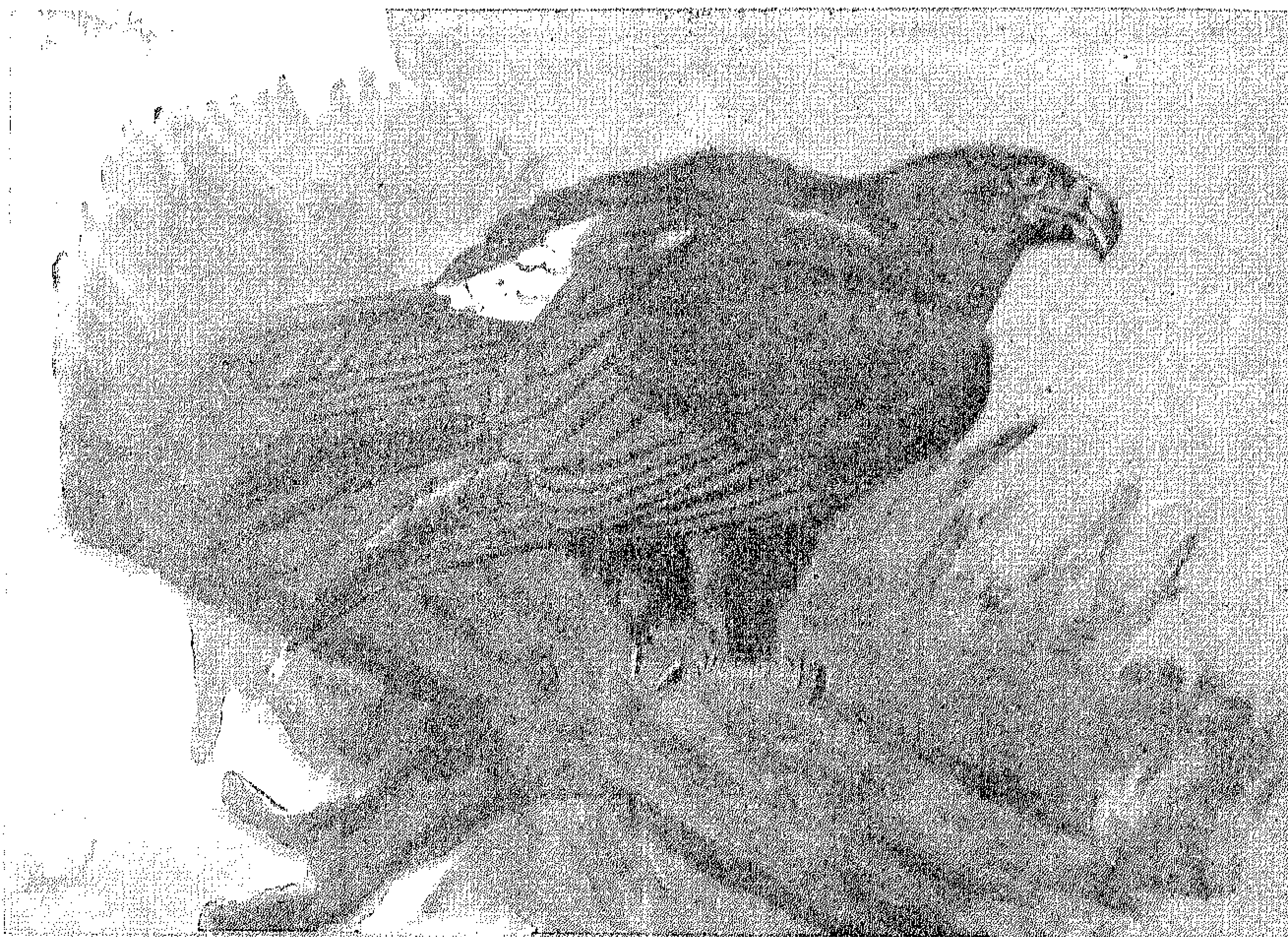
الزرق — الكوهى — شكل ٣١



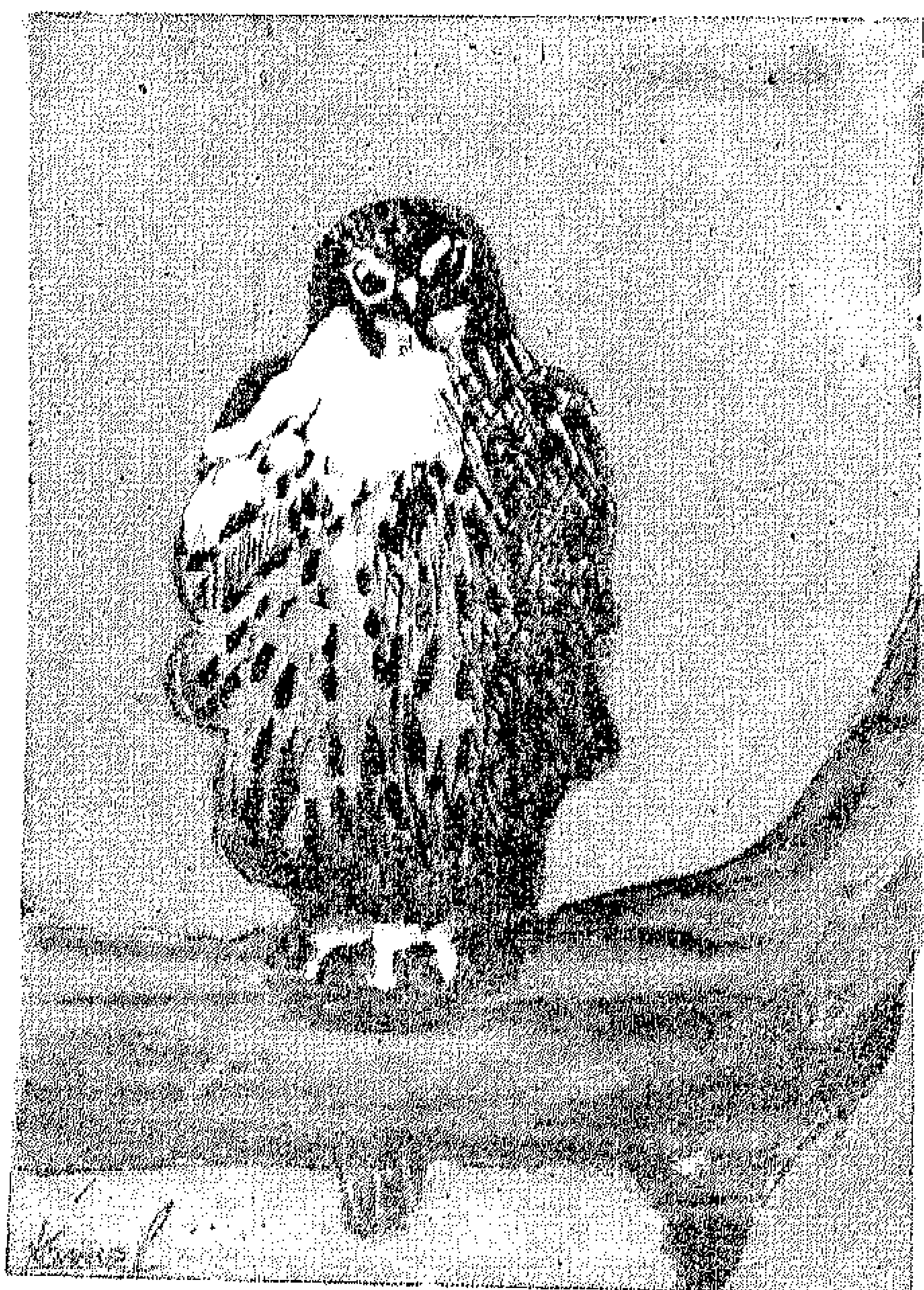
صقر — شكل ٣٢



شاهین — شکل ۳۳



العقاب — شكل ٣٥



الـكونج — شكل ٣٤

ومما ينبغى ما ... أن هناك خطأ واضحاً كثيراً ما يقع فى ترجمة العقـــاب والنسر ولا تزال بعض ذوى الرأى يخلطون فلا يفرقون بين العقاب والنسر . فالعقاب طائر من الجوارح يصيد ، أما النسر فلا يصيد بل يأكل الجيف . فتسمية ابن نابليون بفرخ النسر خطأ لا يغتفر ويجب تسميته بفرخ العقاب ، ومن الخطأ أيضاً تسمية الطيارات المصرية بالنسور المصرية فيجب تسميتها بالعقبان المصرية .

وقد أطلق اسم هذا الطير على بعض أنواع العملة فى أمريكا وهو دينار أمريكى سمى بذلك لصورة العقاب عليه . وقد اتخذت بعض الأمم من اسمه راية لها . وقد كانت راية قريش والفرس والرومان والفرنسيس . وتسمى أفراخها : ضرم . هيثم . تلبج . تلد وتلدة .

وقال امرؤ القيس فى العقاب —

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقال أيضاً :

فأدركته فنالتـــه مخالبها ... فانسل من تحتها والدف منقوب

لامثلها فى ذؤاب الجو طالبة ... ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

وقال الهذلى :

ولله فتخاء الجنـــاحين لقوة ... توسد فرخيهـــا لحوم الأرانب

كأن قلوب الطير فى جوف وكرها ... نوى القسب يلقى عند بعض المآرب

فخائت غزالا جاثماً بصرت به ... لدى سمرات عند أدماء سارب

فمرت على بدء فأعنت بعضها ... فخرت على الرجلين أخيب خائب

٨ — السقاوى (شكل ٣٦) — وتسمى بالصقر الجراح عنـــد عرب الواحات المصرية وتسمى السقاوى عند العرب .

والسقاوات أنواع منها الأحمر والأسود ومنها الأسقع الرأس النقى البياض وهو

الجيد ومنها ما يكون بلون الحدأة وهو الردىء . أما أوزانها فتختلف من رطلين إلى رطلين إلا أوقيـة ، وقد تكون أقل من ذلك وأكثر . ويصاد بها الأرانب والكروان والحبارى والغراب والحبرج والحجل وهى تصيد الأرنب بغير كلب وهى صبور على الحر، وشوهد منها ما يصيد الغزلان والتيوس .

٩ — الزمج (شكل ٣٧) : والزماجة على أنواع فنها الأحمر الحــدئى[1] والاسبهرج والأصفر وفيها ما يضرب إلى السواد وأجودها الأحمر الاسود العين أما وزنها فستة أرطال وفيها ما وزنه خمسة أرطال فقط وما وزنه خمسة أرطال ونصف رطل وهى أرق من العقاب . وقال أبو فراس الحدانى فى هذا الصدد فى قصيدة يصف فيها الطرد —

جئت بــاز حسن أسبهرج　　دون العقــاب وفويق الزمج

وسبيلها الرفق إلى أن تهرد وهى ملاحج خفيفة الأرواح ولها مع ذلك فراهة على الكركى ، لاغير والمتوسط أفرهها وهى خفيفة المحمل وتستجيب كما يستجيب الباشق إلى يد الفارس .

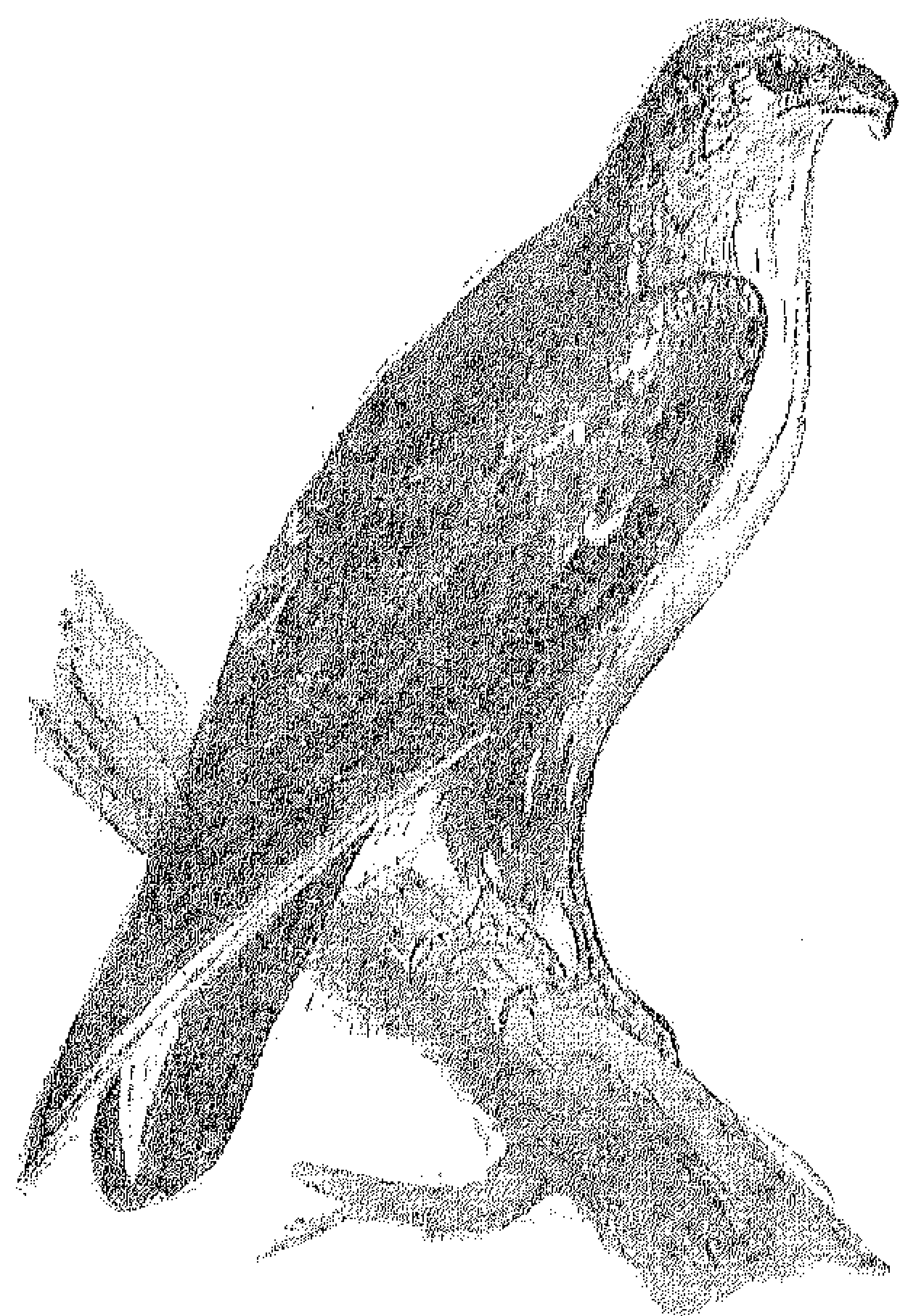
ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن إناث الجوارح عامة أصيد من ذكورها كما أنها أكبر حجما منها .

عرق الطيور

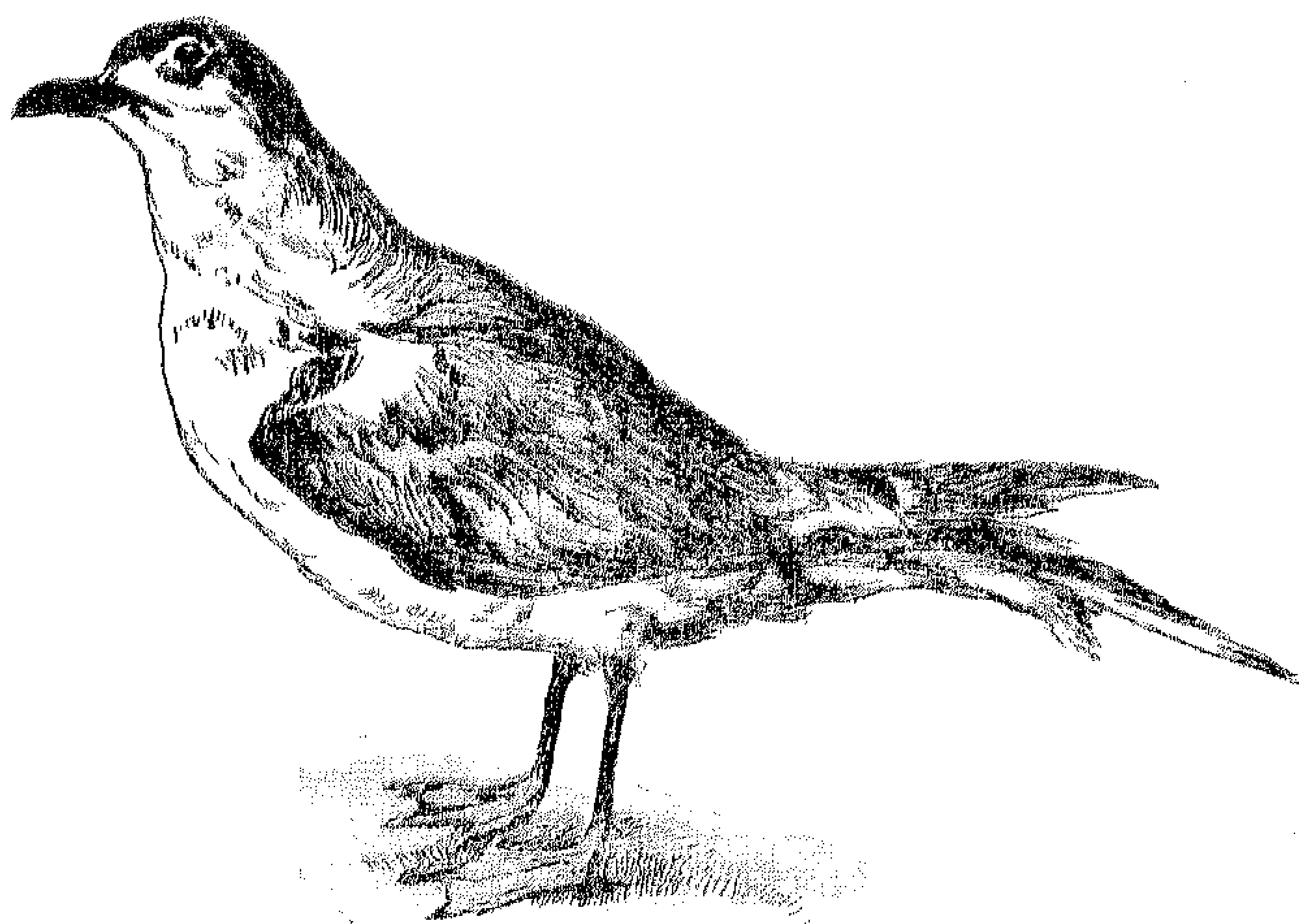
من المعلوم أن العرق الذى يتصبب من أجسام الحيوانات الحارة الدم حينما ترتفع حرارة الجو أو يكثر عمل الجسم إنما يكون لخفض حرارة الجسم فتعود إلى مستواها الطبيعى . وهــذا الخفض يتم بالبخر . ولكن الطيور وهى من الحيوانات الحارة الدم لا تعرق . فكيف إذن تحتفظ بحرارة جسمها وتحول دون ارتفاعها ؟ . الجواب عن ذلك هو أنها أولا تتلمس ظلال البساتين والحدائق فى

---

(١) الذى لونه يشبه لون الحدأة .



سقاوى — شكل ٣٦



الزمج — النورس — شكل ٣٧

حر الظهيرة فيساعدها ذلك قليلا ، وثانياً أن لها نظاماً من الأكياس الهوائية فى صدرها متصلة برئاتها وظيفتها تبريد الدم حينما يدور دورته الرئوية .

الصيد بالفهد

إن الصيد بالفهد (شكل ٣٨) كان على ثلاثة أصناف عند العرب فمنها أن ينزل إلى الوحش ولا تعلم به ومنها مايكون بمجاودة[1] ومنها ما يخلى وتطرد له الوحش وأحسنها ما كان بمجاودة .

ومن شأنه إذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى يأخذها فيحمى لذلك وتمتلىء رئته من الهواء الذى حبسته وسبيله أن يراح ريثما يخرج ذلك النفس وتبرد تلك الغلة ويشق له عن قلب الطريدة ويطعمه ويسقى ريه من الماء إن كان الجو حاراً ودون الرى إن لم يكن الحر شديداً ثم يبتغى به طريدة أخرى ولا يكلف فى هذا اليوم أكثر من خمسة أطلاق وقد يصاد به فى اليوم نحو عشرة أطلاق لكنه إن لم يرح لا يفلح بعد ذلك ومن طباعه الحياء وكثرة النوم والغضب .

والمسن من الفهود إذا صيد كان أسرع أنسا وأقبل للتأديب من الجرو الذى يربى ويؤدب لأن الجرو يخرج خبا[2] والمسن يخرج على التأديب صيوداً غير خب وليس شىء فى مثل جسم الفهد إلا الفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة التى يحمل على مؤخرها والأنثى منه أصيد .

قال ابن المعتز يصف فهدة :

ولا صيد إلا بوثابة تطير على أربع كالعذب
فان أطلقت من قلاداتها وطار الغبار وجد الطلب
فزوبعة من بنات الرياح تريك على الأرض شيئا عجب

---

(١) أى مسابقة فى إفلات الوحش من الفهد وإدراك الفهد للوحش (٢) السير بسرعة .

تطم الظريد إلى نحرها   كضم المحبة من لا يحب

وقال المكتفى يصف يوم صيد بكثرة وحشه وضراة فهوده : « فمضى يومنا بين فهود لاتشبع وظباء لاتجزع ». رواه عنه أبو بكر محمد بن يحى الصولى .

وقال بعضهم فى صفة الفهد والطريدة :

بذلك أبغي الصيد طورا وتارة   بمخطفة الأكفال جب الترائب
مرققة الأذناب نمر ظهورها   مخططة الآذان غلب الغوارب
مدربة زرق كأن عيونها   حواجل تستذرى متون الكواكب

الكلاب السلوقية

تنسب الكلاب السلوقية إلى «سلوق» وهي قرية باليمن . والعرب تنسبها كما تنسب الخيل . وروى هشام عن بن عباس أن أسماء تلك الكلاب هي : المختاس وغلاب والقنيص وسلهب وسرحان والمتعاطس .

وأناثها أسرع تعلماً من الذكور وأطول أعماراً وتعيش عشرين سنة وليس كذلك غيرها من الكلاب . وأكثر ما تضع ثمانية أجر وربما وضعت واحداً وحملها ستون يوماً وإذا ولدت وضعت الجرو ملصق الأجفان ويمكث على هذه الحال إثنى عشر يوماً .

وسأل زيد الخيل حين وفد على رسول الله (صلعم) وسماه زيد الخير ، فقال فينا رجلان يقال لأحدهما « زرع » والآخر « أبوجداية » لهما خمسة كلاب تصيد الظباء فما ترى في صيدهن ؟ فأنزل الله عز وجل فى ذلك « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح » .

وسبيل استئناس هذا النوع من الكلاب هو إطعامه كسرة بعسل ثم هو إن استمر ذنبه ذاهباً بين فخذيه إلى بطنه فهو غير مستأنس فاذا رفعه فقد استأنس وإذا مضغ له صاحبه وتفل فى فيه استأنس أيضاً .



شکل ۳۸

ومن خصائصه أن رأسه كله من عظم واحد ، وإذا رأى الظباء بعيدة كانت أو قريبة عرف المعتل وغير المعتل منها وعرف العنز من التيس وإذا أبصر القطيع لا يقصد منه إلا التيس وإن علم أنه أسرع منه عدواً وأبعد وثباً . لأنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حقب ببوله واذا حقب التيس لا يستطيع البول فيثقل عدوه ويقصر مدى خطوه ويعتريه البهر حتى يلحقه الكلب (شكل ٣٩) .

وفى هذا المقام قال أبو فراس :

واجعل كلاب الصيد نوبتين يرسل منها اثنان بعد اثنين
ولا يتوخر أكلب العراض فهن حتف للظباء قاض

ويخرجه الصائد إلى الصيد فى يوم الجليد والثلج المتراكم على الأرض بحيث لا يثبت عليهما قدم ولا خف ولا حافر ولا ظلف فيمضى الكلب عليه وذلك لضلاعة وطأته وقوة حسه وسمعه وبصره وإنه إن سمع للماء خريراً من تحت لم يجز منه . يمضى الكلب ومعه الصياد المجرب فلا يدرى أين موضع جحر الأرنب ولا موضع كناس ظبى ولا مكو ثعلب ولا غير ذلك من موالج وحوش الأرض ، فيتلفت الكلب من حوله ويتشمم ويتبصر حتى يقف على أفواه تلك الجحور فيثير ما فيها وذلك أن أنفاس الوحش وبخار أجوافها وأبدانها وما يخرج من الحرارة المستكنة فيها وهى فى تلك الجحور من شأنه أن يذيب الثلج الكائن عند مداخلها حتى يرق ذلك وهو خفى غامض إلا على الكلب . ومن دهائه أنه لا يخفى عليه الميت والمتماوت عند الشم . ويقال أن المجوس لا يدفنون ميتاً لهم حتى يدنو منه فيشمه وتظهر لهم منه فى تشممه علامة يستدلون بها على حياته أو موته . وكذلك لا تجوزه حيلة الثعلب المتماوت الذى لا يفعل ذلك مع الكلب بل يتماوت للغراب وغيره فينفخ بطنه حتى إذا دنا منه قبض عليه .

وكل الجوارح تعمل لنفسها ماعدا الكلاب فإنها تجرى على خلق الاكتساب لأصحابها .

والكلب إذا كانت أسنانه سوداً كليلة دل ذلك على كبره وإذا كانت بيضاء حادة دل ذلك على شبابه . وأسنان الذكر أكبر وهو شديد المضغ والحطم والاستمراء . ويستدل على فراهته بطول مابين اليدين والرجلين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف الأذنين وبعد ما بينهما كأنما انضمتا على العنق وزرقة العينين وضخامة المقلتين ونتوء الحدقة وطول الخطم ودقته وسعة الشدق ونتوء الجبهة وعرضها وشدة المنازعة للمقود والسلسلة .

ومن أمارات النجابة أن يكون تحت حنكه خصلة شعر واحدة غليظة وكذلك الشعر الذى على خديه ويستحب فيه قصر اليدين وطول الرجلين لأن ذلك عون له على الصعود وطول الصدر وغلظه وقربه من الأرض ونتوء الزور وغلظ العضدين واستقامة اليدين وانضمام الأظفار حتى لا يدخل بينها تراب ولا طين وعرض ما بين مفاصل الأعطاف وعرض ما بين أصل الفخذين والصدر واستقامة الرجلين من غير أن تنحني الركبتان وقصر الساقين وقصر الذنب ودقته حتى يكون كأنه خشبة من صلابته وليس يستحب أن يطول ذنب الأنثى .

وقال المأمون لبعض أصحابه أمض إلى بادية كذا فابتع منها خيلا تستجيدها ، فقال يا أمير المؤمنين لست أبصر الخيل قال أفلست بصيرا بالكلاب قال نعم قال فابصر كل ما تتوخاه فى الكلب الفاره المنجب فالتمس مثله فى الفرس .

والسود أقل صبراً على الحر والبرد والبيض أفره إذا كن سود العيون ، وقال آخرون إن السود تصبر على البرد وزعموا أنها أقوى وأن كل أسود من الحيوان أقوى من غيره .

وإذا ولدت الكلبة واحداً كان أفره من أبويه وإن ولدت اثنين فالذكر أفره



شكل ٣٩
كلب سلوقى يثب على فريسته
على قرميدة فارسية من القرن الحادى عشر
(مجموعة جمسراجان بك — الإسكندرية)

من الأنثى وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى من شبه الأم فهي أفره الثلاثة وإن كان فى الثلاثة ذكر واحد فهو أفرهها وما قل سقوطه من الجراء الصغار عند المشى على أربع فهو الأفره .

والكلاب الفره تكسر الظباء وتتجاوز الظباء إلى اليحمور فتكسره فان زادت تعلقت بالأيل (١) . وقال بعض المحدثين فى ذلك —

أنعت كلبا للقلوب مجذلا　　آلى إذا أمسك ألا يقتلا

مؤملا لأهله ممولا　　يزيد ذا الوفر ويغنى المرملا

ذا همة فى الصيد فى أعلى العلا　　يستصغر الظبي فيبغى الأيلا

لايجد الأيل منه موئلا　　تخاله من خوفه معقلا

يعول من كان عليه عولا

ولا يطيقه منها إلا ذو البنية القوية ، وبعد أن يجمع عليه الاثنان والثلاثة من كلاب هذه صفتها ، وهى ترهب قرونه . وقد يصيد الكلب الدراج ، وأما الأرنب والثعلب فالواحد من الكلاب يصيدها . وقال الحسن بن هانىء يصف ذلك —

من كل أدفأ مستبان المنكب　　يشب فى القود شبوب المقرب

يلحق أذنيه بحد المخلب　　فما ثنى وشيقة من أرنب

كما أن الصقر والبازى تصيد الأرنب . وقال بعض الأدباء —

لا تستفيق من الطراد جيادهم　　فتراهم أبداً على أوفاز

فبزاتهم تصطاد صيد كلابهم　　وكلابهم تصطاد صيد البازى

ألغوا الوغى فتعللوا بمصائد　　عن شن غارات وبعد مغاز

وخير مارآه العرب من كلاب الغرب البلق (٢) وهى حسان فره على كل ما

---

(١) فصيلة من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أى لا تجويف فيها كما فى قرون الظباء وهى تنسلخ عنهـا فى كل سنة وينبت غيرها وأما إناثها فعلى الغالب جم أى لا قرون لها (٢) التى يجمع لونها السواد والبياض .

أرسلت عليه من الطرائد . وخير كلاب الشرق ما جاء من بلاد الأكراد وبنوا هذا الحكم على ما شاهدوه وخبروه .

الظباء .

الظباء عند العرب أصناف تختلف باختلاف مواضعها فالأبيض منها يقال له « الأرام » وهو يسكن الرمل ، والحمر منها تسكن القفاف وهى المواضع العالية ، ومنها العصم والوعول [1] (شكل ٤٠) وهى التى فى أكرعها بياض والغرض من تمييزها هو إحاطة الصياد علما بهذه المواضع حتى أنه إذا رأى من هذه الأصناف شيئا علم من أين اقتنص فينسبه إلى مكانه . والظبى أول ما يولد يسمى « طلا » ثم «خشف» ثم « شادن » إذا طلع قرنه فإذا تمت قرونه فهو «شصبر» ثم « جذع » ثم « ثنى » وجمعها « ثنيان » وهى لا تزيد على ذلك حتى تموت .

وقال عدى بن الرقاع فى ظلف الظبى لما يطأ عليه :

تزجى أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

وقال آخر فى حجم القرن :

كأنهما فضان من فوق فضة   من الجذع أو زران بالأمس سودا

ويستدل على الظبى الكبير بنباحه لأنه إذا أسن نبح . قال الشاعر :

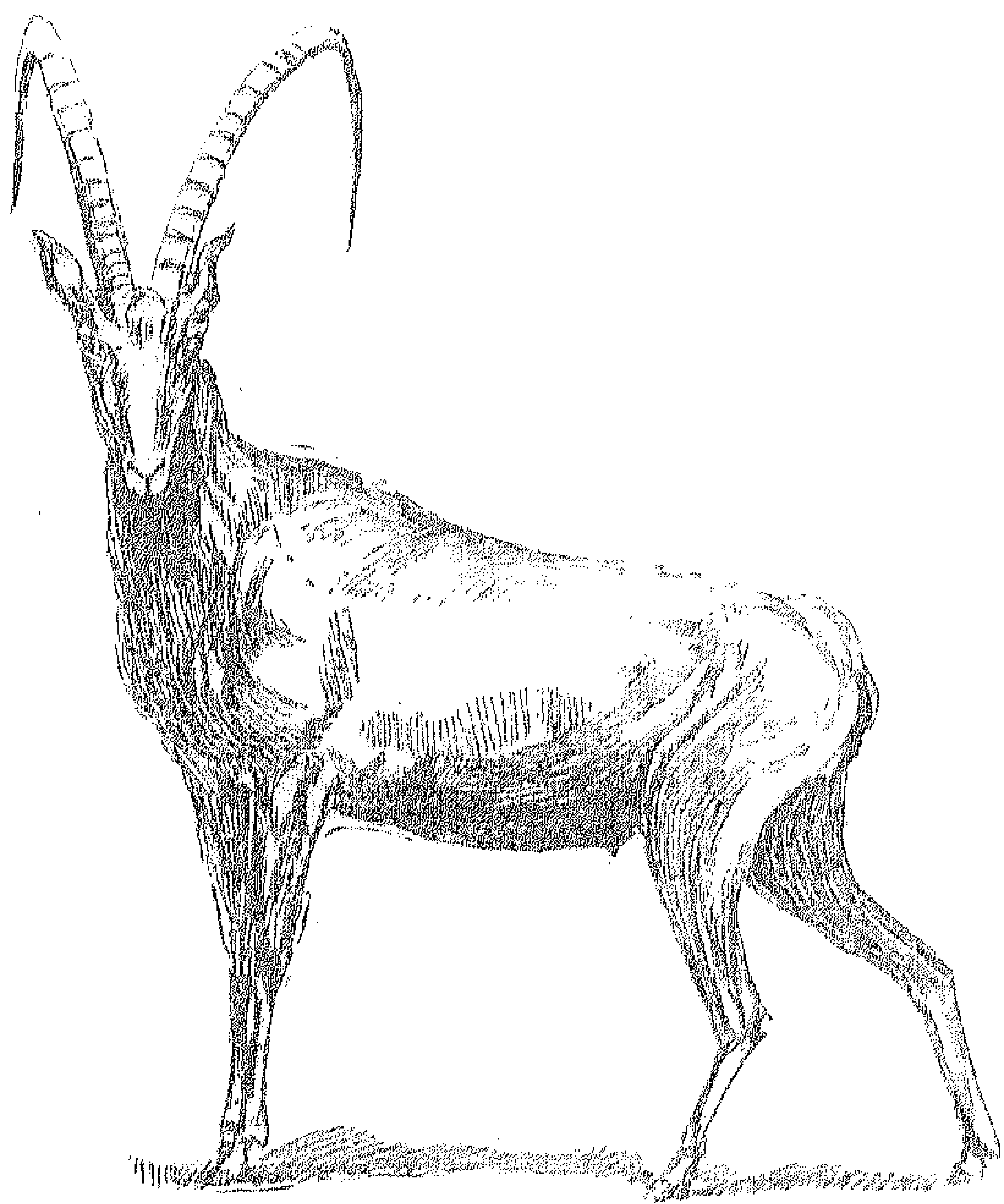
وينبح بين الشعب [2] نبحا كأنه   كلاب سلوق أبصرت ما يريبها

ويصاد بالشرك والحبال وإيقاد النار بإزائه فإنه لايزال يتأملها ويدمن النظر

---

(١) جنس من المعز الجبلية للواحد منه قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين يلتقيان حول ذنبه من أعلاه والنوع الذى فى شبه جزيرة العرب وسيناء وصحراء مصر الشرقية والسودان الشرقى يعرف بالبدن (وعل عربى)

(٢) الطريق أو المنفرج بين جبلين



الوعل — شكل ٤٠

اليها فيعشى بصره ويذهل عقله وربما أضيف إلى النار تحريك أجراس فيذهل لذلك ويؤخذ .

ويصاد بالناقة وهو أن تتخذ له ناقة تسمى «الدرية» ويتوغلون بها فى المرعى حتى تكثر الظباء النظر اليها ويخفى صاحبها نفسه ويكمن ويستتر ويأتى متخفياً يمشى إلى جانبها حتى إذا دنا من الظبى قبض عليه أو رماه عن كثب .

وقال أبو الطماح :

حنتنى حانيات الدهر حتى كأنى قانص أدنو لصيد .
قريب الخطو يحسب من رآنى ولست مقيداً أمشى بقيد

وقال أبو فراس فى هذا الموضوع ما نصه :

ثم عدلنا نطلب الصحراء نلتمس الوحوش والظباء

ويصيده العربى الشديد العدو بالجرى حتى يقبض على قرنه ويصيده الطير والعقاب . وكتب بعضهم إلى أخ له يقول —

وكشتابية(١) من لحم ظبى أتتك به الجوارح بعد كده

وأطيب ما فى الظبى كبده . وزعم حكماؤهم أن دم التيس منها مانع من السموم وأن مرارته تنفع من العشى فى العين وإذا خلط دمه بلاذن ودهن به الشعر غلظه وطوله .

والغزال يصادق من الحيوان الحجل وفى هذه المناسبة قال أبو فراس :

ثم عدلنا عدلة إلى الجبل إلى الأراوى(٢) والكباش والحجل

---

(١) لعلها طعام تشتهى يصنع من اللحوم . (٢) كباش الجبل .

أخبار من اشتهر بالطرد من الخلفاء وأقيال العرب وأمرائهم

الصيد أولع به كثير من الأمم منذ أقدم العصور . قال ارسطاطاليس « أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة فلو أن رجلا سقط إلى بلدة ليس بها أنيس ولا زرع لم تكن له همة إلا حفظ جسمه ونفسه بالغذاء الذى به قوامه فليس يفكر إلا فيما يصيده فإذا صاد واغتذى فليس يفكر بعد ذلك إلا فيما يستظل به ويستكن فيه وهو البناء فإذا تم له فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه ، ويغدو للصيد اثنان متفاوتان صعلوك مستحق الأطمار وملك جبار فينكفئ الصعلوك غانماً وينكفئ الملك غارماً وإنما يشتركان فى لذة الظفر ولا مؤونة أغلظ على ذى المروءة من تكلف آلات الصيد لأنها خيله وفهوده وكلابه وآلاته يحتاج فى كل قليل إلى تجديد ومن هاهنا قيل إنه لا يشغف بالصيد إلا سخى » .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى التفسير قال « إنما سمى أصحاب المسيح الحواريين لبياض ثيابهم وكانوا صيادين » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رتب الأنصار فنصب خمسين رجلا منهم فى واد وقال « ارموا يابنى اسماعيل فقد كان أبوكم رامياً » . وكان اسماعيل عليه السلام مولعاً بالقنص محباً له متعبا نفسه فيه مباشراً لعمل آلات الرمى ولقد قصده أبوه ابراهيم عليه السلام زائراً لينظر إليه فلم يجده بمحله لشغله بالقنص .

والخليل بن احمد الفرهودى مع فضله وأدبه وكمال علمه كان صياداً ماهراً وكان له باز يقتنص به .

وقال أبو العباس السفاح لأبى دلامة سل فقال « كلباً » قال « ويلك وما تصنع بكلب ؟ » قال « قلت سل والكلب حاجتى . » قال « هو لك » قال « ودابة تكون للصيد » قال « ودابة » قال « وغلام يركبها ويتصيد عليها » قال « وغلام » قال

« وجارية تصلح لنا صيدنا وتعالج طعامنا » قال « وجارية » قال أبو دلامة « كلب ودابة وغلام وجارية هؤلاء عيال لا بد من دار » قال « ودار » قال « ولابد من غلة [1] وضيعة لهؤلاء » قال « قد اقتطعناك مائة جريب [2] عامرة ومائة جريب غامرة » قال « وما الغامرة ؟ » قال « لانبات فيها » قال « أنا أقطعك خمسمائة جريب فى فيافى بنى أسد » قال « فقد جعلنا لك المائتين عامرة ، أبقى لك شىء ؟ » قال « أقبل يدك » قال « أما هذه فدعها » قال « مامنعت عيالى شيئاً أهون عليهم فقداً من هذا » .

وقيل لبعض من كان مدمناً على الصيد من حكماء أقيال العرب إنك قد أدمنت هذا وهو خير الملاهى وفيه مشغلة عن مهم الأمور ومراعاة الملك ، فقال إن للملك فى مداومة الصيد حظوظاً كثيرة أقلها تبينه فى أصحابه مواقع العمارة من بلاده فى النقصان والزيادة فيه فإن رأى فى ذلك ما يسره بعثه الاغتباط على الزيادة فيه وإن رأى ماينكره جرد عنايته له ووفرها على تلافيه فلم يستتر منه خلل ورأس الملك العمارة ، ولم يخرج ملك لصيد فرجع بغير فائدة ، أما دوابه فيمرنها ويكشف من غرب خامها وأما شهواته فينشيها وأما فضول بدنه فيذيبها وأما مراود مفاصله فيسلسها وإما أن يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من لقائه ويبوح إليه بظلامته فيسلم من مآثمه وإما أن ينكى بصيد يتفاءل بالظفر به إلى خصال كثيرة لايخيل مافيها من الربح .

وكان ملوك الأعاجم تجمع أصنافها وتدخل أصاغر أولادهم عليها وتعرفها صنفاً صنفاً منها خشية أنهم إذا كبروا ولم يكونوا رأوها فى صغرهم فرأوا شيئاً منها غريباً سألوا عنه ، وأشرف الغذاء الذى يحفظ به الأعضاء وما شاكلها وليس

---

(١) يريد بالغلة قوت تنتجه الضيعة

(٢) الجريب مقدار معلوم من الأرض وقدر بثلاثة آلاف وستمائة ذراع

شيء أشبه بها وأسرع استحالة اليها من اللحم وأفضل اللحمان ما استدعته الشهية وتقبلته الطبيعة بقوة عليه ولا لحم أسرع هضما وأخص بالشهية موقعاً من لحم الصيد المطرود المكدود لأن ذلك ينضجه ويهريه ويسقط عن الطبيعة بعض المؤونة في طبخه وقد قام في النفس من الحب له والتهالك عليه والتشوق اليه ما لم يقم فيها لغيره من الأطعمة فإذا وافى الأعضاء وقد تقدمت له هذه المقدمات أحالته بالقبول في أسرع زمان وإن كان الحيوان غليظا عكست هذه الأسباب طبعه ونفت ضرره وقمعت كيموسه[1] وربما أكل اللطيف الخفيف على مضض وتكره فكان إلى أن يأخذ من الأعضاء أقرب من أن تأخذ منه الأعضاء. وتأول الرواة معنى امرئ القيس في قوله :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره
فأتته الوحش واردة فتمتى النزع من يسره
فرماها في فرائصها من إزاء الحوض أو عقره
مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره

على المدح بإدمان الصيد ويمن الطائر فيه واستثناؤه بقوله على كبره زائدعندهم في المدح لوصفه أنه يتكلف من ذلك مع قدح للسن وأخذها منه شيئاً لا يعجزه مع هذه الحال ولا يلحقه فيها ما يعرض للمسن من الفتور والكلال وبنو ثعل بنو عمه لأنهم نخذ من طيء وكندة نخذ من مرة ومرة أخوطيء فلم يرد غير المدح وهذا الرامي عمرو الثعلي وكان من أرمى الناس وفيه قيل :

ليت الغراب رمى حمامة قلبه عمرو بأسهمه التي لم تلغب [2]

وفي أبيات امرئ القيس هذه أدب من أدب الصيد ولطائف حيله وهو

---

(١) كلمة سريانية ومعناها الخلط والمزاج الجانح إلى الشدة .

(٢) لم تضعف عن الطعان

قوله فتمتى النزع من يسره . وتمتى وتمطى واحد أبدلت التاء من الطاء وفى تمتى معنيان أحدهما الاعتماد والتوسط ، فتمتاه بمعنى تعمد متساه والآخر بمعنى إبدال التاء من الطاء يريد التمطى وهو أن مريد الصيد بالرمى يتمطى بيساره نحو الأرض مرات حتى يونس الطريدة فتألف ذلك منه ولا تذعر له ثم حينئذ يستغرق نزعه ويمضى سهمه . ولا يزال امرؤ القيس فى كثير من شعره يفخر بالصيد وأكل لحمه كقوله مع عراقته فى الملك :

تظل طهـــاة اللحم من بين منضج　　　صفيف شواء أو قدير[1] معجل

ذكر بعض الأدباء عن رجل من الشعراء قصد بعض الكبراء فتعـذر عليه ما أمله عنده وحال بينه وبينه الحجاب وكان آلفاً للصيد مغرى به فعمد الشاعر إلى رقاع لطاف فكتب فيها ماقاله من الشعر فى مديحه وصاد عدة من الظباء والمها[2] (شكل ٤١) والأرانب والثعالب ، وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض وراعى خروجه إلى الصيد فلما خرج كمن له فى مظانه[3] ثم أطلقها فلما ظفر بها واستبشر ورأى تلك الرقاع ووقف عليها زاد فى طربه واستطرف الرجل واستلطفه وتنبه على رعى ذمامه وأمر بطلبه فأحضر ونال منه خيراً كثيراً .

وقال يحى بن خالد البرمكى فى توصيته ولده « ولو أن ملكا يهدى له فى كل يوم عدد كثير من أصناف الوحش والطير لم يبلغ فرحه بذلك جزءاً واحداً من اغتباطه بقنبرة[4] (شكل ٤٢) ضئيلة يدأب فى صيدها أو عكرشة[5] هزيلة يظفر بها

(١) القدير ما يطبخ فى القدر والمعجل المسرع به .

(٢) جنس من بقر الوحش له قرنان طويلان كسيفين أحديين واسمها ضيحي فى الحجاز ونجد والعراق ويضرب العرب بها المثل فى جمال عيونها قال على بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر　　　جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(٣) المواطن التى يظن أنه فيها (٤) طائر معروف فى شبه جزيرة العرب والشام والعراق بهذا الاسم ويكنى بالحمرة فى شرق شبه الجزيرة وبأبى قويع فى اليمن وبالدالوع وبأبى المليح عند عامة أهل مصر . (٥) أرنب .

وكم من جواد رائع يضن بظهره على أحب أولاده إليه قد قتله بازياره (البازيار مدرب الباز على الصيد) .

وكان ولع العباسيين بالصيد شديداً حتى أنهم قد اقتبسوا الكثير من أساليب الصيد عند الفرس . وقد كانت مناظر الصيد الفارسية (شكل ٤٣) معينا هاما يستمد منه رسم وزخرفة الكثير من الألواح الفنية .

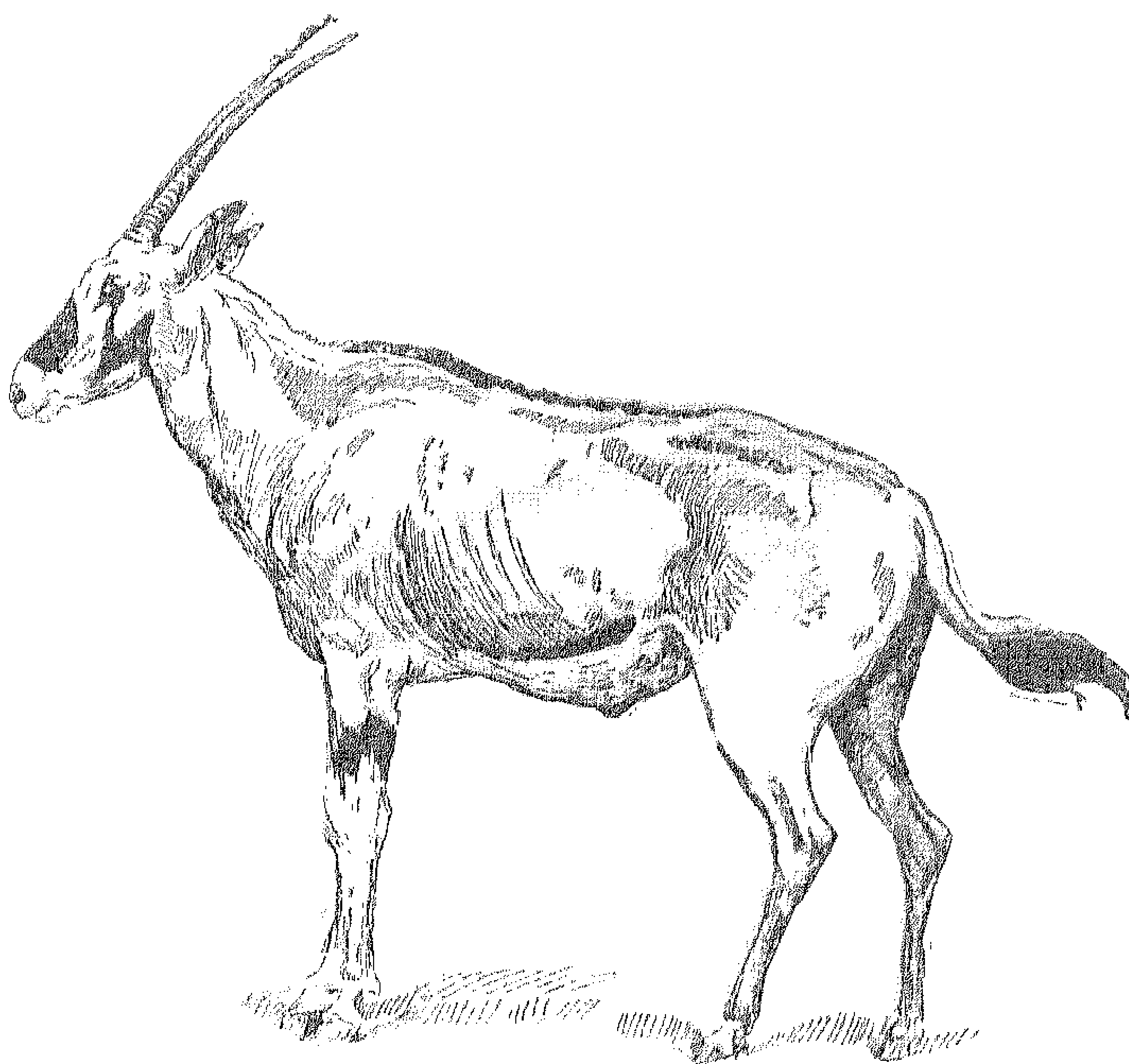
وقال محمد بن الوزير الحافظ الغساني فى بيتين له يعتذر فيهما من تأخير هدية :

يفديك خل إذا هتفت به   جرت (١) مجارى لسانه يده
أخر ما عنده لتطلبه   ولذة الصيد حين تطرده

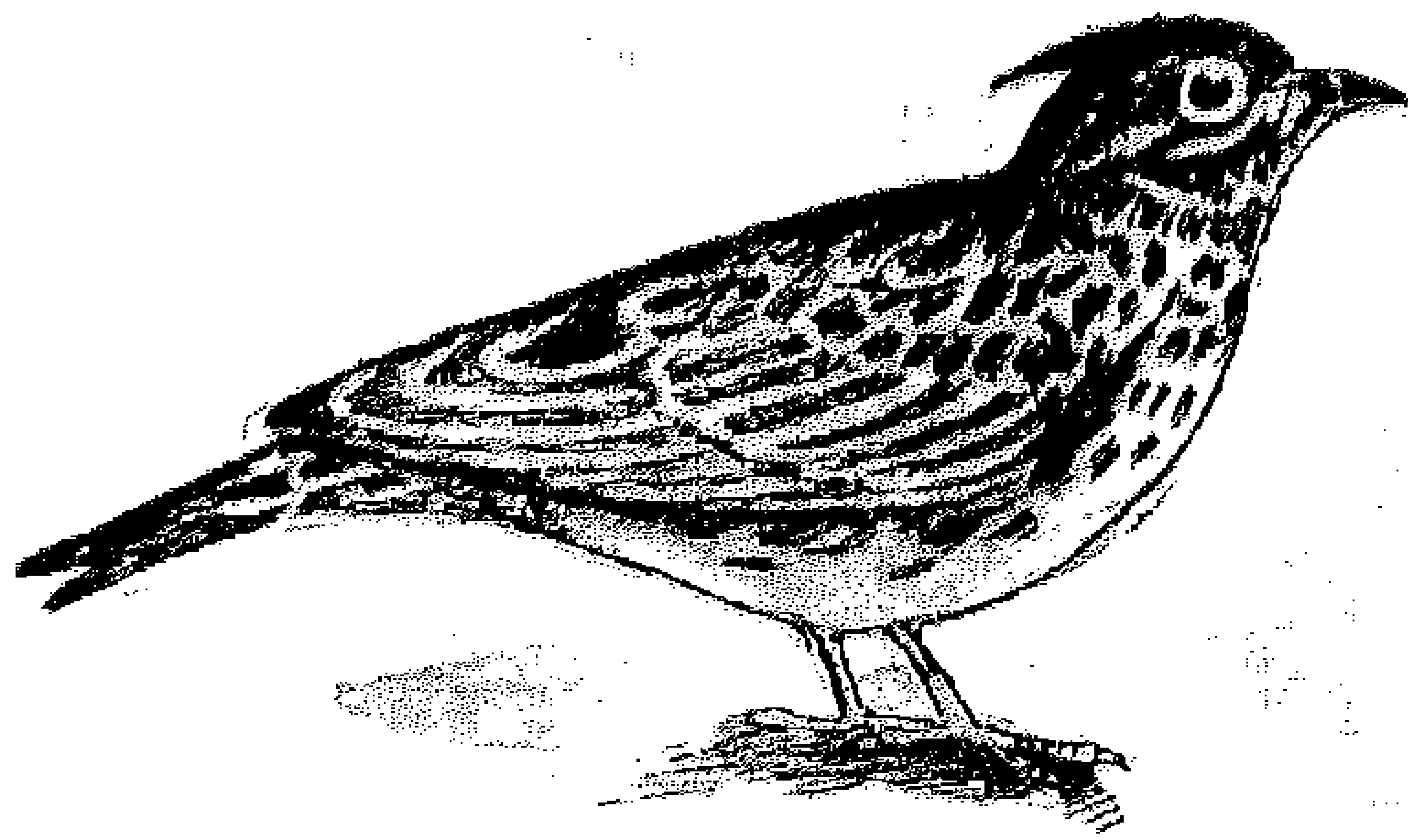
ومن فضل العلم بالصيد والعادة له ما روى عن إسحاق ابراهيم بن السيدى عن عبد الملك بن صالح الهاشمى عن خالد بن برمك أنه نظر وهو مع صالح الهاشمى صاحب المصلى (٢) وغيره من رجال الدعوة وهو على سطح قرية نازل مع قحطبة حين فصلوا من خراسان وبينهم وبين عدوهم مسيرة أيام — إلى أقاطيع ظباء مقبلة من البر حتى كادت تخالط العسكر فقال لقحطبة : ناد فى الناس بالأسراج والألجام وأخذ الأهبة . فتشوف قحطبة فلم ير شيئاً يروعه ، فقال لخالد : ما هذا الرأى؟ فقال: أما ترى الوحش قد أقبلت ؟ إن وراءها جمعا يكشفها . فما تمالك الناس أن يتأهبوا حتى رأوا الطليعة ، ولولا علم خالد بالصيد لكان ذلك العسكر قد اصطلم (٣).

ومن فضائل الصيد أنه كان الملك من ملوك فارس إذا عمل على ركوب الصيد دفع أصحاب ركابه سوطه إلى بطانته وهم خاصته ودفعته الخاصة إلى الخدم وأدخله الخدم إلى موضع نسائه فناولته إياه امرأة وخرج من عندها وهو بيده . فأما فى أوقات ركوبه إلى سائر المواضع غير الصيد والحرب فيناوله السوط من حيث

(١) يريد أن يده نفذت ماوعد به لسانه (٢) الجواد الثانى فى الخيول المتسابقة (٣) استؤصل



المها — شكل ٤١



القنبره — شكل ٢٤



شکل ۴۳

يركب منه . وكانت الجوارح تنصب على كنادرها من ناحية وسادة نحو رأسه والضواري وهى الـكلاب والفهود وبنات عرس من ناحية مد رجليه والخيل أمامه أو عن يمينه وكل من شهد معـــه الصيد حاش عليه إلعانه والسرب حتى يتصيدها الملك ويتصيدوا هم سائر الوحش والسباع ما لم ينهوا عن ذلك ، ولم يكن يرى أن يخلوا سمعه من زق جارح ونباح ضار وصهيل الخيل وألحـان القيان وطنين الأوتار .

وكان لبهرام جور(١) جارية تترية تسمى « فتنة » كانت كثيراً ما ترافقه عند خروجه للصيد وكانت موسيقية ماهرة فتضرب له العود وتسمعه من عذب الألحان ما يحفزه على الشجاعة وإحراز البطولة فى الصيد وإيقاع الفريسة .

فسألها ذات مرة بمباهاة وتفاخر عن العمل الذى تريده أن يقوم به لتسر له فأشارت إلى حمار وحشى وطلبت إليه أن يخرق حافره الخلفى وأذنه بنشاب واحد فحقق لهـا ما طلبته منه وتمنته عليه بأن رماه بحبة من الصلصال فـكشطت أذنه بدون أن تحدث له ضرراً عندذلك رفع الحمار حافره الخلفى ليخدش أذنه فانتهز بهرام الفرصة وسدد إليه نشابه فتشبك به حافره وأذنه معاً كما أرادته أن يفعل (شكل ٤٥) وبينا هذه الجارية فى رحلة أخرى للصيد مع بهرام عن لها سرب ظباء وكان

(١) هو بهرام الخامس بن يزدجرد الأول من أسرة ساسان ولقب باسم « جور » وهى كلمة باللغة البهلوية أو الفارسية الوسطى معناها « الحمار الوحشى » وذلك لقوته ولما كان عليه جسمه من مرونة وخفة فى الحركة .

نشأ فى بلاط أمراء الحيرة ببلاد العرب وعهد إلى النعمان بن المنذر أمر تنشئته وتربيته ، وقد تبارى مع خصمه كسرى على انتزاع تاج الحيرة الذى وضع بين أسدين جائعين فمن ينتزعه يكون له فأردى بهرام الأسدين وأخذ التاج (شكل ٤٤) وبذلك فاز بهرام على خصمه وهزمه وكان من نصيبه أن عين ملـكا على بلاد فارس . ومات بهرام إثر سقطة وهو فى رحلة من رحلات الصيد .

بهرام من أمهر الرماة كما أسلفنا ولم يشابهه فى ذلك ملك من الملوك ، فقال لها أراك مشغوفة بالصيد مرتاحة إليه فكيف تحبين أن أرمى هذه الظباء فقالت أريد أن تجعل ذكورها إناثا وإناثها ذكوراً ، ففهم كلامها وقدر أنها توهمت فيه العجز عما التمسته منه وأنها حاولت أن تبين من نقصه فتفت فى عضده عند من حضره من أهل مملكته . فقال ما سألت شططاً ثم رمى التيوس من الظبا فألقى قرونها فصارت كالإناث وجعل يرمى كل واحدة من الإناث بسهمين فيثبتهما فى موضع القرنين فتعود الواحدة كأنها تيس (شكل ٤٦) . فلما تم له ذلك على ما طلبته منه عطف عليها ثم قتلها خوفاً من أن تسومه بعد ذلك بفضل همتها وقريحتها خطة يقصر عنها فتندد به .

وحمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه كان من النجدة[1] على ماخصه الله عز وجل به حتى قيل له أسد الله وكان إسلامه عند منصرفه من صيد وعلى يده صقر وجاء فى الحديث أن حمزة كان صاحب قنص فرجع يوما من صيده فقالت له امرأة كانت قد رأت ما نال رسول الله « صلعم » من أذى أبى جهل يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع أبو الحكم اليوم بابن أخيك ، فمضى على حاله وهو معلق قوسه فى عنقه حتى دخل المسجد فلقى أبا جهل فعلا رأسه بقوسه فشجه ثم قال حمزة دينى دين محمد أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض من عذل فى مداومة الصيد :

إنما الصيد همـــة ونشـاط ... يعقب الجسم صحة وصلاحاً
ورجاء ينـال فيه سروراً ... حين يلقى إصـــابة ونجاحاً

ومن خلفاء بنى العباس كان أبوالعباس السفاح شـــديد اللهج بالصيد ناشئاً ومكتهلا .

---

(١) الشجاعة والشدة



شكل ٤٤



شكل ٤٥



شكل — ٤٦

وكان المنصور محبا للصيد كلفا به حتى أنه كان يقرب منه كل مغرم بهذه الرياضة وكل محب لها ..

وكان المهدى محمد بن عبد الله مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ والبعد من التبذل مشغوفاً بالصيد لا يكاد يغبه(١)، ذكر ذلك بعض شعرائه فى كلمة قال فيها :

يغدو الإمام إذا غدا للصيد ميمون النقيبة (٢)
فتؤوب ظافرة جوا رحه وأكلبه الأديبة
بمخالب وبراثن بدما ء ما اقتنصت خضيبة
وسهامه لوحوشه والطير قاصدة مصيبة
وكأنما عرفته فاز قادت لدعوته مجيبة

وكان للرشيد حظ من الصيد ، وكان يرتاح له إذا حضره ارتياحا شديداً حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه والشد فى أثر الطريدة . وقد روى عن بعض ولد عبد الملك قال : كنت أحضر مع الرشيد الطرد كثيراً فحضرت معه يوما ومعنا حسين الخادم ، وكانت الحال بينى وبينه منفرجة ولا يزال يتتبع هفواتى ويغرى بى الرشيد ، فأراغت(٣) الكلاب طريدة وأطلقت عليها وأعطى الرشيدفرسه عنانه ومر يشتد فى طلبها ولم أتبعه ولازدت فى عنان فرسى فرأى ذلك حسين منى فاهتبله(٤) وأسرع إلى الرشيد فقال لو زاد عبد الملك بن صالح فى عنان فرسه حتى يلحق بأمير المؤمنين لم يكن بذلك من بأس ، فقال الرشيد استجهلنا أبو عبد الرحمن ولم ير مساعدتنا على ما نحن فيه ، قال قد فعل ذلك ،فأمسك الرشيد فضل عنانه متوقفاً على حتى قربت منه فعاتبنى على ما أنكره فقلت يا أمير المؤمنين العذر واضح قال وما هو قلت أنا على فرس لا أثق به قال عذر وأمر لى بجنيبة (٥) فركبتها وتسايرنا

---

(١) يمتنع عنه يوما (٢) النفس (٣) أرادت وطلبت (٤) اهتبل الصيد بغاه (٥) الدابة تقاد

غير بعيد إلى أن أثيرت طريدة أخرى ففعل كفعله الأول ولزمت حالى الأولى فاشتد إنكاره وتلوم على فلحقته فقال أقلنا العلة فما استقيلت الزلة ، فقلت يا أمير المؤمنين إذا كنت لا أأثق بفرسي وقد بلوته فانا بما لم أبله أقل ثقة ، فقال لا ولكن السكينة والوقار أفرطا على أبي عبد الرحمن . وكان هذا بعض ما أحفظه على .

وكان محمد الأمين أشد انهماكا فى الصيد وأحرص عليه من كل من تقدمه . وأكثر طرد أبي نواس معمول فى جوارح محمد وضواريه مثل قوله :

فأمتع الله به الأميرا ربى ولا زال به مسروراً

وكان المعتصم أكثرهم محالفة للصيد وأخفهم فيه ركابا لتوفر همته على الفروسية وما شاكلها وقد بنى جداراً على شكل حدوة الفرس يلبس طرفاه نهر دجلة وكان يطلب إلى رجال حلقته أن يطاردوا الصيد إلى داخلها فيقع الصيد محصوراً بين الجدار والنهر. ثم كان المعتضد كالمعتصم فى أكثر أموره ومآربه وأشبه به من سائر بنيه من الخلفاء لمباشرة الصيد وما أشبهه ، ولم ينفك من حرب إلا إلى صيد وكان يخرج لصيد الأسد فيخيم عليها حتى لا يبقى منها باقية .

وقد روى عنه نجبة بن على نديمه قال : كان يقول كثيراً — لما بنى الثريا — أتعلم أن بناءاً من أبنية الخلفاء يشبه هذا البناء أو يعادله فى محل أو موقع. أما ترانى قاعداً على سريرى يعرض على وزيرى ويصاد بين يدى صيد البر والبحر كأنى فى وسط المتصيد ؟ .

وكان يخرج للصيد بمصر فى موضع يعرف بدير القصير منيف على ذروة جبل المقطم مطل على النيل فهو سهلى جبلى بحرى . وقد قيل فى ذلك :

سلام على دير القصير وسفحه بجنات حلوان إلى النخلات
منازل كانت لى بهن مآرب وكن مواخيرى ومنتزهاتى
إذا جئتها كان الجياد مراكبي ومنصرفى فى السفن منحدرات

فأقنص بالأسحار وحشى عينها   وأقتنص الإنسى فى الظلمات
ولحمان مما أمسكته كلابنا   علينا ومما صيد بالشبكات

وكان المكتفى صياداً ماهراً إلا أنه كان أكثر ما يدمنه الصيد بالفهد والعقاب وهما سبعا الضوارى والجوارح ويباشر ذلك بنفسه ويتهنا فيه لشدة الشغف به والارتياح إليه ،وقد روى عنه ذلك شهرام وكان مخصصاً به لمعرفته بالصيد وحسن أدبه . وقد روى بمثله أبو بكر محمد بن نجبة الصولى . وكان جمعها واقتناؤها أكبر همه ولذته ولم يشغف بالصيد شغفه بذلك .

وأهدى إلى بعض الملوك صيد وكتبت معه هذه الأبيات :

أزال الله شكواك   وأهدى لك إفراقا
خرجنا أمس للصيد   وكنا فيه سباقا
فسمينا وأرسلنا   على بختك أطلاقا
فجاد الله بالرزق   وكان الله رزاقا
وأحرزنا من الدراج   ما الرحل به ضاقا
فأطعمت وأهديت   إلى المطبخ أوساقا
وخير اللحم ما أقلقـ   ـه الجارح إقلاقا
وذو العادة للصيد   إذا أبصره تاقا
فيغدوه بما كان   إليه الدهر مشتاقا
فكل منه شفاك الله   مشويا وأمراقا

وذكر لنا التاريخ أيضاً أن المستنجد نظم عدداً من الجماعات كانت تخرج بانتظام إلى الصيد . وكذلك كان يلجأ المستعصم إلى نظام الحلقة فى صيده كما كان يفعل السلاجقة .

والصيد رياضة محمودة محبوبة يمارسها الكثيرون من ملوك أوربا وأمرائها ووجهائها حتى يومنا هذا ، فيخرج الواحد منهم للصيد وهو يمتطى صهوة جواده ويخرج معه جماعة من أصدقائه ورجال حاشيته ومعهم كلاب الصيد على نحو ما كان يفعل ملوك العرب وأمراؤهم ، ولا غرو فقد تشبهوا فى ذلك بهم ونقلوه عنهم وقد قطع بصحة ذلك الأدلة العلمية والحقائق التاريخية .

الباب الثانى

الفروســـية

للفروســـية عند الأمم من قديم الزمان شأن خطير ، ومقام كبير . فكان اليونانيون يقدسون فرسانهم وأبطالهم الذين اشتهروا بينهم كهركليوس وليونيدس وكذلك الرومانيون كانو يفخرون بفحول فرسان الوغى كهرقل الكبير . وكان للفرس عناية خاصة بالفروسية ولهم فرسان معروفون أمثال رستم وطهماسب . ولبهرام جور وغيره كتب فى الفروسية .

وكان للفروسية والفرسان عند العرب فى الجاهلية المقام الأكبر والمكانة الأولى بين العشائر والقبائل ، وكان الدفاع عن الضعيف والانتصار للمرأة والشهامة وغيرها من الصفات التى كان يفخر بها فرسانهم ، وكانوا يسجلون بطولاتهم بأشعارهم فتنتشر بين القبائل ويتغنى بها فى الأسواق كسوق عكاظ ، وفى البادية والأمصار .

وكان الناشىء من أبنائهم لا يكاد يصل الى الثامنة من سنه حتى يحتم عليه أن يتعلم ركوب الخيل ويتدرب على فن الفروسـية . والعرب كانوا منذ جاهليتهم فرساناً كماة تجرى الفروسية فى عروقهم كما تجرى الدماء فى الجسم .

واستيعاب كل مشاهير العرب فى الفروسـية لا تقوم به موسوعات الكتب المفصلة ، ولكنى سأقتصر على ذكر طرف من أخبار بعض من اشتهر منهم بالفروسية وضربت به الأمثال وهم كثيرون . فمنهم :

ربيعة بن مكدم :

وهو من بنى فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب . كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم ، وفيهم يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه لأهل الكوفة

« من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب[1] أبدلكم الله بى من هو شر لكم وأبدلنى بكم من هو خير منكم . وددت والله أن لى بجميعكم . وأنتم مائة ألف ، ثلاثمائة من بنى فراس بن غنم » .

عنترة العبسي بن شداد :

وكان أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يداه كما كان فارساً مغواراً ومقاتلا صنديداً،ويحكى عنه أن بعض أحياء العرب أغاروا ذات مرة على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم وقاتلوهم وفيهم عنترة فقاتلهم واسترد ما فى أيديهم من الغنيمة .

ونقل عن أبى عبيدة أن طيئاً تدعى قتل عنترة ويزعمون أن الذى قتله « الأسد الرهيص » وهو القائل :

أنا الأسد الرهيص قتلت عمراً وعنترة الفوارس قد قتلت

ملاعب الأسنة :

وهو عامر بن مالك وسمى ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

قال ابن قتيبة : وملاعب الأسنة عم لبيد . وكان قد أخذ أربعين مرباعاً فى الجاهلية (المرباع ربع الغنيمة وهو ما كان رئيس القوم يأخذه لنفسه فى الجاهلية) .
وهو من الفرسان الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة والإقدام .

زيد الخيل:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد طيء سنة تسع فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير . وكان طويلا جسيما موصوفاً بطول

---

(١) الخاسر الذى لا نصيب له .

الجسم وحسن القامة وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه فى الأرض كأنه راكب حمارا .

عامر بن الطفيل :

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات — كان عامر من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسباً عظم عنده .

عمرو بن معد يكرب :

هو الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع فى الجاهلية والإسلام ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة عشر فى وفد زبيد فأسلم ، فلما توفى النبى ارتد ولكنه عاد فاسلم على يد أبى بكر .

دريد بن الصمة :

وهو من فوارس العرب المشهورين والذين لا يشق لهم غبار تشهد بذلك غاراته ووقائعه عندما خرج فى فوارس من بنى جشم حينما كانوا يريدون الغارة على بنى كنانة وما صدر منه فى أثناء ذلك مما ينهض دليلا ساطعاً على بطولته وفروسيته .

زيد الفوارس :

وكان من أشهر الفرسان وشهد بعض أيام العرب ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وكان زيد الفوارس فارسهم ، ولهذا قيل له زيد الفوارس .

امية بن حرثان الكنانى :

وينتهى نسبه إلى مضر ، وكان من سادات قومه وفرسانهم .

عمرو بن كلثوم :

وهو شاعر فارس جاهلى وهو أحد فتاك العرب وهو الذى فتك بعمرو بن هند والذى قتل المنذر بن النعمان .

الشنفرى الحارثى القحطانى :

وكان من الفرسان المعدودين ، ومن أعدى العدائين فى العرب ، لم تلحقه الخيل، وقد جرى به المثل فقيل « أعدى من الشنفرى » .

الحارث بن عباد الربعى :

وكان من حكام ربيعة وفرسانها المعروفين .

سعد بن مالك

هو أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية .

مهلهل بن ربيعة التغلبي:

وهو أحد فرسان العرب المعدودين وكماتها المشهورين .

معاذ بن صرم الخزاعى :

كان فارس خزاعة فى زمانه . وكان يكثر من زيارة أخواله فاستعار منهم فرساً وأتى إلى قومه فقال له رجل يقال له « جحيش بن سوده » وكان له عدواً: أتسابقنى على أن من سبق صاحبه أخذ فرسه ؟ فسابقه فسبقه وأخذ معاذ فرس جحيش .

بشامة بن حزن النهشلى :

وهومن الفرسان الحائزين قصب السبق فى كل ميدان.له وقائع كثيرة ، ومن قوله:

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا ... من فارس خالهم إياه يعنونا

إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم ... حد الظباة وصلناها بأيدينا

ولفرسان العرب كثيرون غير أنى اقتصرت هنا على المشهور منهم وتدوين البارز بينهم .

وجاء الإسلام فأبان فضائل الفروسية ووجوب تعليمها لأطفال المسلمين ونشرها بين جميع الطبقات .

والفروسية فى الإسلام أربعة أنواع ، أحدها : ركوب الخيل والكر والفر

بها ، الثانى : الرمى بالقوس ، الثالث : المطـــاعنة بالرماح ، الرابع : المداورة بالسيوف . فمن استكملها فقد استكمل الفروسية ، ولم تجتمع هذه الأربعة بأكملها إلا للفوارس فى الإسلام (شكل ٤٧) وفى طليعتهم الصحابة رضى الله عنهم . فكان النبى « صلعم » أفرس الفرسان ، وأشجع الشجعان ، ثم الخليفة الأول « أبوبكر الصديق » رضى الله عنه الذى وصفه الإمام على بن أبى طالب يوم بدر بقوله « أشجع الناس أبوبكر » ، ثم يليه « الإمام على » كرم الله وجهه الملقب بأسد الله الغالب . ومن أشهر فرسان الإســـلام « حمزة بن عبد المطلب » و « عمر الفاروق » و « معاذ بن عفراء » و « خالد بن الوليد » الملقب بسيف الله و « عمرو بن معد يكرب » و « ضرار بن الأزور » بطل واقعة الشام و « القعقاع بن عمر » بطل القادسية و « موسى بن نصير » و « طارق بن زياد » بطلا الأندلس رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم أظهروا من ضروب الفروسية وفنون الشجاعة ما يعجز اللسان عن وصفه والقلم عن بيانه .

وقد امتلأت كتب السنة من الأحاديث النبوية الحاثة على الفروسية والوصاية بها والدالة على أنه صلى الله عليه وسلم حضر مبارياتها وأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اقتدوا به عليه السلام ونفذوا أوامره بشأنها .

وقد أظهرت البحوث العلمية والنصوص التاريخية أن الأوربيين أخذوا عن العرب الفروسية وآدابها وكان ابتداء ذلك حينما اتصلوا بهم فى الأندلس وفرنسا وبخاصة فى موقعة « تور » سنة ٧٣٢ م حيث بهرهم ما امتاز به فرسان العرب من ضروب الفروسية وما تجـــلى فيهم من شجاعة وإقدام . فالعرب هم الأصل الذى عنهم نقل الأوربيون وبهم اقتدوا .

ويمثل الملك ابن السعود ملك المملكة العربية السعودية الفروسية الإسلامية فى

أسمى مظاهرها فهو فارس لا يشق له غبار ولا نظير له فى هذا المضمار فى عصرنا الحاضر .

آداب الفروسية

عن محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان قال : «كتب عمر رضى الله عنه إلى عتبة بن فرقد بأذربيجان فقال : أما بعد فاتزروا وارتدوا وانتعلوا والقوا الخفاف وارموا الأغراض والقوا الركب وانزوا نزواً على الخيل وعليكم بالعربية ، ودعوا التنعم وزى العجم وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب ، ولا تلبسوا الحرير فإن رسول الله « صلعم » نهى عنه إلا هكذا ، ورفع أصبعيه » . وقال أيضاً « لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع وينزو» . يعنى ينزع فى القوس وينزو على الخيل من غير استعانة بالركب .

وقال العمرى : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه[1] ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صفين : عضوا على النواجذ من الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام . وأقاموا رجلا بين العقابين[2] فقال له أبوه : طد[3] رجلك وأصر إصرار الفرس واذكر أحاديث غد واذكر الله كثيراً فإن ذلك من أسباب الفوز .

روى عن شبيب بن عزقدة أنه قال سمعت رسول الله « صلعم » يقول الخير معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة . وعن ابن عمر أن النبى « صلعم » سابق بالخيل التى قد أضمرت من الحفياء إلى ثنية الوداع وسابق بالخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق وكان ابن عمر فيمن سابق بها .

وعن موسى بن عقبة رضى الله عنه أن المسافة بين الحفياء وثنية الوداع ستة أميال أو سبعة وهى بين ثنية الوداع ومسجد بنى زريق نحو ميل .

---

(١) الجراميز بدن الإنسان (٢) خشبتان يشبح الرجل بينهما فيجلد (٣) أى ثبت .



شكل ٤٧)
جماعة من فرسان العرب فى سنه ١٣١٤
(الجمعية الأسيوية بلندن)

مدرسة المماليك

إذا غادرنا بلاد العرب إلى مصر فى القرن السادس الهجرى إلى القرن الثامن بل إلى ما بعد ذلك عرفنا أخيراً من أين نبتت تلك الشهرة التى يتمتع بها « الفارس العربى » . والواقع أننا يجب أن نقول « الفارس المملوك » وإذا كان عهد المماليك فى مصر لايبدأ إلا من أواخر القرن السادس فإن تأثير هؤلاء الفرسان المماليك قد لوحظ على فن الفروسية العربية قبل ذلك التاريخ فى آسيا .

وقد وصل «مرسيير»[1] إلى هذا الاستنتاج بعد أن اطلع على المخطوطات العربية الأصل فى المكتبة الأهلية بباريس المتعلقة بفن الفروسية . وقد لفت النظر إلى أن تلك المخطوطات يعزى معظمها لا إلى العرب ولكن إلى كتاب من أصل أورالى أو شركسى وأحيانا إلى بعض الأمراء المماليك فى « الحلقة » . وتطلق هذه الكلمة على حرس السلطان فى عهد المماليك فى مصر ، والحرس ذاته مكون من أورالين وشراكسة وهم أجانب عن مصر وعن العالم العربى . ويرجع الفضل فى تحسين هؤلاء الأجانب لفن الفروسية لدى العرب من كل الوجوه ، ووضع قواعد ثابتة له ، وتحديد التمرينات المختلفة والتطورات العدة ، وتفسير الطرق الواجب اتباعها لتأدية تلك التمرينات بسهولة — يرجع الفضل فى كل ذلك إلى طبيعة هؤلاء القوم المنظمة وإلى مهارتهم وكفاياتهم البالغة. وإليهم كذلك عزا « مرسيير » — ولهذه الأسباب نفسها — ابتكار المناورات والمعارك الفردية وألعاب السهام إلى غير ذلك.

وقد وجد « مرسيير » بعد مداومة البحث أن أحد المؤلفين العرب قد ذكر ما يؤيد هذه الاعتقادات — فقد ذكر « كاترمير »[2] أن المؤرخ المصرى أبا المحاسن قال « إن لعبة المناورة بالسهم بين الفرسان هى من ابتكار مماليك قلاوون (القرن السابع الهجرى) وأن أجدادنا وإن كانوا يلعبون هذه اللعبة إلا أن طريقتهم كانت مختلفة » .

---

(١) Mercier (٢) Quatremère

لذلك اعتبر أن الاستنتاجات السابقة صحيحة وأن مماليك مصر قد أسهموا مساهمة فعالة فى النهوض بفن الفروسية العربية . فماذا كانت طريقتهم إذن ؟

كانوا أولا يمتطون الجواد عاريا وهو بعد صغير ويقومون بالتمرينات الرئيسية كالقفز على الجواد ومنه إلى الأرض والجواد بدون سرج ، ثم وهو مسرج ، أولا بدون سلاح ثم به حتى يكونوا قد اكتسبوا السهولة التامة فى أدائها والمرونة والتعود الذى هو أساس فن الفروسية والذى جعل الشاعر المتنبى يقول « يكاد المرء يعتقد أن هذه الخيول قد ولدت واقفة تحت فرسانها وأن هؤلاء قد ربوا فوق ظهورها » .

وكان المماليك يستعملون سرجاً يكاد يكون خاليا من المسندين الأمامى والخلفى فيكاد السرج يكون مسطحاً وهو قليل السمك ويمتد حتى قرب نهاية الظهر . وكان الركاب سواء أكان من الحديد أم من النحاس فى شكله وأبعاده يقرب من الركاب الذى نستعمله الآن وإن كان أطول قليلا بحيث أن مشط القدم تصبح فى وضع أكثر ارتفاعاً من العقب وكانت أربطة الركاب تتصل بالثلث الأول من الحزام أى قريباً من الأبط . فكان يسمح بحرية كبيرة لحركة السيقان . وقيل فى وصفه إنه كان يجعل القدم والساق إلى الامام لدرجة أن الفارس كان يستطيع رؤية أصبع قدمه الكبير أمام ركبته .

وكان الصرع يعرف منذ ذلك الوقت بأنه آلة جهنمية أطلق عليها « الصرع العربى » وكانت فى الواقع اختراعا فارسياً . هذا إلى أن الفروسية التى كان يمارسها المماليك قامت على الأساس الذى تقوم عليه تلك الأعمال فى وقتنا هذا وإن كانت أقل اتساعاً وأقل استناداً إلى قاعدة علمية . ومع ذلك كانت أكثر تقدماً منها لدى العرب الأصليين إذ كانت توصى بالعمل المنتظم فى التدريب وتعترف بفوائد التدريب الدائرى ، ذى الأصل الفارسى . وفيما يختص بالمعارك الفردية بالسهام ، كان التدريب فى



شکل ٤٨

الدائرة ذات القطر المتسع وعلى جانبها دائرتان أصغر منها ويلامسان من طرفيها طرفي قطر الدائرة الكبيرة هذا التدريب هو آخر ما توصلوا إليه فى هذا الفن .

وكانوا يفضلون الحصول على جرية سريعة مرنه وخطوات طويلة وكانوا يعزون إلى التمرين الدائرى ذى القطر الصغير السبب فى تقصير الخطوة ولذا كانوا يتفادونه .

وهم كالعرب لم يصلوا إلى تمييز وتعريف هيئات الجواد أو فهم تفاصيل حركات الجرى غير أنهم قد عرفوا حقاً كيف يثبتون على ظهر الجواد باستعمال مهماز واحد وهو ما كان يجهله العرب وقد كانت معارك السهم عندهم يلابسها بعض عبارات مثل « استعمل المهماز الأيمن » أو « الأيسر » أو « الخارجى » .

ولم يكن التدرب على القفز متقدماً كثيراً عند المماليك ولا عند العرب لأن الصرع الذى كانوا يستعملونه يجعل مثل هذا التمرين شديد الصعوبة والخطر .

ولنعد إلى المماليك الشبان فنجد أنهم كانوا يقومون بالتمرين المنتظم فى سبيل التعليم الحربى المطلوب للجندى والفارس والبحار . أى أنهم كانوا يتدربون كثيراً على الأقدام . وكان استخدام السلاح على الأخص يلقن بهذه الطريقة .

ولاستعمال الحسام كان التلميذ يتدرب على الضرب على الأقدام وعلى أرض زلقة بسيف يتزايد فى الثقل والحدة حتى يصل إلى شطر حدوة جواد سواء كانت باردة أو محماة .

ثم يأخذ بعد ذلك فى التدرب على التلويح بالسلاح وهو راكب فرسه مع تثبيت القدم . ثم يلى ذلك الجرى السريع فى مسافة قصيرة ورفع السلاح فى آخر لحظة ممكنة ثم يقطع به وهو فى سرعته عاموداً من الخشب مقاماً رأسياً فى الأرض ثم تكرر هذه العملية إلى أن يصبح ارتفاع الجزء الباقى من العمود فوق سطح الأرض قدما واحدا .

وكانت الرماية بالسهم تستخدم فى تمرين مشابه لذلك فعند ما يتم التدريب على استعماله راكباً كانوا يقومون بتمرينين رئيسين : الأول منهما عبارة عن عبور حلقة من الحبال ذات قطر صغير مثبتة رأسياً فوق حامل على ارتفاع مقعد الجواد بحيث يستطيع الفارس أن يخلص سهمه بإرجاع اليد والذراع نحو كعبه دون أن يبطىء أو يغير اتجاهه . وكانوا يوصون أيضاً بإمرار السهم من الحلقة بقذفها أولا ثم التقاطها ثانية وهى طائرة من الجانب الآخر .

والتمرين الثانى عبارة عن إمرار السهم فى حلقات موضوعة على الأرض .

وكان للقوس أيضاً تمرينات على القدم وعلى الجواد مشابهة تماماً لما وصفه «شاردان»(١) من التمارين فى فارس بعد ذلك بأربعة قرون . وستأتى الفرصة للتكلم عنها فيما بعد .

وإذا ما أتم المملوك الشاب تعليمه العسكرى وأصبح جندياً فى «الحلقة» كانت تعرض له فرص كثيرة لتطبيق ما تعلمه وإتقانه خلال الحروب العديدة التى كانت تشن فى مصر وفى آسيا من مكة إلى الموصل . ولكنه كان أبعد ما يكون عن الكسل فى الفترات التى يقضيها فى الراحة فى القاهرة أو فى غيرها من الحاميات المصرية .

والواقع أن السلاطين المماليك كانوا يحتمون نشاطاً بدنياً مستمراً ويحافظون على حلقاتهم فى حالة تدريب دائم بالألعاب أو التمرينات المختلفة . وقد كان لهم الميل الرياضى الحقيقى الذى يجعلهم يؤدون التمرينات بقصد التمرين ولا يبالون ما يكون فيها من أخطار . وفى ترجمة «كاترمتر» للمقريزى ذكرت حوادث عديدة تؤيد ذلك .

وكان السلاطين يعرفون كيف يثيرون الحماس فى جنودهم فكانوا يقدمون الهدايا القيمة مادية أو شرفية كأثواب الشرف يعطاها الجندى الذى يبز قرناءه فى تمرينات «الخيول الصغيرة فى الاصطبلات الملكية التى كان يعهد إليهم بها» .

---

(١) Chardin

وكل سلطان من المماليك كان يعمل على التفوق على سابقه بانشاء ميدان أو أكثر لألعاب الفروسية . وكانت جميع المباريات فوق أنها أحد الأعمال التى تؤثر عن السلطان عبارة عن استعداد للحرب المقدسة . وكان الميدان من الاتساع بحيث يمكن أن يشترك فى المباراة بضع مئات من الفرسان . وكان من الضرورى تعبيد الأرض وإيصال المياه إليها لشرب الحيوانات وكذا إنشاء مظلات واقية واستراحات وحمامات الى غير ذلك . وكانت تغرس الأشجار حول الميدان،ولكن كما كان يحدث عادة فى ذلك العصر لم يكن أحد ليهتم بصيانة ميدان أقامه أحد السلاطين السابقين أو ليتحمل شيئاً من التكاليف المادية فى هذا السبيل ولذا لم تكن تمضى بضع سنوات حتى يصبح هذا الميدان غير صالح البتة .

وكان السلطان الحاكم يتوجه بنفسه الى أحد الميادين يختارها بنفسه ويكون ذهابه اليها فى موكب رائع وهو يمتط جواداً مرة على الأقل فى الأسبوع بل كان بعضهم يمضون جميع أوقاتهم بعد الظهر فى تلك الميادين فيرأسون الألعاب ويشتركون فيها ويديرونها .

وفيما عدا السباق كانت تلك الألعاب مقصورة على الرمى بالقوس ، وتمارين السهام ، والمبارزة بالأسلحة ، والبولو ، وكثير من المناورات البارعة فى فن الفروسية أو المشاة .

وكانت مباريات ضرب النار تشمل نوعين أساسيين تبعا للغرض منها . وكان المرمى إما على ارتفاع الوسط أو أكثر من ذلك، ففى الحالة الأولى يسمى «البرجاس» . وفى الحالة الثانية يسمى « القبق » وهو طوق يوضع رأسياً على بعد قصير من قرص من الخشب ويثبت الجميع فى قمة عمود من الخشب يبلغ ارتفاعه حوالى عشرين متراً . وكان المتبارون يمرون بسرعة فوق خيولهم ويرشقون سهامهم بحيث تخترق الطوق وتثبت فى القرص. وفى بعض الحالات كان المرمى الذى يستعمل فى «القبق» على شكل كرة منقوشة .

بالذهب الدقيق يحبس في داخلها حمامة ، وكان الرامى الذى يصيبها وينجح بذلك فى إطـــلاق الحمامة يستولى على الذهب المصوغة منـه الـكرة . وهناك نوع يختلف قليلاعن « القبق » وهو عصا طولها حوالى ثلاثة أمتار تثبت فى مؤخر سرج الجواد وتحمل فى أعلاها الـكرة السالفة الذكر . ثم يركب الفارس الجواد ويندفع به بسرعة مصوباً سهمه اليها بالالتفات بجذعه الى الخلف . وهذا النوع كان أصعب بكثير .

وقد حضر «شاردان »أيضا مباراة من هذا النوع فى فارس، وهاك الوصف الذى ذكره :

« إن تمرين القوس على الجواد كان عبارة عن التصويب إلى الخلف نحو فنجان موضوع على حافة عمود ارتفاعه ثمانيـة أمتار ونصف متر يصعد إليه بأوتاد من الخشب مثبتة فى جنباته وتستعمل كسلم . ويبدأ الفارس بسرعة متجهاً نحو العمود وقوسه فى يده . وبعد ما يمر به يميل إلى الخلف يمينا أو يساراً ويطلق سهمه . وهذا التمرين شائع فى جميع بلدان فارس ، ويشترك فيه الجميع حتى الملوك . وكان الملك « سيفى » بارعا فيه ، فكان يصيب الفنجان دائما من أول ضربة أو ثانى ضربة ، وكان ابنه الملك عباس لا يقل عنه مهارة . أما الملك سليمان الذى خلفه فكان أقل نجاحا منهما » .

وقد وصف « جيدويان» (١) أيضا لعبة « القبق » فى القسطنطينية فى أواخر القرن العاشر الهجرى فقال:

«وفى هذا الميدان أيضا كانت تجرى لعبة القوس فوق الخيول وغالبا ماتكون بدون تصويب إذ كانوا يمسكون بالسهم بأيديهم خلف ظهورهم . وكان عليهم أن يلمسوا به تفاحة من النحاس الأحمر مثبتة فوق «صارى » سفينة على ارتفاع يماثل

(١) Gedoyn

ارتفاع أبراج الأجراس فى أوربا . وقدكانت براعتهم الفائقة فى هذه الألعاب الصغيرة نتيجة لتمرنهم عليها منذ الصغر ومواظبتهم عليها كل يوم » .

والواقع أن لرماة السهم الاتراك فى كل أنحاء الشرق شهرة لا تضارع . وكانت تمارين السهم هى التى وصفتها فيما سبق مع تنوع فى تفاصيلها ، وكانت تجرى فى تلك المرة على شكل مباريات ليست بين الأحداث فقط بل بين الأساتذة أيضا .

وكانت مباريات السلاح والمبارزات تجرى بين الفرسان بالسهم أو بسيف ودرع . والسهام فى هذه الحالة كانت أقصر من السهم العربى الحقيقى الذى يبلغ طوله خمسة أمتار وكانت تقتصر على الساق فقط دون الكعب والحديد . وكان الرماة يوجدون فى الحلبة من دون سلاح أودرع ويلبسون رداءا أبيض ويغمسون أطراف هذه السهام فى الزعفران حتى تترك كل ضربة موفقة أثراً ظاهراً . وكانت مختلف بنود المبارزة بالسهم قد درست بعناية وأدرجت فى الكراسات الخاصة الموضحة بالرسوم التى تستعملها الجنود . وكان على المبارز أن يستخدم جميع مواهبه لخلع خصمه عن سرجه ولكن مع تجنب الضربة القاتلة أو المؤدية إلى إصابة الخصم أو دابته . ولذا كانت المبارزة تتطلب الكثير من الحذق والبراعة أكثر مما فى مبارزات الفروسية فى أوربا . حيث تستخدم القسوة البالغة .

وقد ورد فى بعض الكراسات سالفة الذكر ما يقرب من خمسة وسبعين بنداً ويقول آخرون إن هذا العدد وصل أحياناً إلى مائة وخمسين ولكن قيل فى هذا الصدد إن هذا العدد ما هو إلا فروع لسبعة البنود الأصلية .

ولم يكن يفصل بين المتبارزين حاجز ما كما هو الحال فى أوروبا فكانو يملكون حرية المناورة والقيام بمختلف الحركات الالتفافية والهجوم من الخلف أو الهرب أمام الخصم ثم قذفه بكعب السهم . وفى أحيان أخرى كان المتبارزون يقفون على أرض مستديرة تسمى « الناورد » ولكن الهجمات لم تكن لتختلف كثيراً فى حالة ما .

والمؤكد فى الأمر هو أن دراسة المبارزة بالسهم قد تقدمت كثيراً فى عهد

المماليك واحتفظ بهذا التقليد لدى خلفائهم حتى عهد قريب . وهاك ما يقوله يوسف بن فرنسيس الحاج فى هذا الصدد —

«رأيت فى القاهرة فارسين كانا مكلفين تطهيم خيول الخديو السابق عباس باشا فى ساحة العباسية . فكانا يركبان فوق السرج ويمسكان فى اليد سهما خشبية عادية بدون كعب أو حديد ثم يتبارزان تبعاً لقواعد معينة مختلفة . فكانا يقتربان ثم يتباعدان وأحيانا يتتابعان عن قرب أو عن بعد أو يتواجهان فى كر وفر كما يتحركان فى دوائر منتظمة أو متضادة وبطرق متعددة .

وكان كل من هذين الفارسين يرتدى «قباذا» ويلف رقبته بمنديل كبير من الحرير عدة لفات وتتدلى نهايته فوق الكتف . وكانا ينتعلان أحذية لينة بدون كعب . وعلى الرغم من عنف التطاحن بينهما لم أر أحدا منهما يتزحزح عن سرجه أو تهتز له رجل أو ركبة أو فخذ ولو حصل شىء من ذلك لكان مخالفاً لقواعد اللعبة» .

وقد وصف يوسف بن فرنسيس الحاج أيضا تمرينا آخر وأوصى جميع رماة السهم بممارسته —

«ضع كعب السهم فوق الأرض وسط الساحة واجعل الجواد يلف حول السهم بخطوة سريعة فى حركة دائرية كحركة الطاحونة ثلاث أو أربع دفعات . ثم بدل يدك بسرعة من غير تبديل نقطة الارتكاز للسهم فوق الأرض . وفى كل هـــذه العملية يجب أن تكون يدك اليمنى ممسكة بالسهم عند بداية الثلث الأعلى منه وفى أثناء تبديل اليد إخفض رأسك أماماً نحو رقبة الجواد لتمر بها تحت يدك اليمنى ثم استمر فى دوران الجواد فى الاتجاه الجديد كما تعلمت أن تفعل» .

وإذا لاحظ القارىء أن هذا التمرين صعب الأداء فإنى أذكر أن السهم العربى كان طويلا جداً والجواد صغيراً .

وكان كثيراً ما يحدث أنه بعد عدة هجمات ينقلب الهجوم من هجوم فردى إلى

قذف بمجموعة بأكملها من الفرسان ضد مجموعة أخرى والجميع مسلحون بالسلاح الوطنى وكان ذلك يشبه مبارياتنا الحديثة .

وإذا كان الهجوم بالسيف والدرع فإن السيوف التى كانت تستعمل كانت بدون حد وذات طرف مستدير وأملس . ولكن يحتمل أنه فى هذه الحالة كان يلجأ المتبارزون إلى تغطية جوانبهم وسواعدهم إذ كثيراً ما يصابون بإصابات خطيرة .

وهناك لعبة فروسية أخرى تسمى « الخيمة » وهى تختلف عن السابقة وقد تكون أكثر منها حركة وضوضاء ، فكان الحاكم يتوجه فى موكب فخم إلى الميدان المختار حيث تقام أولا بعض التمرينات كالمبارزات والمباريات المختلفة . والخيمة نفسها كانت محور الاجتماع . ويطلق عليها اسم الميدان التى تجرى فيه المباراه . ولما كان عدد هذه الميادين كبيراً فقد عمل لها ترتيب خاص وأدرج هذا الترتيب فى المطبوعات التى يستعملها الجنود كما كان يطلق عليها اسم فرعى حتى تتميز بعضها من بعض سواء من جهة الشكل أو من جهة اسم منشئها . فكان هناك الميدان « ذو أربع الحلقات » وميدان « المصباح » وميدان « حمزة » الخ . وكان وصف هذه الميادين فى الكتب يمثل فرسانا يحملون مشاعل نارية ملونة ويتبعون رئيسا لهم يحمل علما كبيراً أسود اللون مشربا ببياض . وهؤلاء الفرسان يمثلون فى كل لوح شكلا خاصا إما فرادى وإما أزواجا متناسقة فى شكل حرفى SS متقابلين أو أربع دوائر أو دائرتين متماستين . ولسوء الحظ لم يصحب هذه الرسوم شرح كتابى واف وهذا الشرح يتكون من كلمات اصطلاحية لم يسبق شرحها . ومع ذلك فإن ما يستنتج من الشكل المرسوم هو أنه يمثل معركة شكلية سبق تحديد أدوارها وخطواتها من قبل .

ومن الألعاب التى كانت مزدهرة فى بلاط المماليك هى بلا نزاع لعبة البولو (شكل ٤٨) التى كانت تسمى بلعبة الصولجان وهو اسم فارسى ويطلق على العصا التى

تستعمل فى اللعبة . وكان الجنود وضباطهم يحبون هذه اللعبة كثيرا وكانت لديهم بمنزلة أفضل وسيلة لتمرين خيولهم فى الفترات التى تتخلل معركتين .

أما السلاطين فكانوا يقدرون هذه اللعبة تقديراً ساميا لدرجة أنهم أنشأوا وظيفة تسمى « حامل الصولجان » فى البلاط . وكان السلطان إذا خرج فى موكب لعب الكرة خرج معه « الجوكان دار » وهى كلمة فارسية معناها حامل المحجن أو الصولجان يحمل له « الجوكان » أى الصولجان الذى يضرب به الكرة فى لعبة «البولو» وكان للضابط الذى يشغل هذه الوظيفة محل ممتاز فى جميع الاحتفالات .

هذا إلى أن كثيراً من الحكام والأمراء الشرقيين لاقوا حتفهم فى لعبة البولو من جراء الإصابات التى تحصل خلالها أو لإصابتهم ببرد قاتل عقب الانتهاء منها .

وطبقا لما ذكره المؤرخون كان أول خليفة زاول لعبة البولو هو هارون الرشيد وذلك فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ولكن فى فارس كانت هذه اللعبة شائعة قبل ذلك الوقت بكثير وقد ذكر الطبرى أنها فى القرن الرابع قبل الميلاد كانت تلعب فى بلاط داريوس الثالث . كما كانت معروفة فى العصر القديم فى بلاد التبت والهند ولكن يصعب تحديد ما نشأت فيها هذه اللعبة من تلك البلاد.

وإنى أذكر بهذه المناسبة مقتطفاً من كتاب « التنس والجولف والبولو » من كتب «لاروس» — «بعد إنشاء هذه اللعبة فى الهند لم يتوان البريطانيون فى الالتفات اليها فقد أعجبوا بها كثيراً . وقد كان أهل التبت الذين أغرموا أكثر من غيرهم بهذه اللعبة هم الذين أوحوا الى البريطانيين بها . وحيث أنهم كانوا يطلقون فى لغتهم اسم « بولو » على الكرة فقد استعار الانجليز هذا الاسم وأطلقوه على اللعبة ذاتها . ومنذ عام ١٨٥٥ ميلادية أخذ ضباط جيش البنغال فى ممارسة هذه اللعبة ولكنها لم تنتقل الى انجلترا إلا بعد ذلك بعدة سنوات . وأول الفرق النظامية التى مارستها فى العاصمة البريطانية كانت فى عام ١٨٧٠ وقد نظمت فى

ميادين « ألدرشوت (١) » بمعرفة ضباط الفرقة العـــاشرة الهوسار (الفرسان) وقد نحا نحوهم بعض الفرق الأخرى فيما بعد ثم الجامعات العلمية . وقد تلا ذلك إقامة مباريات بين الفرق الحربية المختلفة وكذا بين الجامعات فاستدعى الأمر وضع قواعد ثابتةللعبة اعترف بها جميع القائمين بها وبذلك أصبح للعبة قانون وفى الوقت الحالى يعتبر قانون نادى « هيرلنجهام » هو المتبع فى جميع ميادين اللعبة . وليس لدينا بيانات ثابتة عن القواعدالقديمة لهذه اللعبةحيثلم يرد ذكرها فى كتاب ، وقد كان المؤرخون الشرقيون يكتفون بالإشارة اليها وإلى أبطالها بدون وصفها وصفاً قانونيا . وكل ما يمكننا حصره فى هـــذا الصدد هو ما ذكره « كاترمير» من أن أقل عدد من الفرسان يشتركون فى اللعبة هو ستة فى كل جانب وقد كتب ما يأتى : —

« قال كايكاووس — أى ولدى إذا أردتأن تزاول لعبة التفاحة (البولو) مرة أو مرتين فى العام فلا مانع عندى ولكن لكى تتجنب الحوادث يجب أن لاتجعل عدد مطارديك كبيراً . فيكفى أن تضع فارسين فى مدخل الميدان وفارسين فى الوسط ومثلهما فى النهاية . وبهذه الكيفية تستطيع أن تقذف الكرة وأن تناور بحرية أكثر دون الخوف من الحوادث الخطيرة . وتلك هى طريقة المعتدلين فى اللعبة » .

ولم يصل إلى علمنا شرح كيفية توزيع اللاعبين ووظائفهم عدا الاعتراف بأن هناك فارسين فى المؤخرة وواحداً فى الأمام فى كل فريق وفى هـذه الحالة نفسر نصيحة كايكاووس بأنه كان يقصد أن يكون ابنه واحداً من الفرسان الستة المشتركين فى اللعبة .

والرسم الفارسى الذى أوحى إلى بهذه التفاصيل يهيء لنا دليلا آخر فيما إذ هو يمثل فريقين يتكون كل منهما من أربعة فرسان . وثمت رسم آخر قد وضعه

(١) Aldershot

الألمان ولكن الظاهر أنه لا يمثل سوى فريق واحد مكون من أربعة فرسان ولكنه لا يظهر موقع الأهداف .

وهاك ماذكره «شاردان» فى وصف لعبة البولو كما شاهدها فى العصر الحديث فى فارس :

«إشترك فى هذه اللعبة ثلاثمائة فارس تقريباً ظهروا من جوانب الميدان الأربعة وقد امتطوا متون خيولهم الأصيلة وارتدوا أفخر الثياب وأظهروا منتهى الرشاقة. وكان معظمهم من الأمراء الشبان الذين يملك كل منهم عدداً من الخيول . وقد قاموا بتمرينات على الخيول لمدة ساعة على الأقل . وللقيام بهذا التمرين ينقسم الفرسان فريقين متساويين ثم يرمى فى الميدان بعدة كرات، ويعطى كل فارس صولجانا ، وللفوز يجب إمرار الكرة فى هدف الفريق المقابل . وهذه الأهداف موضوعة فى نهايتى الميدان . وليس هذا العمل سهلا لأن كل فريق يحاول إيقاف الكرة وإعادتها للجهة الأخرى ، وهم يهزءون من اللاعب الذى يقذف الكرة وهو يسير ببطء أو فى أثناء وقوف الجواد إذ يجب أن يكون ذلك والجواد فى أقصى سرعته. واللاعب الماهر هو الذى يرد الكرة المقذوفة جهته وهو منطلق بأقصى سرعته» .

وفى هذه الحالة يمكننا أن نستخلص قواعد لعبة البولو كما كانت تلعب قديماً ولو أن استخلاصنا هذا سيكون أقل تحديداً منه فى حالة «كايكاووس» . فإذا كان ما ذكره «شاردان» صحيحاً وهو ما يغلب اعتقاده وجدنا أنه من الصعب أن يكون فى إمكان عدد اللاعبين البالغ ثلاثمائة فارس — حتى ولو قسموا إلى فريقين — أن يشتركوا فى لعبة واحدة بعدة كرات فى نفس الوقت .

فما نستخلصه من كل ذلك لا يزيد عن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها وهى أن لعبة البولو الفارسية الأصل كانت اللعبة المفضلة عند الأجناس الإيرانية والتورانية وقد جعل منها المماليك فى مصر الوسيلة الرئيسية للتدريب ولكن من المشكوك فيه

أن العناصر السامية أو العربية النقية قد زاولت هذه اللعبة على الإطلاق خارج حدود بلاط الخلفاء . وعلى كل حال فإن لعبة البولو لم تصل مطلقاً إلى ما وراء الحدود الغربية لمصر وقد جهلها تماما سكان بلاد المغرب .

وبعد أن اندثرت هذه اللعبة تماما فى الشرق الأدنى لم تعد إلى الظهور إلا فى عهد قريب حينما بعثها الانجليز من مرقدها ، إلا أن أثرها لم يمح تماما من مصر وسوريا حيث كانت تزاولها طوائف قليلة العدد ومكونة من بعض الشبان الأغنياء .

ولإتمام البحث فى الألعاب والتمارين التى يمارسها المماليك أذكر فوق ما سبق تلك الألعاب الحربية التى كانوا يبتكرونها بين الفرسان والمشاة مستعملين السيوف ، وقد كانت تلك المعارك من الشدة والحماس لدرجة أنها لم تكن تنتهى إلا بعدد من القتلى والجرحى . وهنا أيضاً اقتصر المؤرخون على وصف هذه الألعاب الحربية بعبارات عامة غير محدودة لا يمكن أن نستخلص منها تحديداً فنياً لها ، غير أنه من المحتمل أن تكون هذه الألعاب الحربية قد جرت فى شىء من الفوضى ولم يكن لها أثر تعليمى وإن كانت لاتخلو من المناظر البهيجة التى تسر الرائى .

وكانت مدرسة المماليك (وإنى استعمل هذه التسمية وإن لم يكن فيها وجه للمقارنة بين تلك المدرسة ومدارسنا الحديثة الخاصة بالتعليم العسكرى) قد تألق نجمها فى الشرق فى المدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجرى . وكان تأثيرها على طريقة تطهيم الخيل وطرق العراك الفردى بالسلاح الأبيض والمبارزات ومختلف ألعاب الفروسية وتربية الخيول واختيارها كبيراً لدرجة أنها قد وضعت الأساس للفروسية الشرقية وأضفت عليها صفاتها المميزة لها .

وأنشئت فى عهد المماليك جماعة كان يرأسها السلطان ولها نظمها الخاصة كانت تسمى بجماعة الفتوة ، وكان السلطان صاحب الحق فى قبول وفصل الأعضاء ، وكانت

هذه الجماعة تتدرب على رمى السهام والنبال والبندق وتصيد الحمام للتمرين على تسديد الهدف وكان لها زى خاص يسمى «سروال».

وقد أوضحت فى غير هذا المكان أن نهاية لعبة «الخيمة» والقضاء النهائى على مختلف الميادين قد بدأ فى القرن التاسع الهجرى ولهذا السبب قد اعتبرت أن المماليك قد انتهى وجودهم اعتباراً من ذلك التاريخ كمدرسة لها قيمتها فى الفروسية، فقد أخذ فنهم فى هذا المضمار يضمحل حتى جر عليه الزمن ذيل النسيان.

ولكن ذلك المنبع الذى كان فى وقت ما شعلة من النشاط لم يكن ليزول دون أن يترك وراءه أثراً حياً قابلا للبعث فى وقت ما. والواقع أنه بعد مضى عدة قرون عاد المماليك إلى أوجهم فى الفروسية فى بداية القرن الثانى عشر وأحيوا جزءا من تقاليدهم فى الفروسية، بل إنهم قد أضفوا عليها طرقا جديدة فى العراك مست اليها الحاجة لمناسبة اختراع الأسلحة النارية، وسرعان ما نالوا إعجاب قائد قدير فى هذا المضمار هو نابليون. وقد اعترف هذا القائد العظيم بمهارة المماليك فى العراك الفردى وهو لا يعزو تغلبه عليهم إلا إلى النظام وفن القتال الحديث الذى امتاز به الفرنسيون دون المماليك.

وحتى فيما بعد فقد اشتمل حرس الإمبرطور على عدد من المماليك وكان لهؤلاء المماليك القساة الفضل فى رفع شأن الفارس العربى.

الفروسية لدى عرب المغرب

لنترك الآن عرب المشرق ولنول وجهنا شطر عرب المغرب ألا وهم المغاربة. وقد كان لأجداذهم القدماء شهرة فى الفروسية فى العالم القديم قبل أن يبرز العرب فى هذا المضمار بثمانية قرون.

ومن بين فرسان عرب المغرب الذين سيخلد التاريخ ذكراهم على مر العصور

ذلك الفارس العربى المغوار الأمير عبد الكريم الخطابى (بطل الريف) الذى ناوأ أسبانيا وفرنسا سنوات متتاليات وأوقع بهما الهزيمة عدة مرات ، وهو الآن يتخذ لنفسه من مصر على الرحب موطنا كريماً .

وإنا نعلم أن الفروسية فى بلاد الجزائر القديمة حينما كانت الفروسية مجال التفاخر بين أهل قرطاجنة فأهل روما من بعدهم كانت هى الحكم الفصل فى المعارك. ونعلم أيضا أن فرسان تلك البلاد قد تركوا آثار حوافر جيادهم فى القرن الثالث قبل الميلاد ولم يكن ذلك فى جميع أنحاء بلاد المغرب وفى صقلية فقط بل كان أيضاً فى أسبانيا وايطاليا وبلاد الغال الوسطى التى جابوها من الشمال إلى الجنوب حتى مدينة كان .

والفارس الجزائرى كما مثـ[illegible] ـفريات والآثار القديمة وكما وصفه المؤرخون كثير الشبه بالفارس البدو[illegible] ـله طريقته نفسها فى ركوب الجواد بدون سرج أو بوضع « فروة الخروف » بدون صرع أو لجام .

وكان الجزائرى قبل كل شىء رامياً من الدرجة الأولى يحارب بمفرده أو فى جماعات صغيرة، وكانت خطته هى محاورة العدو والهجوم ثم الانسحاب مع التكرار المستمر ، وهى الخطة التى اقتبسها الفرسان العرب أنفسهم بعد ذلك ببضعة قرون والتى لخصوها فى كلمتين « الكر والفر » . وقد كانت فروسية صلبة وعنيفة تصلح فى ذلك النوع من النضال ولكنها لم تتقدم بل ظلت على حالتها الفطرية .

ولكن كان لدى الجزائريين أيضاً مشاة خفيفة كانت تحارب جنباً الى جنب مع الفرسان وتعمل طبقاً لخطط فنية لازالت تقاليدها متبعة الى أيامنا هذه فى مراكش .

وكان للرومان ولروح التنظيم والترتيب التى اشتهر بها هؤلاء الفاتحون أثر كبير فى الفارس الجزائرى . ولا شك فى أن الرومان قد عرفوا كيف ينظمون طرق التربية والاختيار بين الخيول المغربية ويبثون شيئاً من النظام بين الفرسان

الوطنيين ويعودونهم استعمال اللجام والصرع . وكيف نشك فى ذلك فى حين أن تأثير الرومان فى بلاد المغرب قد وصل الى الحد الذى تشهد به الآثار العديدة التى كشفت فى تلك البلاد .

جاء بعد ذلك الغزو العربى الأول الذى اكتسح وادى النيل حتى المحيط الإطلنطى والذى تمخض عن إنتاج عدد ضئيل من الخيول الواردة منشبه جزيرة العرب، ويرجع السبب فى ذلك إلى ضعف الفصيلة الجوادية والمجهود الطويل الذى بذلوه فى الغزو .

وفوق هذا فقد أفادنا المؤرخون أنه عند الوصول الى أفريقيا وإلى الجزائر وجد الغزاة أن الفصيلة الجوادية هناك أرق من الفصـــيلة التى عرفوها فى بلادهم فساووا بين الفارس المغربى والفارس العربى .

وقد وجدت هذه الأسباب نفسها عند ما حل الغزو العربى الثانى وقد كانت قوة فرسان الغزاة لاتشمل سوى عدد صغير من الخيول العربية وعدد آخر جلب معظمه من مصر وبرقه .

وفى هذه المرة لم يقف المحيط الإطلانطى حائلا فى وجه الغزاة إذ أنهم عبروا المضيق واستولوا على القلعة الحصينة التى أطلق عليهــا قائدهم طارق اسمه فسميت جبل طارق . ثم تغلغلوا فى أسبانيا وجنوب فرنسا حتى أوقفهم شارل مارتل عند بواتييه عام ٧٣٢م فاضطروا — بالإضافة إلى عوامل أخرى كانت تعمل فى مؤخرتهم — إلى الانسحاب إلى ماوراء جبال البرانس .

وبالنسبة للمعارك العنيفة التى خاضوا غمارها عدة سنوات بأغلبية من المغاربة المحاربين لم يترجح أن تكون الجيادالعربيةوحدهاهىالتى تمكنت من تحمل كل هذه المشاق . وهنا نجد حجة قوية تعزز النظرية التى قال بها المسيوسالومون ريناخ (١) وهى أن الجواد المغربى لم يدن بشىء للجواد العربى بل كان يعيش ويزدهر قبله

(١) Salomon Rienach

بقرون على أنه كان من العوامل التى اشتركت فى تكوين الفصيلة العربية فى الشرق.

ولا أقصد بذلك أن أقول إنه لم يكن هناك أثر للدم العربى النقى فى بلاد المغرب طول مدة الاحتلال العربى ولكنى أقصد أن ذلك الأثر كان أضعف كثيراً مما كنا نعتقد . ويرجع هذا الاعتقاد الخاطىء إلى أننا اعتمدنا بلا تحفظ على التصريحات التى أدلى بها الأمير عبد القادر وكثيرون غيره من العظماء الجزائريين، فقد أجابوا داعى الميـــل الطبعى فى بنى وطنهم ومنهم بعض القبائل المغربية الأصيلة فتناسوا أصلهم وانتموا إلى العرب باحثين عن أصل عربى عريق لكل ما يحبون وبخاصة الجياد .

وكان الدم المغربى الذى بدأ دخوله فى أسبانيا وأواسط فرنسا قبل الميلاد المسيحى بثلاثة قرون قد استمر طول مدة الاحتلال العربى حتى القرن الثامن الهجرى فيما يختص باسبانيا .

وبالنسبة لما ذكرته عن أوجه الشبه بين الطريقتين المغربية والبدوية فى الفروسية والتأثير الذى كان للعرب على الفارس المغربى وجواده نجد أن الغالب فى هذه الحالة قد اقتبس من المغلوب لا العكس .

وثمة ظاهرة أخرى تستدعى إيضاحا ألا وهى تاريخ ظهور السرج ذى المقدمة والمؤخرة المرتفعة والذى وافق ظهوره تطوراً كبيراً فى الركوب عند العرب المغاربة . أما فى الشرق فان ما كتبه محمد بن منجلى قد حدد لنا ذلك ، فان هذا الكاتب يشكو فى الواقع — وهو يكتب فى القرن الثامن الهجرى — من أن الحالة تتطور فى مصر شيئاً فشيئاً نحو استبدال السرج المسطح بآخر فارسى ذى مقدمة ومؤخرة مرتفعتين رأسياً ، وهو يندد بهذا المخترع ويقول إنه يحد من حركة الراكب فوق ظهر الجواد ويمنع انزلاقه إلى الخلف فوق مؤخرة الجواد ذلك الانزلاق الذى يكون ضروريا فى بعض الظروف الخاصة .

ومن جهة أخرى فان « اللوحات » الفارسية التى ظهرت بعد القرن الثامن الهجرى تظهر بجلاء فرسانا قدجلسوا علىظهور جيادهم فوقسرج من النوع الذى ذكره محمد بن منجلى وهو السرج المغربى الحديث . وتلك غير « اللوحات » السابقة لذلك التاريخ والتى كان يظهر فيها السرج مسطحا وقد مد الفارسساقيه إلىالأمام .

وفى الغرب توضح لنا آثار كثيرة أن السرج ذا المقدمة والمؤخرة المرتفعتين لم يكن قد ظهر بعد فى القرن الثامن الهجرى ولا فى القرن التاسع فى حين أنه ظهر فى فترات متفاوتة قبل ذلك التاريخ كما أوضحنا .

هذا إلى أن سرج جواد «البيكادور» (مصارع الثيران الاسبانى) بهذا الطراز حتىيومنا هذا وهو بلاشك ميراث عنالغزو العربى ولا بد أن يكون قد استعمل قبل خروج العرب من أسبانيا أو بعبارة أخرى قبل القرن التاسع الهجرى .

وما يجب استخلاصه من تلك الاعتبارات هو أن المغاربة قد اقتبسوا علىالأقل فى أسبانيا السرج ذا المقدمة والمؤخرة المرتفعتين قرب نهاية القرن الثامن الهجرى وهذا يؤيد تحقيقات محمد بن منجلى حول الأصل الفارسى لهذا الجهاز وأن استعماله بدأ فى الانتشار من الشرق إلى الغرب ابتداء من عصره .

ولم يتغير فن الفروسية لدى العرب المغاربة على مر العصور فهو دائما الكر والفر والهجوم العنيف وإطلاق البندقية عن قرب والالتفاف المفاجىء والتظاهر بالفرار للتمكن من إعادة ملء البندقية .

ويمكن أن نؤكد بوجه عام أن هؤلاء المغاربة قد برعوا فى هذه الناحية من الفروسية لقربهم من الحياة البدوية الحقيقية كما وصفهم مرجريت(١) ودوماس(٢) وجيرار (٣) قاتل الأسود . فقيل عنها إنها حياة كلهاحركة تتخللها غزواتللسطو أو للصـــيد وفيها نجد الجواد هو الحيوان ذو الفائدة العظمى وهو المحور الذى

---

(١) Margueritte (٢) Daumas (٣) Gérard

يعتمدون عليه فى معاشهم وإضفاء السرور على حياتهم . وهذا النوع من الفرسان يوجد فى الجنوب والغرب من بلاد الجزائر . أما فيما عدا ذلك فهو أقرب إلى الخمول بتأثير الحياة الجامدة التى يحياها فى المدن لافتقاره إلى السلاح وإلى المهارة فى استعماله .

ففى الجزائر يفضل الفرسان عادة السير الانفرادى أو ما يكون من فارسين فقط . فيتقدم الفارس الذى سيجرى إلى نقطة الابتداء وبندقيته مرفوعة فوق فخذه ، ثم يبدأ ببعض الحركات كأن يوقف الجواد على خلفيتيه أو يستعمل مهمازيه فى استنهاض الجواد وفى الوقت نفسه يجذب الصرع بشدة وعندئذ يترك الفارس يده ثم ينتصب فوق الركاب مائلا إلى الأمام وبندقيته فوق كتفه . وهذه الحركات العنيفة من تغيير مقعد الفارس وتحريك الركاب تجعل الجواد يندفع جرياً بأقصى سرعته ، ويستمر هكذا نحو مائة متر وهو فى الوضع سالف الذكر ، وكثيراً ما تكون البندقية ممسكة باليد اليمنى فقط فى حين تكون اليسرى ممدودة إلى أعلى إشارة إلى المشى إلى الأمام ملوحاً بها فى حركات عنيفة فوق الرأس ، وقبل نهاية هذه المرحلة يطلق الفارس بندقيته بين أذنى الجواد أو فوق رقبته ، وبمجرد أن يطلق قذيفته يقذف ببندقيته فى الهواء ثم يمسك بها ثانية فى الوقت الذى يمسك فيه بالعنان ثم يميل إلى الخلف رافعاً يده ويوقف جواده فجأة ويجعله يقف مكانه فوق مؤخرتيه ثم يعود إلى نقطة الابتداء ليأخذ محله فى صفوف باقى الفرسان .

ويحدث فى هذه اللعبة تغييرات كثيرة ، فمثلا تجد أحد الفرسان قد تمنطق بغدارتين مثبتتين فى حزامه فبعد أن يطلق بندقيته ينقلها بسرعة إلى يده اليسرى ثم يطلق غدارتيه الواحدة بعد الأخرى قاذفاً بكل منهما وراء ظهره بعد إطلاقها ويمنعها الرباط الذى يربطها بالحزام من السقوط إلى الأرض .

وثمة فارس آخر بعد أن يطلق بندقيته يستل حساماً ويلوح به فى دائرة ثم يميل للأمام ويرسم بطرفه خطاً على الأرض .

وإذا انطلق فارسان معاً فلا يكون ذلك إلا لتجردهما من السلاح ، وعند ذلك يتماسكان ويميلان الواحد تجاه الآخر ويجتهدان فى قطع المسافة على خط واحد . أما إذا حدث وكان معهما بنادق فهما يتلامسان كتفاً لكتف طول المرحلة ويطلقان قذائفهما إلى الأمام فى الوقت نفسه ولا يفترقان إلا عند الوقوف .

وفى مراكش نجد أن الفرسان وكذا الخيول أنفسهما أكثر ثقلا وأقل مهارة .

ويندر أن يقطع الفرسان المرحلة فرادى بل الغالب أن يشترك جماعة مكونة من عشرة إلى ثلاثين فارساً متقاربين وبطريقة أكثر تدرجاً منها فى الجزائر. ويدير السباق قائد أو نبيل يقف فى وسط الصف وإن كان لا يهتم بالمحافظة على النظام التام أو انتظام الصف ، وتقوم الجماعة فى الابتداء بخطوة بطيئة تتدرج إلى الجرى السريع والكل واقف على الركاب ولا يتخذون وضع إطلاق النار إلا بعد أن يصدر قائدهم الأمر بذلك فيفعلون ذلك وهم مائلون إلى الأمام ، وهذا وضع يحدو بالخيول إلى المزيد من السرعة ، كما أنهم لا يطلقون بنادقهم فعلا إلا بإشارة من القائد ، وتكون هذه الإشارة بأن يطلق هو نفسه بندقيته فيتبعه باقى أفراد الجماعة فتنطلق القذائف متتالية .

وفيما عدا ذلك تستمر اللعبة كما سبق وصفها وإن كان النظام فيها يكون أقل منه فى الجزائر ، وقد يحدث أن فارساً يقطع المسافة كلها مع زميل واحد فقط وبدون سلاح ، وكان يحيط بأسفل رقبة جواده حبل من الصوف ويمسك بطرف هذا الحبل بيده مع اللجام ، وفى أثناء الجرى البطىء فى أول الأمر يخلى ركابه وبحركة سريعة يضع قدميه العاريتين على السرج فى حين ينفذ إبهامى رجليه فى فتحة قريبة من قبوة السرج ، وعند ذلك يترك لجام الجواد ثم يستعين بالحبل

فيقف ماثلا للأمام على حين ينطلق الجواد مقوداً بزميله المجاور له ، وفى نهاية المرحلة يباعد الفارس ما بين ركبتيه ويسقط فوق سرجه ويمسك بالعنان ليوقف الجواد .

وهنا أكون قد انتهيت من سرد ما أمكننى الحصول عليه مما يتعلق بفن الفروسية لدى عرب المغرب .

ألعاب الفروسية

الجريـــــد :

إن أصل اللعبة نفسه غير معروف . ويعزوه مسيحيو سوريا إلى الصليبيين ولكن لم يقيموا على ذلك البرهان . والمؤكد فى الأمر هو أن هذه اللعبة انتشرت فى كل بلاد الشرق وكذا فى سوريا وبلاد الفرس ولكنها لم تمتد إلى الغرب ، فلم تمارس مطلقاً لا فى المغرب العربى ولا فى أسبانيا .

وهذه الاعتبارات وكذا الحقيقة الثابتة أن الجريد لم يرد ذكره على لسان أحد من كتاب القرون الأولى فى الإسلام حتى المقريزى فى القرن التاسع الهجرى وهذا يجعلنا نستنتج أن اللعبة لم تعرف إلا بعد الصليبيين . والواقع أن ماذكره باربييه دى منيار(١) — من أن هارون الرشيد هو الذى ابتكر لعبة الجريد — مخالف للحقيقة .

ولهذه الفكرة من الأهمية فى الموضوع أجد نفسى مضطراً لذكر الفقرة التى ذكرفيها «باربييه» هذه الواقعة إذ قال :

---

(١) Barbier de Meynard

« كان الرشيد أول خليفة لعب البولو فى الميدان وأول من مارس الرماية على البرجاس وأول من لعب الكرة والمضرب » .

فكلمة البرجاس هنا تدل على مرمى معين عبارة عن اسطوانة مجوفة أو برميل موضوع أفقياً على أربع أرجل. وكان الفرسان يمرون وهم مسرعون فوق جيادهم فى موازاة خط المحور ولكن بعيداً عن الاسطوانة ويقذفون عند وصولهم القذيفة بحيث تمر من خلال فتحتها .

لذلك كان ماذكره « باربييه دى منيار » خطأ فى الترجمة لعبارة «قذف السهم فى لعبة الجريد » .

وإذا كان هذا صحيحاً فلم نسى الصليبيون عند رجوعهم إلى أوروبا لعبة هم مبتكروها فى الأراضى المقدسة ؟ والجواب على ذلك أنه لاتوجد فى مكان ما من أوروبا لعبة تشبه هذه قبل الصليبيين أو بعدهم فى حين أن نبلاء أوروبا قد استحضروا من الشرق الكثير من العادات .

ويحتمل كثيراً أن لعبة الجريد هى أثر باق من بعض الألعاب الحربية التى سأتكلم عنها فيما بعد والتى يمكن نسبتها المماليك أو للحبشان من قبلهم .

وعلى كل حال فان اسم اللعبة نفسه عربى بلا شك فالجريد عبارة عن فرع النخلة وقد أزيلت عنه الأوراق ويطلق بالاعارة على الحربة القصيرة . وهاك ماوصفه به « شاردان » :

« إن حربة التمرين التى تستعمل فى هذه اللعبة تسمى الجريد أى فرع النخلة لأنها تصنع من فروع النخيل المجففة وهى أطول بكثير من السهم وثقيلة الوزن بحيث تحتاج لساعد قوى لقذفها . وهناك أفراد فى بلاد الفرس قد مهروا فى هذه اللعبة لدرجة أنهم يقذفون بالحربة لمسافة من ستمائة إلى سبعمائة خطوة » .

وقيل أن أصف لعبة الجريد كما كانت تلعب فى سوريا حتى عام ١٩٢٥ سأضع تحت نظر القارئ وصف « شاردان » وهو طبعى لدرجة أنه فى القرن الحادى عشر الهجرى كانت تلك اللعبة أقرب ماتكون إلى حالتها الطبيعية منها فى الوقت الذى أشرت اليه . وهاك كيفية القيام بها :

«ينفصل عشرة فرسان أو اثنا عشر من الجمع وينطلقون بأقصى سرعة وهم متصلون برباط من الخيط وحرابهم فى أيديهم ليتقدموا للمعركة . ويقابلهم عندئذ فريق آخر مماثل فيتقاذفون بالسهام كل ند إلى نده ثم يعودون إلى مكان البدء حيث ينطلق فريق آخر وهكذا حتى تنتهى اللعبة .

وقد برع هؤلاء الفرسان فى قذف السهم وفى قيادة الخيول وفى سرعة السباق ، ولم تكن أقدامهم لتلمس الأرض مطلقا لالتقاط السهم فى الميدان ولم يقللوا من سرعتهم لهذا الغرض ، وكما كانوا فى معمعة السبق يميلون إلى جانب الجواد ويلتقطون السهم ببراعة ورشاقة تثير الإعجاب » .

وفى سوريا كانت لعبة الجريد دائماً موضع التكريم . وفى بيروت وطرابلس وأكثر المدن السورية كانت تعقد حفلتان كل أسبوع طوال الموسم فى يومى الجمعة والأحد ، وتكاد اللعبة تكون مقصورة على المسلمين وإن كان بعض الفرسان المسيحيين يشتركون فيها وذلك يدل على أن اللعبة لم تكن محرمة عند المسيحيين غير أن تعليمهم وميولهم الطبيعية هى التى كانت تحدوهم للامتناع عنها .

والسهم الثقيل الذى وصفه « شاردان » قد حل محله سهم آخر أخف وزناً يبلغ طوله حوالى متر ونصف ،وكان حجمه الصغير لا يسمح بقذفه إلى مسافة الستمائة أو السبعمائة خطوة كما ذكرت . وثمت ألعاب فروسية أخرى مماثلة وإن كانت أقل منها منزلة ، قد خلت من منظر الفارس الذى يلتقط السهم من فوق الأرض وهو منطلق بأقصى سرعة .

ولكى نستبين أنها أكثر دقة أذكر الآن كيف كانت تجرى لعبة الجريد، ثم أتبع ذلك بما ذكره السوريون عنها فى العصر الحديث :

« يقف فريقان كل منهما مكون من عشرة فرسان متقابلين على مسافة حوالى مائة وخمسين متراً ويمسك كل فارس فى يده جريدة ، وعند إصدار الإشارة من قائد الفريق ينطلق فارس من الفريق الأول نحو الفريق الثانى ملوحاً بجريدته أفقياً فوق رأسه ، وعند ما يكون قد قطع نحو ثلثى المسافة بين الفريقين وهو منطلق بأقصى سرعته يقذف بالجريدة نحو أحد أفراد الفريق المقابل وهذا الأخير يتجنب السهم مستعملا جريدته الخاصة إذا أمكن ، ثم ينطلق نحو مهاجمه الذى يستدير متجهاً نحو فريقه بأقصى سرعة . وفى أثناء هذه المطاردة يسدد المطارد جريدته إلى ظهر الفارس المولى عائداً ، وإذا تمكن من قطع الطريق عليه ينطلق فارس آخر من فريق الفارس المطارد للدفاع عنه . ثم تستمر المطاردة بهذه الطريقة من الجهة الأخرى .

هذا هو الأساس . أما القواعد الأساسية المتبعة كما ذكرها اثنان من الكتاب العصريين هما يوسف بن فرنسيس الحاج والدكتور نجيب بك خورى وأيدتها الأدلة الأخرى فهى :

يتكون كل من الفريقين المتباريين — ويجب أن يكونا متساويين فى العدد وفى القوة (أى المقدرة على اللعب) — من أربعة إلى ثلاثين فارساً حسب اتساع الأرض المهيأة للعب. ويرأس كل فريق رئيس من بين أفراده يقف إلى يمين الصف ويعين على التوالى الفارس الذى يصله الدور للانطلاق ، وهو يتبع فى هذا السبيل ترتيب الوقوف فى الصف من اليسار إلى اليمين بحيث يدور الدور على كل فرد من الفريق .

واللاعبون أحرار فى أثناء انطلاقهم والتلويح بالجريدة فوق الرأس وفى أن

ينادوا بأعلى صوتهم نداءا يتخيرونه ، وأن يفاخروا بمهارتهم بقصد التحدى ، أو ينشدوا بعض الأشعار الحماسية المناسبة .

غير أن يوسف بن فرنسيس الحاج قد أورد تصحيحاً كبيراً فى أن الجريدة تمسك مائلة على طول الفخذ إلى اللحظة التى يبدأ فيها استعمالها .

وينصح لكل فارس من الفريق وهو منطلق للهجوم على فارس من الفريق الآخر أن يصيح بأعلى صوته « إوعى وشك يافلان » أو « خذها ياراكب الأشقر » وهو لون الجواد الذى يمتطيه الفارس الموجه إليه الهجوم . وهذا التحذير يسمح للفارس الهاجم بالاستعداد لتجنب إصابة قد تحدثها له الجريدة وهى إصابات كثيرة الحدوث .

والفارس الذى يصيح بالتحذير لا يجب أن يتعدى الخط الفاصل بين الفريقين قبل أن يقذف بجريدته ، وبمجرد أن يقذفها يجب أن يستدير بكل سرعة متجهاً نحو فريقه .

وكل فارس من الفريق الأول يكون مطارداً لفارس من الفريق الثانى — لا يجب أن يتعدى خط الوسط فى مطاردته قبل أن يقذف بجريدته ثم يستدير ويعود .

فإذا حصل أن اقترب كثيراً من الفريق المواجه الذى يقف أفراده فى صف واحد متكاتفين فلا شك أنه يتمكن من إصابة أحدهم إصابة خطيرة .

وإذا اقترب كثيراً من الفارس الذى يطارده فهذا الأخير له الحق فى زيادة الدفاع عن نفسه بلكم الفارس الهاجم فى وجهه أو بجذب عمامته أو طربوشه أو غير ذلك بما لو تم لكان مثاراً للتهكم من المتفرجين . ولا يجوز الانطلاق أمام أحد أفراد الفريق المضاد ، ما لم يكن قد قذف بجريدته فاذا حصل يكون للأخير الحق فى لكم الهاجم فى وجهه .

وإذا تعدى أحد أفراد الفريق الأول خط الوسط يكون لعدد ما من الفريق الثانى أن يندفع نحوه ويحيطون به وفى هذه الحالة يعتبر أسيراً لهم .

وفى الواقع لا يكون الاستمساك بهذه القواعد مرعيا تماما، ويحتمل أن تجرى اللعبة فى أشكال مختلفة فى مختلف الجهات ، وذلك كما جاء فى وصف مختلف الكتاب الأوربيين الذين جابوا بلاد العرب وشاهدوا اللعبة تجرى فى مختلف أنحائها ، ولذا فان « شاردان » الذى شاهدها فى بلاد العجم فى القرن الحادى عشر الهجرى قال عنها إنها عبارة عن هجوم بين فريقين من الفرسان فى حين أن الغالب فى اللعبة كما شوهدت فى سوريا هى العمل انفرادياً أى لا يهجم أكثر من فارس واحد من كل فريق على فارس آخر من الفريق المضاد . ويضيف يوسف ابن فرنسيس الحاج الذى كان يكتب عام ١٨٨١ أن اللعبة يجب أن تكون كذلك لأنها تمثل صورة الحرب الفردية .

وفيما يختص ببدو شبه الجزيرة يقول «بورخارت»[١] أن طرق تسليحهم الأولية لا تناسب أعمال الفروسية الكبيرة وأنهم لا يلعبون الجريد بل يلعبون لعبة تسمى « طراد » وأهم ما تختلف فيه عن الجريد هو أن السهم المستعمل يستبدل بالبندقية غير المعمورة . وهنا نجدهم لا يضطرون للوقوف فى منتصف المسافة بين الفريقين وقذف السلاح على العدو بالاختيار ولكن يقتضى الأمر تحدى العدو عن قرب والهرب أمامه . وهنا يجتهد المطارد فى لمس الهارب بطرف بندقيته فاذا تمكن من ذلك يعتبر الأخير أسيراً له .

وفى لعبة الجريد السابق وصفها كما فى « الطراد » ينتهى اللعب بهجوم عام يشترك فيه الجميع معا .

---

(١) Burkhart

وهذه اللعبة لا تنقصها الرشاقة ، وتحتاج للكثير من المهارة وقوة الإبصار لكى تتم حسب القواعد الموضوعة لها وبدون إصابات . وتبعاً لما ذكره الكتاب السوريون يستعمل الفرسان كل ما وصل اليه فنهم فى الفروسية كالتقاط الجريد من الأرض وهم على ظهور الجياد، أو الانبطاح على طول الجنب، أو الانكاش تحت الجواد لتجنب قذيفة العدو، أو قذف السهم وهم وقوف على ركاب واحد ليعودوا إلى السرج بعدها مباشرة ، أو الوقوف على ركبة واحدة أو الاثنتين فوق السرج إلى غير ذلك . والواقع أنها لعبة فائقة الجمال .

لعبة البارود على الأقدام :

فى جميع أرجاء الشرق العربى ، من بلاد المغرب إلى الخليج الفارسى ، لا يعقد حفل شعبى دون أن يشمل لعبة البارود . فسواء كان الاحتفال بالمولد النبوى لدى المسلمين أو بعيد الميلاد لدى المسيحيين أو فى حفلات العرس وما إلى ذلك ، نجد أن كل فرد يستخرج لهذه المناسبة بندقية قديمة أو بندقية صيد ذات طلقين أو غدارة فيطلقها باستمرار إلى أن يكل تعباً . وحيثما وجدت الأسلحة القديمة التى تعبأ من الفوهة فانه يكون من الأيسر والأكثر اقتصاداً إطلاقها بدون قذائف بأن تحشى بكرات من الورق والقش وما إلى ذلك. والصوت الذى تحدثه لا يختلف عن غيره ثم هى أقل خطراً فى احتمال إصابة الأشخاص المجاورين ، اللهم إلا إذا كانت الطلقة من مدفع أو كانت الإصابة من القذيفة نفسها التى تشبه القذيفة الحقيقية إذا كانت مضغوطة بشدة ، ولكن فى البلاد التى حلت فيها الأسلحة الحديثة محل القديمة لا يضيع الرجال وقتهم فى إزالة القذيفة من الظرف، وهم من المهارة لدرجة أنهم عندما يطلقون فوق الرءوس لا تقل الإصابات عن المعتاد .

وأحسن مثل يحكى من هذا القبيل ما حدث فى دمشق يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨

فقد نظمت بأمر من الأمير فيصل مظاهرة هائلة قوامها رجال البوليس العربى ، ولم يكن الغرض من تنظيم هذه المظاهرة هو الاحتفال بالهدنة ولكن لتحية التصريح الفرنسى الانجليزى الذى أعلن استقلال سوريا ، فمن أقصى طرف « الميدان » كان زعماء الحى يحثون الأهالى على إقفال الحوانيت الواحد بعد الآخر ويجبرونهم على أن يتجمعوا بأسلحتهم ويطلقوا قذائفها فى الهواء ، وقد استمروا فى سيرهم على هذا المنوال خلال المدينة إلى أن وصلوا إلى « الصالحية ». ولما كان الجمهور يطلق عيارات حقيقية لم يخل الحال من قتل بعض الفضوليين الذين أطلوا من نوافذ دورهم ، كما أن جميع الأسلاك التليفونية وأسلاك الترام والكهرباء والنور قد قطعت . ولم يكن الأهالى فى وقت ما أكثر تسليحاً ولا ذخيرة ، إذ قد صادف قبل ذلك الاحتفال بحوالى أربعين يوما أن اشترى الأهالى كميات كثيرة من السلاح والذخيرة من الأتراك المنسحبين شمالا أمام الاستراليين الزاحفين من الجنوب ، ولم يكونوا قد دفعوا فيها سوى أثمان بخسة وأحياناً كانوا يغتصبونها اغتصابا .

وقد تكررت مثل هذه المظاهرة فى حفلات استقبال كبار الزائرين الأجانب فكانت الرجال والفتيان يطلقون العيارات النارية من فوق أسطح المنازل فى هيئة مستمرة لا تنقطع حتى نهاية الاحتفال .

وفى جهات مختلفة من بلاد المغرب تكتسب هذه اللعبة صفة خاصة وتشتمل على بعض المناورات الحربيـة المسرحيـة . ويشاهـد ذلك خاصة فى المناطق التى لا يزال الوطنيون فيهـا يحتفظون بأسلحتهم القديمـة ، فوق بنادقهم وغـداراتهم الحديثة ، ومثل ذلك بلدة «مزب» فى الجزائر وعند «الدوكالا» فى مراكش .

والمعلوم أن قبائل الموزابيين وهم سلالة إسلامية قد اضطروا إلى عهد حماية الفرنسيين للاشتراك فى حروب دموية ضد جيرانهم من الديانات الأخرى ، وبعد

أن تم الاحتلال الفرنسى لتلك البلاد أثيرت كثيراً مصادمات دموية بين الطائفتين فى البلاد التى كان الموازبيون فيها أكثر تفوقاً فى العدد .

وليس معنى ذلك أن ما كان يحدث عادة هى حروب بالمعنى الذى نفهمه ، بل كانت اشتباكات أو إغارات متباعدة الواحدة عن الأخرى ، تختلف فى مدى اتساعها فيما يختص بعدد الضحايا . ويشمل ذلك حوادث القتل التى بيتت من زمن بعيد فى انتظار حلول مثل تلك المناسبات لتنفذ فى الأسواق أو فى خلال رحلة من الرحلات، وكذلك فى أثناء الإغارات الفجائية ضد بعض بلاد الموزابيين ، وكذا حوادث الخيانة بجميع أنواعها .

ولذلك نجد أن كل موزابى يمتلك واحدة من القاذفات ذات الفوهة الواسعة ، وهى من نوع تلك البنادق القديمة التى كان يستعملها الفرسان ، والتى تسمى بذات الإبرة ، أو من تلك الغدارات ذات العيار القوى التى لا نشاهدها إلا فى المتحفات. والرجل منهم يفضل اختيار الأسلحة التى تسع أكبر قدر من البارود والقذائف ، والتى يعتقد أنها تنشر عبوتها فى عدد كبير من الشظايا ، مؤملا بذلك أن يتمكن يوماً ما من الوصول خفية وإطلاق قذيفة فى جمع من الأعداء مسبباً لهم أكبر عدد ممكن من الضحايا .

وبهذه الأسلحة ، بعد تفريغها ، يقوم الموزابيون فى جميع المناسبات بما يسمى « فانتازية على الأقدام » وذلك فى جميع الأعياد الدينية أو عند زيارة أحد العظماء لهم وما إلى ذلك . ومما تجدر رؤيته أولئك الرجال ذوو المظهر الهادئ ، القصار القامة ، الذين ارتدوا جلاليبهم المخططة ، وانتعلوا فى أقدامهم الضخمة تلك الأحذية المسطحة المأثورة عن الجزائريين . أما وجوههم الشمعية ، فقد أحاطت بها ذقون شعث ، وتثبتت أنظارهم على ما يحملون من سلاح وقد استعدوا لاستعماله فى أثناء الحفل . وهم أحياناً يضعون من البارود أكثر من أوقية (وهذا البارود

عادة يخلط بمسحوق الفحم) ثم يكدسون فوقه بعض الروث الجاف على شكل «طبه».

وبعد أن تنتهي هذه العملية الشاقة، ويصبح الرجال على استعداد، يتجمعون حول رئيس منهم، ثم يصدر هذا الرئيس أوامره، فيهجم الجمع وهو يصيح على جمع آخر، ومتى أصبحت المسافة بين الجمعين حوالى مترين أو ثلاثة، يطلق الجميع النار معاً في ضجة هائلة. وبمثل هذه العبوة السابق ذكرها، لا تكون هناك حاجة لاستقرار السلاح على الكتف، بل يمسك كل رجل بسلاحه على امتداد الذراع وبكلتا يديه، اليسرى منهما بين الرمانتين واليمنى خلف المسمار مع وضع الإبهام تحت الزناد. وهو لا يحرك هذه الأخيرة، إلا بعد أن يؤدى حركة هجوم فى اتجاه الأرض لتجنب الاندفاع الذاتى. وهذه الحركة بالسلاح، والضغط على الزناد، يتمان فى الوقت الذى يقفز فيه حامل السلاح فى مكانه كأنه يحاول السماح لتيار القذائف التى يطلقها جيرانه بالمرور.

وإن تسابق كل جماعة من الجماعات نحو الأخرى والهواء الناتج من القذائف والتراب الثائر والحصى والدخان كل ذلك يسبب ما يشبه ضباباً كثيفاً يتعذر خلاله تمييز الجموع المشتركة فى المهرجان، مما يعطى للمنظر روعه قابضة، ثم ينتظر الجميع على الرغم منهم انقشاع هذا الضباب ليحصوا عدد القتلى ويشاهدوا الدماء المراقة.

وفى خلال المهرجان تتكرر الحركات نفسها بالنظام نفسه، ولا يدهشنا أن نرى معارضة لمثل هذا التمرين من أشخاص لم يسبق لهم تدريب. والنظام الأساسى للعبة لا يحوى تنوعاً يذكر، اللهم إلا إذا حصل من وقت إلى آخر أن يندفع أحد المشتركين فى التمرين ملوحاً بسلاحه فى حركة دائرية، أو بإلقائه فى الهواء بعد إطلاقه.

والإصابات فى هذا التمرين كثيرة جداً، وذلك يرجع فى الغالب إلى أن البندقية تنطلق تحت تأثير العبوة الكبيرة من البارود، فتصيب أفراداً عديدين، وإذا احترقت القذيفة أيضاً وهى شديدة القابلية لذلك، فإنها تحرق من تصيبهم.

ويقول « دوتيه » إن هذه اللعبة تختلف بعض الاختلاف لدى قبائل «الدوكالا» عما سبق وصفه ، على أن هذا النوع من البنادق ذات الفوهة الواسعة غير معروف لديهم ، كما أن استعمالها يكاد يكون مقصوراً على الموزابيين ، ثم إنهم من جهة أخرى لا يجرون هذا التمرين على الأقدام إلا إذا أعوزتهم الخيل .

فإن لم يجدوا خيلا فإن ما يحصل عادة عند « الدوكالا » أن يجروا التمرين على الأقدام مع استعمال البندقية العادية ، فيوازنونها فى أيديهم ، ويلوخونها فى الهواء فى حركات دائرية ثم يسددونها إلى الأرض ويطلقونها .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن حفلات العرس بين سكان الواحات والريف المصرى وجماعات البدو الرحل فى مصر لا تخلوا أبداً من التبارى فى إطلاق النار يطلقها المحتفلون من أسلحتهم ، وهم إما وقوف على الأقدام أو يمتطون ظهور الجياد .

الباب الثالث

الجواد العربى

ولنر الآن متى بدأ استئناس الجواد ، فإلى أن جاء سليمان بن داود لم يرد ذكر شيء ما عن ركوب الخيل عند العرب ، إلى أن جاء ذكر الجواد « زاد الركب » وهو خير ما كان يملكه سيدنا سليمان .

فإن الاعتقادات القديمة المتداولة والمكتوبة حتى القرن الرابع عشر ، تنسب إلى جواد سليمان هذا جميع سلالة الخيول العربية فى العالم كله .

ولكن لنتتبع الحلقة التاريخية ، فبعد عهد الجاهلية جاء عهد النهضة الإسلامية فكان النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو المثل الأعلى للإنسان الذى يود كل مسلم التشبه به ، يحب الخيل كثيراً . وجميع المؤرخين الثقاة فى أمر الحديث الشريف ينسبون له عليه الصلاة والسلام سبعة خيول ويسمونها بأسمائها .

ومهما يكن من أمر ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام ، تحدث عن الخيل أطيب الحديث ، لحث المسلمين الذين يستطيعون إلى ذلك سبيلا أن يربوا عدداً من الخيل فى سبيل الله كما حث على عدم خصيها لكى تتوالد ، وعدم استئصال معارفها أو ذيولها التى هى سلاح الجواد ضد الذباب والبرد .

ويعزو البعض إلى النبي أيضاً النظم التى وضعت لسباق الخيل كما جاء ذكره من قبل .

وإنى أعتذر عن هذه الإفاضة لأنها ضرورية كما سنرى ، وأعود بالقارىء إلى تاريخ الجواد ومنشئه كما هو متداول بين العرب .

بدأ علماء الأنساب العرب حوالى القرن الثامن الهجرى فى تسمية فصيلة الخيل

باسم الفرس بدلا من اسم « الفحل » الذى كان متداولا من قبل . وإذا بحثنا عن السبب ماوجدناه يخرج عن زيادة الاهتمام بأمر أنثى هذا الحيوان .

وهنا تظهر لنا خمسة أسماء لأفراس تسلسلت منها خمس سلالات مختلفة . وإذا ما حاولنا تحديد هذه الأسماء نجد أنها تختلف كثيراً وتتشعب ، حتى إذا ما وصلنا إلى بلاد الشام وبين النهرين وبلاد العرب وصل عدد هذه الأسماء إلى المائة .

وقد ذكر الأمير محمد باشا نجل الأمير عبد القادر فى معرض الحديث عن السلالات الممتازة ، تلك السلالة التى نشأت فى ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) عن الجواد « رواس » الناتج من خراسان . والمراجع التى يقدمها فى هذا الصدد تسمح بتحديد وقت هذه الحادثة بدقة فى أوائل القرن الأول الهجرى .

وتبعاً لرواية أخرى ، فإن الخيول الخمسة التى تسلسلت منها الخمس سلالات الممتازة كانت هى أفراس النبى . وفى هذه الحالة لا يمكن القول بأن المؤرخين ، وهم عادة على شىء من الدقة ، قد أهملوا هذا الموضوع وأن الكتاب الذين كتبوا بعد ذلك بسبعة قرون مثل ابن هذيل لم يشيروا إليها فى كتاباتهم الخاصة بالخيول والأفراس المشهورة .

وثمة رواية ثالثة تقول إن الخيول الخمسة قد ورثت لربيعة من أولاد نزار من ضمن العدد الكبير الذى كان يملكه جده . وقد صرح ربيعة المذكور أنه اكتفى بالخيول كنصيبه الخاص من الميراث ، ومن هنا ينشأ الاسم « ربيعة الفرس » فى حين أن أخاه « مضر » أخذ الذهب ، ومن هنا نشأ أسم « مضر الحمراء » .

والواقع أن العرب عرفوا — تبعاً للروايات المتناقلة والمكتوبة — ثمانى سلالات أو فصائل للخيول ميزت باسم الجواد الأول منها أو باسم كل جواد ذكر نتج منها وذلك حتى القرن الثامن الهجرى على الأقل .

ولكى نلم فى بضع كلمات بتاريخ الجواد طبقا للأساطير العربية نفسها فسألخص فيما يلى النتائج التى سردتها سابقاً .

ظهر الجواد فى بلاد العرب متاخراً جــداً . وإن أقدم الآثار والمخطوطات الفارسية المتعلقة بحوادث تاريخية قبل الإسلام لا تشير إلى بلاد العرب إلا باسم البلاد التى تستعمل الجمل أو الهجين . وفى القرن الثامن الهجرى من النادر جداً أن يمتلك أحد العرب أكثر من جواد واحد كما ذكر الدميرى .

هذا إلى أن خيول سليمان ذات الأصل المصرى أو الليبى فى الغالب فى الشمال الغربى من بلاد العرب ، وكذا الخيول التى موطنها البلاد المجاورة لبحر قزوين وبلاد الأشوريين لا بد أن تكون قد اختلطت بخيول العرب الرحل الكثيرى التنقل فنتج عن هذا الاختلاط فصائل جديدة .

ومن جهة أخرى فنى الجنوب أى فى اليمن نجد أن غزو تلك البلاد واحتلال الحبشان لها فى فترات مختلفة قبل الإسلام أدى إلى إدخال السلالة الحبشية للخيول وهى المسماة « الدوجولاوى ».

ويرجع الفضل فى التبادل بين سلالات الشمال والجنوب إلى الهجرات الكبيرة التى كان يقوم بها قبائل الجنوب إلى الشمال من اليمن إلى سوريا وفلسطين وبلاد النهرين فى القرن الثامن الهجرى .

وأخذ هذا التبادل فى الازدياد والاتساع تبعاً لتغلغل الإسلام وفتوحه الباهرة إلى أواخر القرن الأول الهجرى. وقد نشأت نظريات جديدة تقول إن السلالة الجوادية الإفريقية فى تونس والجزائر لم تستمد أصلها من الخيول العربية بل بالعكس كانت مصدراً حياً أسهم بقسط وافر فى تكوين السلالة العربية ، وهذه الأخيرة كانت دائماً ولا تزال قليلة العدد للدرجة التى تكاد تكفى الضروريات الحربية للبلاد كما أنها تسمح بالقليل جداً من التصدير بالنسبة لعددها .

وأن الظروف الجوية التي كانت ملائمة جداً وظروف الحياة البدوية الدائمة فى الهواء الطلق قد أخذت فى تكوين العناصر الأولية التى كان لها الفضل فى إيجاد الجواد العربى الباهر (شكل ٤٩) الذى تلجأ اليه جميع البلدان الأخرى لتذكية فصائلها الجوادية .

ويعتبر دليلا على امتياز الجواد — وهو فى حالة الجرى السريع — ارتفاع قامته ، وثبات رأسه ، مما لا يحتاج إلى معاونة من الراكب فى أثناء السباق . ويجب كذلك أن تكون أعضاؤه متقاربة (مثنى مثنى) بحيث تظهر الأعضاء الأمامية كأنها متصلة وكذلك الخلفية ، وأن يكون امتداد الرجلين الأماميتين معاً ، وأن تستطيل عضلات الصدر بقدر الإمكان لتقريب المسافة بينهما وبين الرجلين الأماميتين لتسمح بدرجة من القبض للرجلين الخلفيتين .

وكلمة القبض هنا تعنى أن الجواد لا يضع قدميه الخلفيتين مسطحتين على الأرض ولكنه يلامس الأرض بأطراف حافريه فقط وبسرعة فيخيل للناظر أن حافريه هما طرفا سهمين مثبتين إلى جانبيه ، كما أنه يطرح أماميتيه ، وتؤدى الخلفيتان حركتهما معاً كأنه لا يرفع سوى قدم واحدة . وأخيراً يجب كذلك أن يضم عضلات صدره ولا يقصر طول خطواته ولا يلهيه شيء فى أثناء الجرى .

زد على ما تقدم أنه يجب أن يكون الجواد مرفوع الرأس وأن يكون حساساً نشيطاً عند الركوب أو عند الحركة ، متعالياً فى خطواته ، ومع احتفاظه بكون الرأس عاليا يديم النظر إلى الأرض .

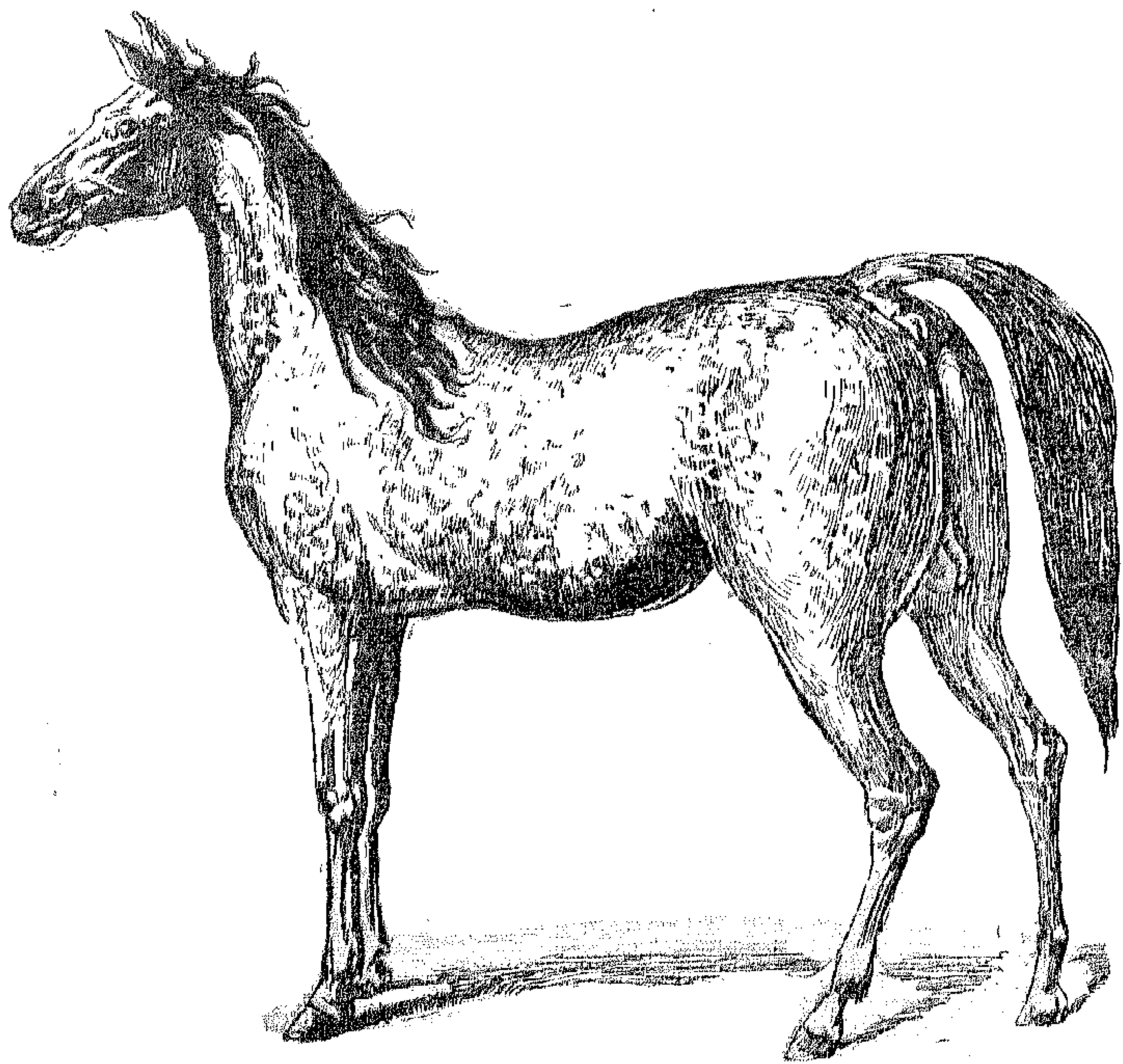
فإذا وجدت كل هذه الصفات أو معظمها مجتمعة فى جواد واحد فان النتائج التى تستخلص منها لا يمكن إنكارها عند الاختبار .

أما عن صفات الفرس وهو فى حالة الوقوف فهاك الوصف الرائع الذى وصفه به العرب :

« إن لين الوبر (الشعر الخفيف الذى يغطى الجسم) صفة مطلوبة فى جميع الحيوانات على اختلاف أنواعها وتدل على القوة وبخاصة فى حالة الجواد . ويجب أن يكون الجواد ناعم الوبر يشبه فى ملمسه الحرير « الخام » . وإذا كان هذا الوبر خشن الملمس فالجواد غير عريق الأصل .

« ومما يستحب فى الخيول الأذن المؤللة (المحددة) والناصية المعتدلة التى ليست بسفواء ولا غماء (السفواء الخفيفة والغماء الكثيرة الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا منه) والجبهة الواسعة والعين الطامحة السامية والخد الأسيل ورحب المنخرين وهرت الشدقين (سعة جانب الفم) وقود العنق (طولها) ولينها حتى لا تكون جاسية ورقة الجحفلتين (الشفتين) وارتفاع الكتفين والحارك الكاهل ، ويستحب أن يشتد مركب عنقه فى كاهله لأنه يتساند إليه إذا أحضر ، وعرض الصدر وضيق الزور (ملتقى أطراف عظام الصدر) وارتفاع اللبان (الصدر) وأن يشتد حقوه (كشحه) لأنه معلق ، وركبه ورجلاه فى صلبه وعظم جوفه وجنبيه ، وانطواء كشحه ، وإشراف القطاة ، وقصر العسيب ، وطول الذنب وشنج النسا (التقبض فى الجلد واستواء الكفل) وملاسة الكفل ، وقصر الساقين ، وطول الفخذين ، وتوتير الرجلين حتى لا يكون أقسط (الذى فى رجليه انتصاب) وتأنيف العرقوب (تحديد طرفه) حتى لا يكون أقمع ، وغلظ الرسغ وقصره ، وأن تكون الحوافر صلابا سوداً أو خضراً » .

وقد كان العرب مولعين بالفروسية كلفين بها إلى حد كبير ، فقد كانت من أحب ضروب الرياضة إلى نفوسهم وبلغ هذا منهم حداً دفع بشعرائهم إلى نظم القصائد فى وصف الفرس والأراجيز فى نعتها ، فمن ذلك ما قاله أبو نواس فى إحدى أراجيزه ينعت الفرس :



شكل ٤٩

قد اغتدى والصبح محمر الطرر   والليل تحدوه تباشير السحر
وفى تواليه نجــــوم كالشرر   بسحق(١) الميعة(٢) ميال العذر(٣)
كأنه يوم الرهان المحتضر   طاو(٤) غدا ينفض صيبان المطر
عن زف(٥) ملحاح(٦) بعيد المنكدر(٧)   أقنى(٨) يظل طيره(٩) على حذر
يلذن منه تحت أفنان(١٠) الشجر   من صادق الوعد طروح بالنظر
كأنما عيناه فى وقبى حجر   بين مآق لم تخرق بالإبر

مشاهير فحول الخيل فى الجاهلية والاسلام

من أقدم الخيل «زاد الركب» وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد كانوا أصهاره وكان عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها وكانت قبل من سائر الوحوش. أما مشاهير فحول الخيل فى الجاهلية فهى كثيرة لاتقع تحت حصر فنها المحبّر — فرس ضرار بن الأزور والعسجدى من خيل بنى أسد. والشيط لأنيف بن جبلة الضبى، وشولة وعرقوب فرسا زيد الفوارس، والوجيف والكلب والمزنوق والورد لعامر بن الطفيــــل، وداحس والغبراء فرسا قيس بن زهير بن جذيمة الأدهم، والعبيد وزرة وصوبة للعباس بن مرداس وجميعها من خيل ضبة.

وأنشد أبو سيعد لبعض الضبيين فى وصف فرس:

متقاذف(١١) عبل الشوى(١٢) شنج النسا(١٣)   سباق أندية الجياد عميثل(١٤)
وإذا تعلـــل بالسياط جيادها   أعطاك نائلة ولم يتعلــــل

وكامل فرس زيد الخيل، ومطامير فرس القعقاع بن شور، وأعنق لعمرو بن أبى ربيعة وكلها من خيل هوازن. والحرون لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلى من

---

(١) كتف طويل (٢) ناصية الفرس (٣) الشعر على كاهل الفرس (٤) الذى لم يأكل شيئاً (٥) صغار الشعر (٦) دائم الحركة (٧) الإسراع (٨) المنحنى (٩) ذبابة (١٠) خصل شعر الذيل لغزارتها. (١١) سريع. (١٢) غليظ القوائم. (١٣) منقبضه وهو مدح للفرس لأنه إذا شنج نساه لم تسترح رجلاه. (١٤) النشيط.

خيل باهلة . وكان سلمان بن ربيعة الباهلى عالماً بأمور الخيل ، وكان سلمان هذا يسمى « سلمان الخيل » لشهرته وعنايته بتربيتها وتمرينها . وابن النعامة لعنترة من بنى عبس، والنحام فرس سليك بن السلكة السعدى من طىء، واليحموم فرس النعمان ابن المنذر من اللخميين ، والصريح فرس لبنى نهشل .

أما فحول الخيل فى الإسلام فهى ما يأتى :

١ — خيل بنى هاشم : قال ابن الأعرابى إنه كان للنبى « صلعم » خمسة أفراس هن الظرب واللزاز واللحيف والسكب والمرتجز وإنما سمى المرتجز لحسن صهيله وكان السكب كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى . وكان لجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فرس شقراء يقال لها سبحة ، وكان لحزة بن عبد المطلب فرس يقال لها الورد .

٢ — خيل الملائكة : حيزوم والبراق وهما فرسا جبريل عليه السلام .

٣ — خيل قريش : اليعسوب وهى فرس الزبير بن العوام وكان له فرس شهد عليها حنيناً يقال لها معروف وكان له فرس أخرى يقال لها ذو الخمار شهد عليها يوم الجمل ، وذو العنق فرس للمقداد بن عمرو بن الأسود الزهرى شهد عليها بدراً وكانت له فرس أخرى يقال لها بعزجة شهد عليها يوم السرح ، وذو اللمة وجناح وهما لعكاشة بن محصن ، والأجدل فرس لأبى ذر الغفارى، وأطلال فرس بكير أحد بنى الشداخ، والعود فرس سراقة بن مالك بن جعشم ، ومجاج فرس أبى جهل بن هشام ، والنعامة فرس مسافع بن عبد العزى ، والسرحان فرس محرز بن نضلة شهد عليه يوم السرح وهو يوم أغار عيينة بن حصن على سرح المدينة، والظل فرس مسلمة بن عبد الملك .

٤ — **خيل الأنصار** : لاحق فرس سعيد بن زيد شهد عليه يوم السرح وليس بلاحق المشهور الذى تعزى إليه سوابق الخيل لأن ذلك فى الجاهلية . ولماع فرس عباد بن بشر أحد بنى حارثة شهد عليه يوم السرح . والمسنون فرس ظهير ابن رافع شهد عليه يوم السرح . وجروة فرس عبيد بن معاوية . ومندوب فرس أبى طلحة زيد بن سهل ركبه النبى «صلعم» فقال عليه السلام « إن وجدناه لبحراً » .

وكان للعباسيين ميادين كبيرة يدربون فيها خيولهم ، ومنها يرسلونها إلى الحلبة ، فكان لهذه المباريات التى تقام فى السباق أكبر الأثر فى تحسين جنس الخيل . وعن أبى إمامة أنه قال: قال رسول الله «صلعم»: «عاتبوا الخيل فانها تعتب» أى أدبوها فإن فيها قوة تدرك بها العتاب ، فتفعل ما تؤمر به ، وتنتهى عما تنهى عنه .

سباق الخيل :

ترجع عادة مقارنة سرعة جوادين إلى العصر الذى بدأ فيه استخدام هذا الحيوان النبيل . وقد ورد ذلك فى دائرة المعارف الإسرائيلية عن السباق وأعياد الفروسية .

وقد ذكر الكتاب العرب أنه فى زمن الجاهلية الأولى عندما كان يرغب رجلان فى مقارنة جواديهما ، كان يودع كل منهما رهناً متفقاً عليه عند ثالث ، فمثلا كانوا يتفقون على جمل أو جملين أو مقدار معين من المال ، وكان الغالب يستولى على ما أودعه كما يستولى على ما أودعه زميله المغلوب .

وكان العرب مقامرين بطبعهم ، فكانوا يتحمسون لألعاب الحظ لدرجة أنه كثيراً ما كانت تنشأ المعارك الدامية بينهم ، والمشاحنات الطويلة الأمد ، والتى كانت كثيراً ما تؤدى إلى قتل أحد المتعاركين وبذر بذور عداوة لا تنتهى ، الأمر الذى ضايق القضاة ودعاهم لتحريم هذه الألعاب حتى قبل ظهور الإسلام .

ولو لم يحصل هذا التحريم لكان النبي عليه السلام قد أجرى بنفسه مثل هذا الإجراء ، فهو قد عزز هذا الأمر بالمنع ، ولكنه وجد أن ألعاب الحظ هذه تشمل سباق الخيل ، وكان يعتد كثيراً بما تؤديه أعمال الفروسية وتربية الخيول من خدمات شعبية ، فأدى ذلك إلى استثنائها على وجه التقريب ، فأصدر عليه الصلاة والسلام تعليمات جديدة أو بمعنى أدق أقام فعلا بعض مسابقات فى مناسبات مختلفة ، وكانت التعليمات التى اتبعها هى القانون الذى سرى على هذه المسابقات فى المستقبل كما أثبتها المحدثون من واقع ذكريات الصحابة . وهذه التعليمات أو القوانين يمكن تلخيصها فيما يلى :—

١ — لا يجوز التسابق إلا بين الخيول أو بين الجمال أو بين الرجال فى الرمى .

واعتبروا تساوى الحوافر والأخفاف أساساً فى ابتداء السباق . وكانت تثبت فى نهاية المسافة المحددة للسبق عصا صغيرة فتتسابق الخيل للوصول اليها ، وكان الفارس الأسبق ينتزعها ويحرزها لنفسه فذهب قولهم «أحرز قصب السبق» مثلا .

٢ — لا يجوز أن يجرى السباق إلا بين الخيول التى من طبقة واحدة فيما يتعلق بالسن ودرجة الدم والتدريب إلى غير ذلك من المميزات ، غير أنه يمكن أن يتسابق جوادان أحدهما مدرب والآخر غير مدرب بشرط ألا يكون هناك رهان بين صاحبيهما .

٣ — يجب أساسياً أن يكون طول مسافة السباق محدوداً . وقد ذكر الأصمعى أن طول المسافة قد تحدد تبعاً لسن الجواد كالآتى :

الجواد الذى يبلغ عمره حولين : أربعون مرحلة سهم (٨٠٠٠ متر تقريبا)

« « « « ٣ سنوات : ستون « « (١٢٠٠٠ « «)

« « « « ٤ « : ثمانون « « (١٦٠٠٠ « «)

٤ — لا يجوز التبارى بين اثنين إلا إذا لم يكن هناك رهان بينهما أو إذا كان الرهان مقدما من واحد فقط من المتباريين بحيث يستعيد هذا الطرف الرهان إذا كان غالباً ويفقده نهائياً إن كان خاسراً .

٥ — إذا وضع كل من متباريين رهانا فلا يجوز لهما التسابق إلا بشرط أن يشركا معهما ثالثاً فى السباق على أن يكون جواد هذا الأخير من طبقة جوادى المتباريين الآخرين بحيث لا يمكن التكهن بخروجه خاسراً من السباق . ويسمى هذا الجواد الثالث محللا أو دخيلا ولا يجوز لصاحبه أن يشترك فى دفع الرهان وإن كان له الحق فى كسب مجموع رهنى الآخرين إذا كان هو الفائز .

٦ — اعتبر العرب تساوى الحوافر والأخفاف أساساً فى ابتداء السباق، وأما فى انتهائه فقد اختلفوا فى ذلك . فأدخل بعضهم فى هذا الاعتبار أنه بالأعناق، على

حين ذهب البعض إلى أنه بالأعناق فى الخيل وبالأخفاف فى الإبل . وقد قال آخرون إن السبق فى الإبل بالكتف ، وأما الخيل فإن تساوت أعناقها فبالرأس وإن تفاوتت فبالكتف . وقال الثورى إن السبق فى ذلك كله بالأذن أمثل من اعتبار الرأس والكتف ، وهو الذى جاء مصرحا به على كرم الله وجهه .

ويظهر أن عادة رسول الله « صلعم » وأصحابه كانت اعتبار السبق فى الجميع بالحوافر والأخفاف كمسابقة بنى آدم بالأقدام .

(وإنى أشير هنا من باب المناسبة إلى الصعاب التى كانت تكتنف تطبيق هذا الشطر الأخير فهو مثل للدقة فى التحكيم التى امتاز بها المشرع العربى) .

وإذا وصل المتسابقان معا فإن قيمة الرهان تقسم بين الفائزين .

٧ — يجوز لكل رجل وبخاصة الأمير الحاكم أن يقدم المكافأة التى يمنحها الفائز أو يقدم مجموعة من الجوائز تقدم للمتبارين بترتيب وصولهم ، بشرط ألا يكون لمقدم هذه الجوائز جواد بين المتبارين .

وبدهى أنه لا يمكن تطبيق هذه القاعدة مع ماجاء بالقاعدة (٤). وإنا لنلاحظ — فيما عدا القاعدة الأخيرة التى تنطبق على عدد كبير من المتبارين — أن المشرع قد اهتم اهتماما خاصاً بمسألة الرهان بين متباريين ، ولكن ميل العرب وشغفهم بهذه المباريات كان كبيراً لدرجة أن السلطات كانت تنظم مسابقات يشترك فيها عدد كبير من المتسابقين كل عشرة منهم فى شوط يسمى الحلبة .

وكانت إشارة البدء تعطى عند الحبل المقام للابتداء ، وكانت المسافة المحدودة للسبق مخططة بخط مستقيم وتتصل بنطاق من الطوب لايسمح بدخوله إلا للثمانية الأول. وفى داخل هذا النطاق غرست سبعة أسهم فى الأرض تحمل كل منها الجائزة التى خصصت لكل من السبعة الفائزين بترتيب وصولهم . وكانت هذه الجوائز عبارة

عن ملابس كاملة أو قطع ملابس مطرزة أو صرة تحتوى على جائزة فضية إلى ما شابه ذلك .

وقد اختلف الكتاب فى عدد المتبارين الذين تتكون منهم الحلبة ، وكذا عدد الفائزين الذين يسمح لهم بدخول النطاق الحجرى وعدد الجوائز المخصصة لهم ، ولكن هذا الاختلاف لايتعدى اثنين ، وقد اتبعت هنا رأى الغالبية فيهم .

أما الأسماء التى أطلقها العرب على الخيول المشتركة فى الحلبة حسب ترتيب وصولها فهى :

« المجلى » وهو الأول ، وعلى الثانى « المصلى » لأن رأسه عند صلا الآخر . والصلوان هما العظمان الناتئان من جانبى الذنب . وقال على بن أبى طالب : سبق أبو بكر وصلى عمر .

وقال الشاعر :

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

وكانوا يطلقون على الثالث التالى ، وعلى الرابع « البادع » ، وعلى الخامس «المرتاح» ، وعلى السادس « الحظى » ، وعلى السابع « العاطف» .

ويسمى الجواد الثامن « المؤمل » لأنه لايكسب شيئاً لصاحبه سوى فخر شرفى وهو السماح له بدخول النطاق .

ويسمى الجواد التاسع « اللطيم » لأنه لايسمح له بدخول النطاق ويعاد إلى الخلف بلطمة .

ويسمى الجواد العاشر « السكيت » لأنه وقد أخفق فى محاولته لايجد عذراً يبديه ولا فخراً يدعيه فيلزم السكوت .

وكانوا يطلقون على الجواد الأخير « الفسكل » :

وإنه لمن دواعى الإعجاب أن يكون عدد الفائزين بين كل عشرة خيول سبعة والثلاثة الباقية هى الخاسرة فقط . وهذا يثبت مقدار الشرف الذى يقدره المتبارون للفوز بجائزة وإن كانت ضئيلة . وثمة دليل آخر فى هذا الصدد ذلك أنهم كانوا يديرون « السكيت » بسخرية ويكلفون أحد القردة يحمل سوطا ثم يلف حوله ، وكثيراً ما يحدث أن يعمل المتفرجون حرابهم فى الجواد المسكين حتى يخر صريعاً

وفى حالة سباق الحلبات المكونة من عشرة رجال وإن كان الكتاب لايذكرون ذلك صراحة — يشاهد كل مايدعو الى الاعتقاد بأن الجوائز كان يقدمها الأمير الحاكم أو متبرع كريم أو مجموعة من هواة الخيل .

ومن المؤكد أن النبى عليه الصلاة والسلام وخلفاءه قد أدركوا تماماً أن تسابق الخيل وسيلة فعالة لاختيار الجيد منها ، فكانوا يشجعونه بكافة الطرق .

وكما لاحظنا عند ما أوردت القوانين الخاصة بهذه اللعبة أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يميز بين الخيول المدربة وغير المدربة التى كان يجب عدم اشتراكها معاً فى السباق . وهذا ما يدل على وجود نظام خاص للتدريب ، والواقع أن المؤرخين ذكروا أن النبى عليه السلام كان يدرب خيله .

فقد ذكر « ابن تنبين » أن النبى عليه السلام كان يصف استعمال العلف الجاف لتدريب الخيول فيعطيها إياه على دفعات متتابعة بكميات قليلة وكان ينصح بإروائها جيداً صباحا ومساء وبإبقائها دائماً مغطاة لأن الغطاء يجعلها تطرد الماء من جسمها على هيئة عرق فيزهو لونها ويتسع سطحها (جلدها) .

وقد أورد بعض المؤرخين المحدثين ولا سـيما ابن العوام فى (القرن الرابع الهجرى) شرحاً أكثر استناداً على المنطق وأكثر استيفاء فقالوا إن الغرض من التدريب ليس هو إنقاص وزن الجواد أو إضعافه ولكنه لإزالة الشحم المتراكم عنده وجعل عضلاته أكثر تماسكا وقوة . ومعنى ذلك أن الجواد المشحم هو الذى

يجري تدريبه . وفى حالة ما إذا كان الجواد نحيفاً يجب أولا إكسابه شحما ثم البدء فى تدريبه .

وكانت طريقة التدريب تشمل إفراز العرق وذلك بتغطيته بغطاء غليظ أو غطاءين على حين يكون الجواد مربوطاً فى مكان جيد التهوية . زد على ذلك أنهم كانوا يستبعدون من غذائه كل المواد اللبنيـة والدهنية وكذا الأغذية اللينة بما فى ذلك الخضروات ، وكان يلاحظ أن تظل كمية الغذاء الجاف وافرة . ولم تكن الأشغال التى تطلب من الجواد بذات تأثير يذكر على التدريب . والظاهر أن العرب كانوا يقنعون بالقليل من المطالب التى لم تكن تؤثر فيه خلال التدريب.

وكان هذا النظام يستمر على الأقل مدة أربعين يوماً ، وكانت النتيجة التى يجب توقعها هى « ظهور العضلة البطنية ظهوراً جلياً » . ويقول رأى آخر إن التدريب كان يستمر عدداً من الأيام بقدر عدد مراحل السهم طول المائة ذراع فى المسافة الكلية التى يتسابق عليها الجواد .

وفى كثير من الجهات كانت الأسس الحقيقية للتدريب كما أوضحناه قبل تفوت على ذكاء البدوى الذى كان غرضه الأساسى إنقاص وزن جواده بالتقليل من غذائه اليومى . وهذا ما ذكره « مارجريت » بشأن صيد النعام .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المراكشيين لم يكن لديهم فكرة ما عن التدريب لأنفسهم أو لجيادهم . فالجواد يترك فى المربط ما دامت الحاجة إليه مفقودة حتى يصبح مكتظا بالشحم ، ويطلب منه من يوم لآخر مجهود قليل من حيث السرعة أو التحمل أو كليهما معاً .

والشعر العربى ملىء من وصف الخيل التى تشترك فى الحلبة . وقد اشتمل النثر أيضاً على أقاصيص إخبـــارية عن المنافسات وعن الحروب التى كانت سبباً فى التفرقة بين القبائل ، نتيجة لتسابق حصل بين جياد كل منها . وأشهر ما ذكر من

هذا القبيل السباق الذى حصل بين الجواد « داحس » والفرس «الغبراء» والذى كان سبباً فى حروب بين قبيلتى عبس وذبيان مدة أربعين عاما. وقد أورد «لامرتين» بعد الرحلة التى قام بها فى الشرق قطعة شعرية فرنسية تشير الى هذه الحوادث .

وقد ظلت عادة إقامة حفل كبير للسباق فى مكة — على الأقل مرة كل عام — متبعة مدة طويلة . ولم أستطع أن أحدد الوقت بالضبط الذى توقفت فيه هذه العادة على الرغم من الرجوع الى أهم المراجع التى يعتمد عليها .

وكان سباق الخيل عند الأمويين أهم تسلية للشعب على اختلاف طبقاته ، حتى الأميرات فى ذلك العهد كن يتدربن على ركوب الخيل ويشتركن فى السباق . ويقال أن هشام كان أول من أقام حلبات السباق لتحسين نتاج الخيل ، وقد اشترك فى السباق فى عهده نحو أربعة آلاف من خيله وخيول الأمراء. ويقول المسعودى إنه لم يسبق لهذا السباق مثيـــل . وكان الوليد مغرماً بسباق الخيل أيضا . قال المسعودى « كان الوليد مغرماً بالخيل وحبها وجمعها وإقامة الحلبة . وكان « السندى » فرسه جواد زمانه وكان يسابق به أيام هشام وكان يقصر عن فرس هشام المعروف « بالزائد » وربما ضامه ، وربما جاء مصلياً . وقد اجتمع للوليد فى الحلبة ألف قارح، وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندى وكانا قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما . وكان إذا خشى أن تسبق فرس غيره . ركض فرسه حتى يساويها فيقذف بنفسه عليها . ويدخل سابقا . والوليد أول من فعل ذلك وسنه فى الحلبة ثم تلاه فى الفعل كذلك المهدى فى أيام المنصور والهادى فى أيام المهدى .

ولا يعرف أحد بالضبط ما هى الحلبـــة وكم عدد الخيول التى تتكون منها والظاهر أن سلالة الخيول العربية قد أخذت فى الاضمحلال عدداً ونوعا منذ أن هاجرت قبيلة عنيزة نهائية من بلاد العرب واستوطنت الأراضي الواقعة بين نهر العاصى والفرات .

ومن المؤكد أن لفظة « نجدي » التى تطلق على أجمل الخيول العربية لاتدل على أنهامن بلاد نجد قطعاً بل فى الغالب أنها من سلالة «عنيزة». فهؤلاء الرحل يعتبرون أنهم الوحيدون الذين يملكون أنقى الخيول العربية . ولما كانت نجد مدة قرون عدة هى أقصى حدود رحلاتهم شرقا ، فقد أطلق هذا اللفظ على كل نتاجهم . ولهذا السبب نجد أن « نيهبور » [1] يذكر فصيلة جوادية فى دمشق أطلق عليها لفظ نجدية .

وفى غير جزيرة العرب ظل الناطقون بالضاد على غرامهم بالسباق ، وهناك أيضاً نجد أن هذه الرياضة قد استندت لها القوانين ، ولكنها تختلف عن تلك التى وضعها النبي عليه الصلاة والسلام . وهى فى الغالب قواعد السباق الإنجليزية . والجواد الإنجليزى هو من سلالة الجواد العربى الذى تفوق عليه فى كل مضمار .

Niehbur (١)

الباب الرابع

الرمي

هو ضرب من ضروب الرياضة عند العرب ومن أحبها إلى نفوسهم وفيه يتدرب العربى على طرق الرماية بالسهام علما وعملا ليكون عملها على وجه الإصابة.

فكان كلفهم به عظيما وممارستهم إياه كثيرة وكان أبطالهم يفتخرون بحذقه ويتبارون لنيل الغلبة فيه لما وجدوه فيه من استراضة للنفس وفوائد تعين فى الحرب. وهو من أفضل ما أوصى به النبى « صلعم » من ضروب الرياضة المحمودة .

وأركان الرمى أربعة : النزعة وشدة الرمى والإصابة والاحتراز . فالرامى الماهر من كملت فيه هذه الأربعة ، فكل واحدة منها متممة للأخرى ، ويحتاج الرمى إلى أربعة : القوس والوتر والسهم والرامى .

وقد اجتمعت آراء الرماة من العرب على أن أصول الرمى خمسة : فالأصل الأول القبض على القوس . والثانى العقد . والثالث المد . والرابع النظر . والخامس الإطلاق .

فأما القبض فاختلف الرماة فيه فمنهم من يقبض على مقبض القوس بجميع كفه ويدفع بزنده جميعاً . ومنهم من يحرف المقبض فى كفه تحريفاً شديداً ويشد أصبعه ويدفع بزنده الأسفل ويترك بين زنده الأسفل فى الكف مقدار عرض أصبعين ، وعلى هذا جماعة الفرس كسابور ذى الأكتاف وبهرام جور وغيرهما . ومنهم من يتوسط بينهما فيجعل بين القبضة وزنده الأسفل عرض أصبع ، وهذه هى أفضل الطرق عند حذاق الرماة .

قال بعض الحذاق — من قال باستواء القبضة شد جميع أصابعه شدا واحدا

ودفع بزنوده جميعاً ، وهذا الرمى حسن للأغراض القريبة ورمى الشىء الدقيق من قرب . ومن قال بالتحريف كان أنكى له وأطرد للسهم وأحسن للرمى وأقوى له، وهو جيد للفارس والراجل ولرمى الحصون والأسوار والرمى العالى .

والأحسن فى هذا كله هو أن يأخذ الرامى القوس بكفه فيضع مقبضها عند أصول أصابعه ويدخل لحم راحته كله فى المقبض ويشد الخنصر والبنصر والوسطى شدا عنيفا على ترتيبها: الخنصر أشد ثم البنصر ثم الوسطى ويترك أصبعيه الإبهام والسبابة لينتين فيكون كأنه عاقد مائتين بهما ويدخل زنده الأعلى ويسوى الأسفل ويترك بين زنده الأسفل وبين القبضة عرض أصبع .

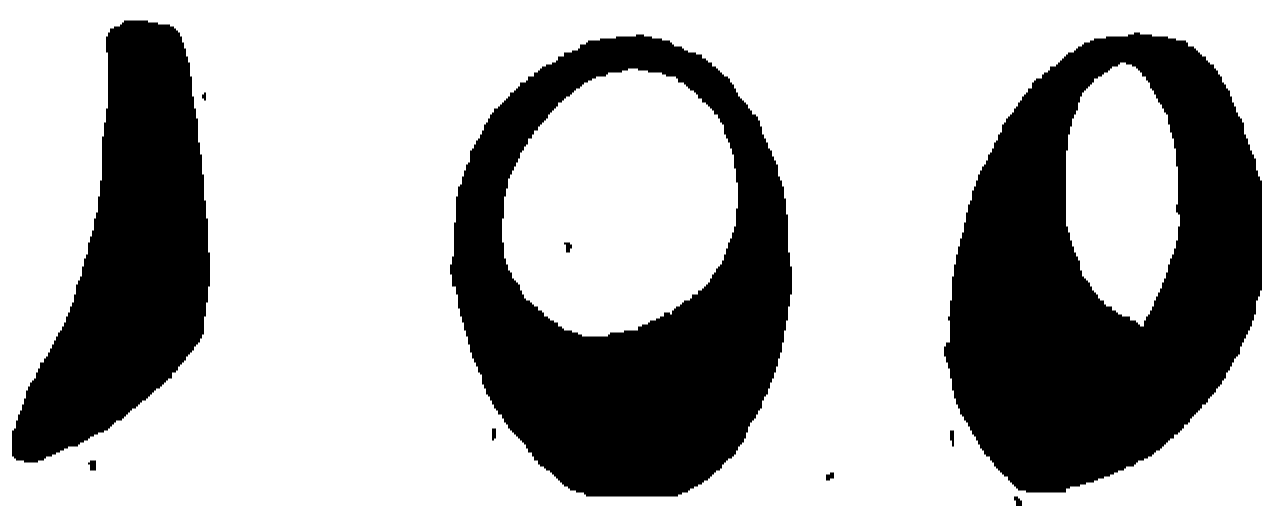
وجملة القول أن الاستواء للعرب والتحريف للعجم . وقد أجمع الثقاة على أنه لا ينبغى أن يكون من القبضة موضع خال ، وأجمعوا على أن شدة سير السهم من شدة القبضة .

وتختلف القبضات تبعاً للقسى ، فنجد قوسا قبضتها مربعة ، ونجد قوسا قبضتها مدورة ، وقوسا بين المدورة والمربعة . وأما القبضة المربعة فهى قبضة العجم والتحريف لهم جيد والاستواء يبطل الرمى بها .

وأما القبضة المدورة فهى قبضة العرب والتحريف يبطل الرمى بها .

ولكل قوس قبضة ، ولكل كف قبضة . فمن كانت كفه كبيرة فالأصلح له من القبضات الدقيقة ، والمتوسطة للكف المتوسط ، واختيار المقبض فى الكف أن يقبض جميع كفه ويدخل لحم راحته فان لحقت أطراف أصابعه لكفه فالمقبض صغير على الكف ولا يصلح له به رمى ، وكذلك إن كانت القوس غليظة المقبض على الكف . وحكم القبضة أن تقبض عليها بجميع كفك فإن بقى بين أصابعك مقدار نصف أصبع فهو حسن وإن زاد أو نقص فلا خير فيه .

أما العقد(١) ووجوهه ، فقد كان العرب فى العقد على الوتر على تسعة أقسام :
أحدها وهو الصحيح الجيد القوى أن يعقد ثلاثا وستين . والثاني تسعاً وستين وعلى هذين العقدين جميع الأكاسرة والأول عندهم أصح وأثبت . والثالث أن أن يعقد ثلاثاً وسبعين . والرابع أن يعقد ثلاثاً وثمانين والخامس أن يعقد أربعاً وعشرين . والسادس أن يعقد إحدى وعشرين ، وعلى هذا أكثر الترك والروم لأنهم يرمون بقوس لينة وبغير أصل فيعقدون كيفما يتيسر لهم . والسابع عقد يسمى الرديف وهو أن يعقد اثنتين وستين ممكنة ويلتق الوسطى مع السبابة على الإبهام وهذا العقد جيد لجيذ القوس الصلبة لكنها بطيئة الإطلاق . والثامن أن يجعل الرامى أصابعه الثلاث الخنصر والبنصر والوسطى فى الوتر ويجعل السبابة ممدودة مع طول السهم . وهـــذا عقد جميع الصقالبة واليهم ينسب ويصنعون للأصابع الثلاث «كستبانات»(٢) الذهب والفضة والنحاس والحديد (شكل ٥٠) والقوس على هذه الصفة واقفة لا راقدة . والتاسع أن يجبذ بالأربع أصـــابع : بالسبابة والوسطى والخنصر والبنصر . وهى طريقة العرب القدماء فى الجاهلية . ومنهم من يجبذ بهذه الأصابع والقوس راقدة ويجعل السهم بين الوسطى والبنصر ويجبذون إلى صدورهم وعليها أكثر باديتهم .


شكل ٥٠.

وعند الرماة السرعة والبعد انما هما فى الإبهام من العقد باليمين وفى القبض بالشمال فعليها مدار الشدة ، ولكل أصبع عقد كما أن لكل كف قبضة .

---

(١) وهو اسم لما يقوى به الرامي وتر القوس من إحداث عقد فيه تكون على أبعاد متساوية حتى تنتهي تلك العقد إلى العقدة الأخيرة التي تربط الوتر بسية القوس من طرفيه .

(٢) والكستبان لباس للابهام والسبابة يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس أوحديد يتقى به الرامى آثار جذب يده للوتر حتى لا يدميها .

ولا ينبغى للرامى أن يقلم أظفار يده اليمنى بل يتركها موفرة لأنه اذا استأصل قطعها ضغطها الوتر وقت الجبذ فيخرج الدم من بين الظفر واللحم .

وأما المد والمقصود به مد السبابة ، فنهم من يمدها إلى مشاش (١) منكبه ومنهم من يمدها إلى حاجبه اليمنى ، ومنهم من يمدها الى شحمة أذنه ومنهم من يمدها الى آخر عظام لحييه(٢) فيجرى السهم على شفتيه(٣) ومنهم من يمدها الى نهده اليمنى .

فأما من يمدها الى مشاش منكبه فهم رماة الأسلوب القديم وذلك أنهم يجلسون منحرفين فتطول نشابهم على هذا الجبذ ومن هنا قالوا إن طول النشاب اثنتا عشرة قبضة وهو أسلوب كثير النكاية وقل من يرمى به أو يحسنه .

وأما المد الى الحاجب اليمنى فهو جيد وهو يطيل النشاب وفيه قوة كثيرة للمد إلا أن النشاب تمر محطوطة أبداً وهو جيد لمن يرمى الحصون والأسوار والأماكن المرتفعة وهو من الرمى القديم أيضاً .

وأما المد الى شحمة الأذن فهو جيد جداً وهو أفضل الأساليب القديمة فى الرمى وأسلمها عاقبة إلا أن النشاب فيه أقصر مما تمد الى مشاش المنكب والحاجب، غير أن هذا الأسلوب أكثر إصابة من الأولين .

وأما من يمدها الى آخر عظام لحييه فيجرى السهم على شفتيه فهذه طريقة جماعة من رماة خراسان . وهذه الطريقة كثيرة الإصابة ، وفيها يكون أصل السهم مع مفرقه فى حال الاستواء لا ينحط منهما واحد ولا يرتفع .

وأما المد إلى الذقن أو الصدر فخطأ فاحش وبه تقل الإصابة وتكثر العيوب .

أما النظر فقد قسمه الرماة ثلاثة أقسام ثم تتفرع الى ستة — الأول من الثلاثة النظر من خارج القوس (وهو مما يلى اليسار اذا رمى الرامى بها) والثانى من داخل القوس (وهو مما يلى اليمين) والثالث من داخلها وخارجها . واختلفوا

---

(١) رأس عظمه (٢) ذقنه (٣) أى شفتى الرامى .

فى أن يكون النظر بإحدى العينين أو بكلتيهما معا . وقد رجح رماتهم النظر بالعينين معاً لأنه أكمل وأقوى .

وأما النظر من الخارج فعلى ثلاثة أوجه :

الوجه الأول أن يجعل السهم من خارج القوس وينظر بالعينين معاً فى العلامة ويعتمد على اليسرى ثم يوضع السهم بسرعة فى القوس .

والوجه الثانى أن يجعل النصل [١] (شكل ٥١) من خارج القوس فى العلامة وينظر الرامى بعينه اليسرى ويعتمد عليها مع تصحيحه بها ، وعقده أصابع يده اليسرى فى وسط العلامة .



شكل ٥١

والوجه الثالث أن يغلب نور عينيه معاً إلى عين واحدة . وهذا النظر يسمى الحول فتصير العينان كأنهما واحدة وهو محمود جداً . وهذا النظر كله جيد للفارس ولمن يرمى بالسلاح ، وهو شديد النكاية لأن صاحبه يجلس للعلامة منحرفا وبه يطول سهمه وتكثر نكايته ، ولا يصح له أن يجلس متربعاً ، وهو النظر القديم الذى كان عليه الأكاسرة .

وأما النظر من الداخل فيقولون إنه نظر بهرام جور وأن صورته الممثلة على قطعة من القرميد الفارسى والتى يرجع تاريخها إلى القرن السابع الهجرى (شكل ٥٢) تدل على أنه ينظر من داخل القوس بالعينين معاً ولا يفارق نظره مجىء السهم مع العلامة فاذا رأى النصل على أصبعه أطلق السهم وهو رمى حسن عندهم إلا أنه صعب قليل النكاية ، ولا يمكن لراميه أن يجلس منحرفاً بل متربعاً فتكون نشابه قصيرة وهو جيد لرمى الأغراض القريبة والدقيقة .

وأما النظر داخل القوس وخارجها إلى العلامة بقسمة النظرين فإن الرامى فى هذه الحالة يجعل النصل فى العلامة بالعين اليسرى من خارج القوس ويصحح نظره

---

(١) حديدة السهم .



شكل ٥٢

بهرام جور فى منظر صيد .
على قطعـة من القرميد الفـارسى يرجع تاريخهـا إلى القرن الثـالث عشر الميـلادى .
(دار الآثار العربية — القاهرة)

بالعين اليمنى إلى العلامة من داخل القوس بحيث لايفارق النصل باليمنى وباليسرى إلى العلامة حيث يفلت. وهناك وجه آخر وهو أن يجعل الرامى النصل فى العلامة من خارج القوس بالعينين ، فاذا بقى له من المد قدر ثلث السهم وغاب عن بصره النصل ترك عينه اليسرى فى موضعها من العلامة ونظر بعينه اليمنى بجىء النصل على يده من داخل القوس فاذا رأى النصل على أصبعه أطلق ، وهو حسن جداً ، وأكثر إصابة . والرامى فى هذه الحالة يجلس بين الانحراف والتربيع .

وأما الإطلاق فهو على ثلاثة أنواع : المختلس ، والمفروك ، والممتطى . فالمختلس أن يجبذ السهم ثم يسكن ثم يختلسه اختلاساً شديداً ويفلت أصابعه فيفتح الاثنين السبابة مع الإبهام ، وهذه الطريقة فيها سرعة ، وليس سكونه عند الانطلاق وإنما تسكن إذا بقيت له قبضة ويفتح ذراعيه ويميل وتر القوس إلى الأرض .

وأما المفروك فهو أن يمد السهم فإذا صار النصل على أصبعه سكن قليلا بمقدار النطق بعدد فردى مرتين ثم فرك يده اليمنى فركة من جرف الوتر فيحول يده قليلا فيجعل الشق الذى بين إبهامه والسبابة مع خده حاكا له .

وأما الممتطى فهو أن يمد السهم فاذا علم بالسهم على أصبعه سكن بمقدار النطق بعدد فردى مرتين وأطلق بنفضه من الوتر ويكون جبذه أولا وآخرا سواء .

وهذه الطريقة لمن ينظر جيدا من داخل القوس ، والفركة من فوق الوتر لمن ينظر بالنظرين ، والاختلاس لمن ينظر من خارج الوتر .

وأما ما يحتاج المتعلم الى معرفته فى الرمى فاثنا عشر شيئا : ثلاثة شداد ، وثلاثة لينة ، وثلاثة ساكنة ، وثلاثة منستوية .

فأما الثلاثة الشداد : فالقبض بالشمال، والعقد باليمين ،والمد بالذراع والساعد. وأما الثلاثة اللينة فالسبابة من اليد اليمنى . والسبابة من اليداليسرى . ولين السهم فى حالة الجبذ .

وأما الثلاثة الساكنة : فالرأس والعنق والقلب .

وأما الثلاثة المستوية : فالمرفق ، والنصل ، والفوق (١) .

وملاك ذلك كله معرفة مقدار القوس من الخفة والثقل . فينبغي على الرامي ألا يستخدم قوسا فوق طاقته فان ذلك يؤذيه ويعجزه ويفسد عليه رميه .

وإصابات السهام على سبع درجات ذكر الإمام الشافعي رحمه الله منها أربعاً ، وذكر أصحابه ثلاثاً . أما ما ذكره الشافعي — فالخاصل والخازق والخاسق والجابي : فالخاصل الذي يصرع الشن (القربة الخلق الصغيرة) ولا يخدشه ، والخازق الذي يخدشه ولا يثقبه ، والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه ، والجابي أن يدني الرامي يده من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض فيصيب الغرض . وأما ما ذكره الأصحاب فالمارق والخارم والمزدلف — فالمارق الذي يمزق الشن أي يثقبه وينفذ فيه ، والخارم الذي يخرم طرف الشن أي يقطعه ، والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشتد فيصيب الغرض .

والسهم العرض إذا تعمد به غيره أصابه . وسهم غرب إذا كان لا يدرى من رماه ويقال له أيضاً سهم عائر . ويقال « مرحى » عند إصابة الرامي و « برحى » عند إخطائه .

ويقال تحاتن القوم أي تساووا في الرمي . ويقال وقعت السهام في الهدف « حتنى » أي متقاربات المواقع .

الحث على الرمي

جاء في كتاب نيل الأوطار للشوكاني عن سلمة بن الأكوع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال : ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع بني فلان . قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم

(١) الفوق من السهم موضع الوتر .

فقال رسول الله مالكم لاترمون؟ قالوا كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم.

وعن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى. وعن القرطبي: وكرر ذلك للترغيب فى تعلمه وإعداد آلاته. وفيه دليل على مشروعية الاشتغال بتعلم آلات الجهاد والتمرن فيها والعناية بإعدادها ليتمرن بذلك العربى على الجهاد ويتدرب فيه ويروض أعضاء جسمه عليه.

وعن عقبة بن عامر عن النبي «صلعم» قال من علم الرمى ثم تركه فليس منا. وروى القرطبي عن النبي «صلعم» قال ارموا واركبوا فإن ترموا خير لكم من أن تركبوا. وفيه تصريح بأن الرمى أفضل من الركوب ولعل ذلك لشدة نكايته فى العدو وفى كل موطن يقوم فيه القتال وفى جميع الأوقات بخلاف الخيل فإنها لاتقابل إلا فى المواطن التى يمكن فيها الجولان دون المواضع التى فيها صعوبة لاتتمكن الخيل من الجريان فيها وكذلك المعاقل والحصون.

وعنه عن النبي «صلعم»: كل شىء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثة، رميه عن قوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق. وعن على عليه السلام قال: كانت بيد رسول الله «صلعم» قوس عربية فرأى رجلا بيده قوس فارسية فقال ما هذه؟ القها وعليك بهذه وأشباهها ورماح القنا (١) فإنهما يؤيد الله بهما فى الدين ويمكن لكم فى البلاد — رواه بن ماجه. وقوله «صلعم» ما هذه؟! القها فيه دليل على كراهة القوس العجمية واستحباب ملازمة القوس العربية للعلة التى ذكرها الرسول «صلعم» من أن الله يؤيد بها وبرماح القنا الدين ويمكن للمسلمين فى البلاد وقد كان ذلك، فإن الصحابة رضى الله عنهم فتحوا أراضى العجم كالروم وفارس وغيرهما ومعظم سلاحهم السهام والرماح.

---

(١) القنا أصلها العصى قبل أن يكون لها زج وسنان، ثم أطلقت على الرماح بعد ذلك.

روى عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه أنه سمع رسول «صلعم» يقول ستفتح لكم أرضون ويكفيكم الله المؤونة فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه .
وقال رسول الله «صلعم» : «إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذى احتسب فى صنعته الخير، ومنبله، والرامى، ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا».

وعن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال سمعت النبى « صلعم » يقول إن الله عز وجل ليدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة صانعه يحتسب بصنعته الخير والرامى به ، والممد به .

ورأى النبى رجلا يرمى بقوس فارسية فقال : « ارم بها ثم نظر إلى قوس عربية فقال عليكم بهذه وأمثالها ورماح القنا فان بهذه يمكن الله لكم فى البلاد ويؤيدكم فى النصر » .

وعن أبى عبد الرحمن بن عائشة قال أهل العلم : إنما نهى عن القوس الفارسية لأنها إذا انقطع وترها لم ينتفع بها صاحبها وأن القوس العربية إذا انقطع وترها كانت له عصا يدب بها .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى « صلعم » قال : وجبت محبتى على من سعى بين الغرضين بقوسى لا بقوس كسرى .

وعن عطاء بن أبى رباح قال : رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين رضى الله عنهما يرتميان فمل أحدهما فجلس فقال له صاحبه أجلست أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء ليس من ذكر الله فهو سهو ولهو إلا أربعا : مشى الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه ، وتعلمه السباحة، وملاعبته أهله .

وعن أبى رافع قال : قلت يارسول الله أللولد علينا حق كحقنا عليهم ؟ قال « نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وأن يورثه طيبا» .

أسرار الرمى

ذكر الطبرى أسرار الرمى عند العرب فى مواضع مختلفة من كتابه وهى سبعة عشر سراً (١) : منها ثلاثة مستوية وثلاثة لينة وثلاثة شديدة وثمانية تفترق فى سائر البدن .

فأما الثلاثة المستوية فرأس القوس والنصل والمرفق . وأما الثلاثة اللينة فعقد ثلاث وستين ومقبض اليسار ومرفق اليسار . وأما الثلاثة الشديدة فهى طنين الوتر وصفاء صوته بعد إفلاته وشدة نكايته وصحة « الكستبان » وعدم تأثير الوتر فيه . وأما الثمانية المفترقة فأولها ألا يشد على القبضة فى أول المد ويشدها فى آخره . والثانى ألا يرخى عقد الستين على الثلاثة ولا يتكىء عليها بل يجعل بينها فرجة فى المد عند الإطلاق فهو أصلح له . والثالث أن يجعل بعد الوتر عن وجهه قدر ثلاث أصابع وأقله أصبع واحدة وعند الإطلاق يخرج قوسه قليلا . والرابع أن يكون أول المد برفق إلى وقت الإطلاق . والخامس شد الشمال على المقبوض بقدر المستطاع حتى يكاد الدم يخرج من الظفر وعلى هذا أجمع كل الرماة لأن فى استرخائها عند الإطلاق آفات كثيرة . والسادس إذا رمى إلى بعد اتكأ على رجله اليمنى ، وإذا رمى إلى قرب اتكأ على رجله اليسرى . والسابع أن يكون بين أصابع زنده اليسرى وبين المقبض فرجة حتى لا يلحق الكرسوع (٢) فهو أشدها . والثامن أن يترك الحرص على طلب الصائب ويجعل حرصه على صحة العمل وتوفيته حقه ، فإذا فعل ذلك جمع الحذق والإصابة .

---

(١) أى وسيلة من وسائل حسن الرمى وإصابة الهدف .

(٢) العظم فى طرف الساعد مما يلى الخنصر .

آداب الرمى

ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا على سل الله الهدى والسداد واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وبالسداد سداد السهم » ، ثم يخرج قوسه ويتفقده ثم يتفقد سهامه فيمرها على إبهامه وينظر ما ينبغى الرمى به فإذا وقع اختياره على عدد منها مسحه وتركه ثم يوتر قوسه ويتفقد وتره وينظر فى سية (١) القوس ومغامزها (٢) فان كانت على الاستواء رمى عليها وإن كان فيها اختلاف تجنبها فاذا رمى رسيله لم يبكته على خطأ ولم يضحك عليه منه فان هذا من فعل السفل. ولا يحسده على إصابته ولا يصغرها فى قلبه ويقول رمية من غير رام ونحو هذا الكلام ولا يحسن أن يحد النظر إلى رسيله حال رميه فان ذلك يشغله ويشوش عليه قلبه . وينبغى على الرماة أن يخرجوا هذا من بينهم فان ضرره عائدعليهم . فاذا وصلت النوبة إليه قام وشمركمه وذيله وسمى الله وأخذ سهامه بيمينه وقوسه بيساره ووقف على موقفه بأدب وسكينة ووقار وإطراق ولباقة وخفةواستمداد من الحول والقوة بيده أن يمده بالقوة والإصابة ويجعل سهامه بين رجليه وسية قوسه السفلى على الأرض والعليا عند صدره ثم يأخذ السهم فيديره على إبهامه ويمسك القوس بلباقة ويفوق عليه السهم كما ينبغى ويعتمد على وسطها ويمد فاذا بلغ نهايته سكن قليلا ثم أطلق فاذا خرج السهم تأمل موضع وقوعه فإن مرسادا حفظ ذلك الوضع والهيئة وراعاه كلما رمى ، وإن خرج الى يمين الغرض ، أو يساره ، أو أعلاه ، أو أسفله نظر فى علة ذلك ومن أى شىء حدث هل هو من قبل القوس أو الوتر أو السهم أو الريح أو من قبل الرامى نفسه أو من قبضه أو عقده أو نظره أو إطلاقه فاذا وقع على علة الخطأ تجنبها وسمى الله عند كل رمية فإن أصاب حمد الله وأثنى عليه . وقال : هذا من فضل ربى ، وإن أخطأ فلا يتضجر ولا يتبرم ، ولا ييأس من رحمة الله ، فخطأ هذا الباب أحب إلى الله من الإصابة فى أنواع اللعب وسواه . وليصابر الرمى وإن كثر خطؤه فقد ينقلب الخطأ صواباً وليعلم أن الخطأ مقدمة الصواب .

---

(١) ما عطف من طرفها (٢) مواضع اختبارها .

المناضلة أو مسابقة الرمى بالنشاب (١)

وهى قسمان : مناضلة على الإصابة ومناضلة على البعد . ومناضلة الإصابة ثلاثة أقسام :

أحدها يسمى المبادرة وهى أن يقولا من سبق إلى خمس إصابات من عشرين رمية فهو السابق . فاذا رميا عشراً وأصاب أحدهما خمساً والآخر دونها فالمصيب خمساً هو السابق لأنه قد سبق إلى خمس . فان رمى أحدهما عشرا فأصاب خمسا ورمى الآخر تسعا فأصاب أربعا لم يحكم بالسبق ولا بعدمه حتى يرمى العاشر فان أصاب به فلا سابق فيها وإن أخطأ به فقد سبق الأول فان لم يكن أصاب من التسعة إلا ثلاثاً فقد سبق الأول ولا يحتاج إلى رمى العاشر لأن أكثر ما يحتمله أن يصيب به وذلك لا يخرجه عن أن يكون مسبوقا .

والنوع الثانى ويسمى المفاضلة وهى أن يقولا أينا فضل صاحبه أو فاضله بإصابة أو إصابتين أو ثلاث من عشرين رمية فقد سبق . فاذا قالا أينا فضل صاحبه بثلاث من عشرين فهو سابق فرميا اثنى عشر سهما فأصابها أحدهما كلها وأخطأها الآخر كلها فلا ينبغى إتمام الرمى وكانت الغلبة للمصيب لأن أكثر ما يمكن الآخر أن يصيب الثمانى الباقية فالأول قد فاضله على كل حال . وإن كان الأول أصاب من الاثنى عشرة عشراً ارمهما رمي الثالث عشر فإن أصابا به معا أو أخطآه معا أو أصابه الأول وحده فقد سبق ولا حاجة حينئذ لإتمام الرمى لأن غاية ما يصيب الثانى السبعة الباقية ولا يصير بذلك سابقا وإن أصابه الآخر وحده فعليهما أن يرميا الرابع عشر والحكم فيه وفيما بعده كالحكم فى الثالث عشر سواء فى أنه متى أصابا فيه أو أخطآه

---

(١) السهم

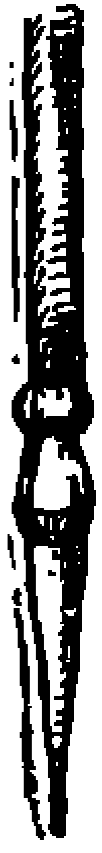
أو أصابها الأول فقط فقد سبق الأول ولا يتمان الرمى ، وإن أصابها الآخر وحده رميا بعدها .

والنوع الثالث المحاطة وهى أن يشترط إسقاط ما تساويا فيه من الإصابة إلى أن يبقى لأحدهما نصيبه وهو السابق . وهذه وإن كانت فى معنى المفاضلة إلا أن الفرق بينهما أنه فى المفاضلة يشترط ذكر عدد ما يقع فى التفاضل ، وفى المحاطة لا يشترط هذا بل إذا قالا يلغى ما تساوينا فيه من الإصابة فمن زادت اصابته على إصابة صاحبه وهو الغالب فلا يشترط تعيين الزيادة ولو قالا أينا أصاب خمسا من عشرين فهو سابق . فمتى أصاب أحدهما خمساً من العشرين ولم يصبها الآخر فالأول سابق وإن أصاب كل واحد منهما خمسا أو لم يصب كل منهما خمسا فلا سابق فيهما وهذه هى المحاطة .

ولقد اتفق العرب على تحديد عدد الرميات فى رمى المفاضلة والمحاطة دون المبادرة وهذا الوجه قوى إذ لا فائدة فى اشتراطه فى رمى المبادرة لأنه إذا قال أينا بادر إلى خمس إصابات فهو السابق فمتى بادر اليها أحدهما تعين سبقه سواء كان عدد الرمى معلوما أم لا ، وأما فى المفاضلة والمحاطة فإذا لم يكن عدد الرمى معلوما لم يحصل المقصود ولا ينقطع التنازع فان أحدهما إذا أصاب عشراً من عشرين مثلا قال الآخر أنا أصيبها من ثلاثين مما يطول شرحه ويؤدى إلى عدم معرفة السابق .

أما المناضلة على البعد أو المباعدة فهى : أن يتناضلا بالسهام على أن يكون السبق لأبعدهما رميا . ويشترط فى هذا النوع من المناضلة استواء القوسين فى الشدة والضعف لتنافس الرماة على البعد حتى أنهم ربما رموا بقوس واحدة وسهم واحدة . ولا يصح السباق فى هذا النوع من المناضلة بين قوس يد وقوس رجل ولا بين قوس عربية وأخرى فارسية .

جاء فى الآيين أن من إجادة الرمى بالنشاب فى حالة التعلم إمساك المتعلم القوس بيده اليسرى بقوة عضده اليسرى، والنشاب بيده اليمنى وقوة عضده اليمنى وكفه إلى صدره وإلقاؤه ببصره إلى معلم (١) الرمى وإجادته نصب القوس بعد أن يطأطىء من سيتها بعض الطأطأة وضبطه إياها بثلاث أصابع وإحناؤه السبابة على الوتر وإمساكه بثلاث وعشرين كأنها (٢) ثلاث وستون وضمه الثلاث ضما وتحويله ذقنه إلى منكبه اليسرى وإشرافه رأسه وإرخاؤه عنقه وميله مع القوس وإقامته ظهره وإدارته عضده ومغطه (٣) القوس مترافقا ونزعه الوتر إلى أذنه ورفعه بياض عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويل لعينه وارتعاش من جسده واستبانته موضع زج (٤) النشاب (شكل ٥٣) .


شكل ٥٣

---

(١) الهدف (٢) تقوم مقام

(٣) مغط الرامي فى قوسه أغرق (٤) زج النشاب هو الحديدة فى أسفله .

المفاضلة بين ركوب الخيل والرمى

اختلف العرب فى تفضيل إحدى الرياضتين على الأخرى فذهبوا فى ذلك طوائف وأحزابا ، فرجحت طائفة منهم ركوب الخيل على حين فضل الآخرون الرمى.

واحتج أصحاب الرأى القائل بأفضلية ركوب الخيل بوجوه عدة :

أحدها — أنه أصل الفروسية وقاعدتها .

الثانى — أنه يعلم الكر والفر والظفر بالخصم .

الثالث — أن الحاجة الى الرمى فى ساعة ، وأما الركوب فالحاجة اليه من أول مايخرج العربى إلى القتال أوالصيد إلى أن يرجع .

الرابع — أن ركوب الخيل يعلم الفارس والفرس معاً ، فهو يورث القوة فى المركوب والراكب .

الخامس — أن النبى (صلعم) راهن على فرس يقال له «سبحة» فسبق الناس . ذكره الإمام أحمد ولم يرد عنه أنه راهن فى الرمى .

السادس — أن ركوبه (صلعم) فاق أضعاف رميه .

السابع — أن الله سبحانه وتعالى عقد الخير بنواصى الخيل إلى يوم القيامة .

الثامن — أن الخيل تصلح للطلب والهرب فهى حصون ومعاقل لأهلها .

التاسع — أن أهلها أعز من الرماة وأرفع شأنا وأعلى مكانا ، وأهلها حكام على الرماة ، والرماة رعية لهم .

العاشر — مارواه مالك فى موطئه عن يحيي بن سعيد قال « رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجه فرسه بردائه . فقيل له فى ذلك ، فقال (إنى عوتبت فى الخيل) ولكرامتها عليه وعلى من عاتبه فيها » .

الحادى عشر — مارواه النسائى عن أبى ذر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مامن فرس عربى إلا يؤذن له عند السحر بكلمات يدعو بهن اللهم خولتنى من خولتنى من بنى آدم وجعلتنى له فاجعلنى من أحب أهله وماله عليه) ».

الثانى عشر — أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالخيل فى كتابه وذلك يدل على شرفها وفضلها عنده ، قال تعالى : « والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً » . أقسم سبحانه بالخيل تعدو فى سبيله .والضبح صوت فى أجوافها عندجريها. فالموريات قدحا ، تورى النار بحوافرها عندما تصك الحجارة . فأثرن به نقعاً ، النقع الغبار تثيره الخيل عند عدوها والضمير فى به قيل يعود على القدح وقيل عائد على المغار المدلول عليه بقوله « فالمغيرات » أى أثرن بالمغار غباراً لكثرة جولانها فيه .

وذهب أصحاب الرأى الثانى إلى أن الرمى أفضل من الركوب وتعلمه أفضل من تعلم الركوب والسباق به أفضل وتذرعت هذه الطائفة بوجوه :

أحدها — أن الله سبحانه وتعالى قدم الرمى فى الذكر فقال : « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . وثبت عن النبى (صلعم) أنه فسر القوة بالرمى. والعرب إنما تبدأ فى كلامها بالأهم والأولى.

الثانى — أنه سمى الرمى قوة وعدل عن لفظه ، وسمى رباط الخيل بلفظه ولم يعدل إلى غيره إشارة إلى مافى الرمى من النكاية والمنفعة .

الثالث — أن النبى (صلعم) أخبر أن الرمى أحب اليه من الركوب فدل على أنه أفضل منه . فى سنن أبى داود والنسائى والترمذى من حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به، والممد به، فارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا) .

الرابع — أن الرمى ميراث من اسماعيل الذبيح « صلعم » كما فى صحيح البخارى أن النبى «صلعم» مر بنفر ينتضلون فقال «ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ».

الخامس — أن النبى (صلعم) دخل مع الفريقين معاً فى النضال ولم يدخل مع الفريقين فى سباق الخيل فدل على فضل الرماة فأراد أن يحوز فضل الفريقين وألا يفوته منه شىء .

السادس — أنه صح عنه من الوعيد فى ترك الرمى أو نسيانه ما لم يجىء مثله فى ترك ركوب الخيل . ففى صحيح مسلم من حـــديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله (صلعم) : « من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا » . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله (صلعم) : « من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة سلبها » .

السابع — أن رمى السهم يعدل عتق رقبة كما فى سنن أبى داود والنسائى والترمذى عن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله « صلعم » يقول « من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر » . وفى لفظ النسائى « من رمى بسهم فى سبيل لله بلغ العدو أو لم يبلغه كان له عتق رقبة » . وقال عبدالله بن صالح: حدثنى معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله « صلعم » يقول « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله وبلغ العدو فأصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة » .

الثامن — أنه درجة فى الجنة كما رواه الطبرانى من حديث أبى عوانه عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (صلعم) يوم الطائف « قاتلوا فمن بلغ بسهم فانها درجة أما إنها ليست بدرجة أبى أحدكم ولا أمه ولـكنها درجة فى الجنة » .

التاسع — أنه نور يوم القيامة كما رواه الحافظ أبو يعقوب القراب فى كتاب فضل الرمى من حديث محمد بن الحنفية قال : رأيت أبا عمرة الأنصارى وكان بدرياً

أحدياً وهو يتلوى من العطش ثم قال : سمعت رسول الله « صلعم » يقول : « من رمى بسهم فى سبيل الله فبلغ أو قصر كان ذلك السهم نوراً يوم القيامة » .

العاشر — أن النبي « صلعم » دعا للرماة فقال لسعد بن أبي وقاص « اللهم سدد رميه وأجب دعوته » . فكان لا يخطىء له سهم وكان مجاب الدعوة .

الحادى عشر — أن النبي « صلعم » فدى الرماة بأبيه وأمه ، فنى الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قال سعد بن مالك : نثر(١) لى رسول الله «صلعم» كنانته (٢) يوم أحد قال « ارم فداك أبي وأمى » .

الثانى عشر — للماشى بين الغرضين بكل خطوة حسنة كما روى الطبرانى فى كتاب فضل الرمى من حديث على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة » .

الثالث عشر — أن النبي « صلعم » كان من حرصه على الرمى يناول الرامى السهم ماله نصل يرمى به ، وكان الرماة وقاية لرسول الله « صلعم » كما ذكر ابن اسحاق فى المغازى من حديث سعد أنه رمى يوم أحد دون رسول الله «صلعم» قال سعد : ولقد رأيت رسول الله « صلعم » يناولنى السهم ويقول « ارم فداك أبي وأمى » حتى إنه ليناولنى السهم ما له نصل فأرمى به .

الرابع عشر — أنه من فضائل القوس أن النبي «صلعم» كان يخطب وهو متوكىء عليها . ويذكر عن أنس قال : ما ذكرت القوس عند النبي « صلعم » : إلا قال « ما سبقها سلاح الى خير قط » ويذكر أن جبريل جاء يوم بدر وهو متقلد قوسا عربية .

الخامس عشر — أن فى القوس خاصية وهى أنها تنفى الفقر عن صاحبها وقد ورد ذلك عن أنس أن رسول الله « صلعم » قال : « من اتخذ قوسا عربية نفى الله عنه الفقر » .

---

(١) أفرغ (٢) جعبة السهام

السادس عشر — أنه بالقسى مكن الله للصحابة فى البلاد ونصرهم على أعدائهم كما رواه الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده أن رسول الله « صلعم » أشار إلى القوس العربية وقال: « بهذه وبرماح القنا يمكن الله لكم فى البلاد وينصركم على عدوكم » . وروى ابن ماجة نحوه عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

السابع عشر — أن النبى « صلعم » حرضهم عند فتح البلاد على اللهو بالسهام كما رواه الطبرانى من حديث صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله « صلعم » يقول : « ستفتح لكم الأرض وتكفوا المؤونة فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » .

الثامن عشر — أن منفعة الرمى ونكايته فى العدو كانت فوق منفعة سائر الآلات الحربية ، فكم من سهم واحد هزم جيشاً ، وإن الرامى الواحد ليتحاماه الفرسان وترعد منه أبطال الرجال . هذا وإن السهم تريد أن ترسله إلى عدوك فيكفيك مؤنته على البعد ، وقد وجد بالتجربة أن الرامى الواحد إذا كان جيد الرمى فانه يأخذ الفئة من الناس الذين لا رامى معهم ويطردهم جميعاً . ولهذا كان عند أرباب الحروب أن كل سهم يقوم مقام رجل فاذا كان مع الرجل مائة سهم عد بمائة رجل ، والخصم يخاف من النشاب أضعاف خوفه من السيف والرمح ، وإذا كان هناك رجل واحد رام أمكنه أن يأخذ مائة فارس لا رامى فيهم ويغلبهم ، ومائة فارس لا يغلبون رامياً واحداً . ولهذا ألقى الله من الرعب لصاحب الرمى خشخشة النشاب والجعبة ما لم يلقه لصاحب السيف والرمح ، وهذا معلوم بالمشاهدة حتى أن الألف ليفزعون من رام واحد ولا يكادون يفزعون من ضارب سيف واحد ، فصوت الرامى

الجيد فى الجيش خير من فئة كما قال النبى « صلعم »(صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة) . وكان أبو طلحة من أحسن الصحابة رمياً وأشدهم نزعا .

التاسع عشر — أن الرمى يعمل فى الجهات كلها فيعمل يمنة ويسرة وفى أعلى وأسفل وخلف وأمام .

العشرون — أن الرمى رياضة محمودة فوق أنه يصلح للكسب والحرب فيصاد به الطير والوحش وهو يصلح لتحصيل المنافع ولدفع الضار ، وهو أعظم الآلات تحصيلا لهذين الأمرين . قال شيخ الإسلام قد روى أن قوماً كانوا يتناضلون فقيل يارسول الله قد حضرت الصلاة فقال « إنهم فى الصلاة » فشبه رمى النشاب بالصلاة وكفى بذلك فضلا .

ومع هذا الخلاف فى المفاضلة نرى أن كل فريق منهما يحتاج فى كماله إلى الآخر فلا يتم مقصود أحدهما إلا بالآخر . والرمى أنفع فى البعد فاذا اختلط الفريقان بطل الرمى حينئذ وقامت سيوف الفروسية من الضرب والطعن والكر والفر . وأما اذا تواجه الخصمان من بعد فالرمى أنفع ولا تتم الفروسية إلا بمجموع الأمرين والأفضل منهما ما كان أنكى فى العدو وأنفع للجيش وهذا يختلف باختلاف الأحوال .

الباب الخامس

السلاح

كان السلاح عند العرب على اختلاف أنواعه من ألزم العدد للدفاع عن النفس ، فكانوا يستخدمونه فى حروبهم وغزواتهم كأمة فاتحة كما كان من ألزمها لهم فى ألعابهم وضروب رياضتهم ، فكان الرقص بالسيف والملاعبة بالسلاح من ضروب الرياضة المحمودة عندهم وكانوا لايخرجون للرماية أوللصيد، مترجلين كانوا أم على ظهور الخيل ، إلا وهم مزودون به .

ولم يكن عند العرب فى جاهليتهم (العصر الجاهلى) من السلاح غير السيف والرمح والقوس والترس . وكانت لهم عناية كبرى فى استخدامها لأنهم كانوا يحمون بها أعراضهم ويستجلبون بها معائشهم وخصوصا القوس .

القوس

كان لهم بها مهارة عظمى لحدة أبصارهم من عيش البادية ولأنهم أحوج اليها من سائر الأسلحة . فقد كانوا يستخدمونها فى صيد الغزلان فضلا عن الحرب والطعان وبلغ من مهارتهم فى النزع بالقوس مايكاد يفوق حد التصديق حتى لو أراد أحدهم أن يرمى إحدى عينى الغزال دون العين الأخرى لرماها ولذلك سموا مهرة الرمى بها « رماة الحدق » وكان أحدهم يعلق « ضبا » بشجرة ثم يرميه بالنبال فيصيب أى عضو شاء من أعضائه حتى يرمى فقراته فقرة فقرة فلا يخطىء واحدة منها .

فلما جاء الإسلام كانت مهارتهم هذه من جملة ماساعدهم على غلبة الروم لأن هؤلاء لم يكونوا يحسنون الرمى بها . ولم يكن قواد المسلمين يجهلون فضل النبال فى نصرتهم فكانوا يحرضون رجالهم على إتقان الرمى بها ، وكان الخلفاء والقواد بعد النبي يستحثون رجالهم على إتقان الرماية .

السلاح عند العرب



١ — السيف (شكل ٥٤) وهو مشتق من قولهم ساف ماله أى هلك فلما كان السيف سبباً للهلاك سمى سيفاً ، وهو أشرف الأسلحة عند العرب .

أسماء مشاهير سيوف العرب

ذو الفقار — وهو سيف النبى « صلعم » .

الصمصامة (١) — وهو سيف عمرو بن معد يكرب .

وقد قال حين وهبه :

خليلى لم أخنه ولم يخنى   على الصمصامة السيف السلام

شكل ٥٤

الولول ـ وهو سيف عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد .

اللــج — وهو سيف عمرو بن العاص .

قال الوليد بن عبيد البحترى يصف سيفاً :

ماض وإن لم تمضه يد فارس   بطل ومصقول وإن لم يصقل
متوقد يغرى بأول ضربة   ما أدركت ولو أنها فى يذبل

وقال الشاعر :

تلحظ السيف من شوق إلى أنس   فالموت يلحظ والأقدار تنتظر
أظله منك حتف قد تجلله   حتى يؤامر فيه رأيك القدر
أمضى من السيف إلا عند قدرته   وليس للسيف عفو حين يقتدر

وقال على رضى الله عنه : « السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً » .

وفى الحديث « بقية السيف مباركة » يعنى أن من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده . وقال المهلب « ليس شىء أنمى من سيف » .

---

(١) السيف الذى لا ينثنى .

أسماء السيوف

١ — المنصل والمنصل .

٢ — الضريبة . قال الأصمعي :

وخشيت وقع ضريبة　　　قد جربت كل التجارب

٣ — الرداء . قال أبو علي :

لقد كفن المنهال تحت ردائه　　　فتى غير مبطان العشيات أروعا

يعني تحت سيفه وهذا المنهال هو قاتل مالك أخي متمم بن نويرة وبذلك سمي .

٤ — عطاف . أنشد أبو علي :

ولا مال لي إلا عطاف مهند　　　لكم طرف منه حديد ولي طرف

٥ — الحسام .

٦ — اللج . وفي الحديث بايعت واللج على قفي (أي السيف على قفاي) .

٧ — الوقام .

٨ — السوط .

٩ — المشمل : سيف صغير .

١٠ — المغول : كالمشمل إلا أنه أطول منه وأدق .

١١ — البضعة .

١٢ — شلحي : السيف بلغة أهل الشحر[١] .

١٣ — الموصول

١٤ — الشجير .

١٥ — الوشاح .

---

(١) ساحل البحرين بين عمان وعدن .

وكانت السيوف عندهم أصنافاً أجودها العتيق ، وأصنافها اليمانية التي صنعت في الجاهلية ومن علاماتها ثقبان في سنبل السيلان ، وقد توضع عليها تماثيل ، أو يكتب عليها ، أو تصور عليها صورة . ثم القلعية ، ثم الهندية ، ثم السليمانية ، ثم الشامية والخراسانية . وفي المتحف البريطاني أمثلة من السيوف الهندية والشامية وغيرها . وفي متحف اسبانيا سيف آخر خليفة في الأندلس « أبو عبدالله الصغير » وطول هذا السيف إحدى وثلاثين بوصة ، مزينة قبضته بالمكفت البيضاء والزرقاء وغشيت بالذهب ، وطعمت بالعاج بصنعة دقيقة ومهارة فائقة . وحسبك أن تعرف أن « الصمصامة » وهو سيف « عمرو بن معد يكرب » اشتراه الخليفة المهدي بنيف وثمانين ألفا ، ورد حليته اليه ، ثم حازه موسى الهادي .

وكانت المبارزة بالسيوف من أحب ضروب الرياضة إلى نفوس العرب، وكان كلفهم بها شديداً . وهنا ينبغي أن نذكر أن العرب هم الذين نقل عنهم الأوربيون لعبة السيف التي يمارسونها في الوقت الحاضر والمسماة بلعبة « الشيش » .

نعوتها من قبل مواضعها وصناعتها

١ — الهندواني والمهند — نسبة إلى حديد بلاد الهند .

٢ — المشرفي — منسوب إلى المشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف .

٣ — القساسي — منسوب إلى جبل يقال له قساس فيه معدن حديد .

٤ — سيف قلعي — منسوب إلى موضع به حديد يسمى قلعة .

٥ — السريجي — نسبة إلى قين [١] يقال له سريج . قال العجاج « وبالسريجيات يخطفن القصر »[٢].

(١) القين الحداد . (٢) القصر أعناق الناس .

٦ — الحنيفية — ضرب من السيوف منسوبة إلى أحنف لأنه هو أول من عملها .

٧ — السيوف الحارية — المصنوعة بالحيرة .

٨ — الدمقصى — ضرب من السيوف .

٩ — اليمانى — المنسوب إلى اليمن .

١٠ — البيض الرقاق — تجمع كل أنواع السيوف

٢ — الرمح : عود طويل فى رأسه حربة يطعن بها ، ويختلف طول الرمح بين خمس أذرع وسبع ، وربما زاد على ذلك ، والرمح قديم العهد وكثير الأنواع ، استعمله العرب من عهد قديم جداً ، وهم يعتنون به حتى الآن ، وكانت كتائب الجيش العراقى تتسلح به إلى عهد قريب .

وكان العرب يصنعون الرمح من قناة فى رأسها حربة حادة والقناة فى الغالب من خشب البردى القوى ، وكانوا يحسنون استعماله مشاة وفرسانا ، وأحب الرماح اليهم الرماح الطوال ويسمونها « السمر العوالى » ، وكان العرب يفتنون فى ألعاب الرمح ولها عندهم طرائق كثيرة مقيدة بقوانين لا يجوز تعديها ، ورماح فرسانهم طويلة . أما المشاة فكانوا يستعملون المزاريق أى الرماح القصيرة ، وكانوا يحسنون استعمالها رمياً وطعناً ، ولهم فيها أشعار لطيفة ، ومعان بديعة فى كل جيل من أجيالهم .

أنواعه: ١ — الخرص أو الخرص — رمح قصير يتخذ من خشب منحوت .

٢ — المزج — رمح قصير فى أسفله زج (وهى الحديدة التى فى أسفله)

٣ — اليزنى — منسوب إلى سيف بن ذى يزن .

٤ — المطرد — رمح ليس بالطويل يقتل به الوحش .

٥ — السمهرى — الرمح الصلب .

٦ — المتل — القرن الذى يطعن به وكانوا فى الجاهلية يتخذون أسنة من قرون الثيران الوحشية .

٧ — العنزة — قدر نصف الرمح أو أكبر وفيها زج كزج الرمح .

٨ — العكاز — نحو منها .

٩ — العكازة — عصاً فى أسفلها زج .

١٠ — المزراق — ما زرق به زرقا وهو أخف من العنزة .

١١ — النيزك — نحو من المزراق .

١٢ — المخزق — عود فى طرفه مسمار محدد .

وقال الطائى وهو يصف الرماح :

مثقفات سلبن الروم زرقتها والعرب سمرتها والعاشق القضفا (١)

وقال دعبل يصف الرمح :

وأسمر فى رأسه أزرق مثل لسان الحية الصادى

٣ — الحربة : (شكل ٥٥) تشبه الرمح ولكنها أصغر منه .

أنواعها : ١ — الألة — أصغر من الحربة وفى سنانها عرض .

٢ — الصعدة — ضرب من الألة .

٣ — الهلال — حربة على صفة الهلال .

شكل ٥٥

٤ — الدرع (شكل ٥٦) : لبوس الحديد . وأول من عملها هو داود عليه السلام ، وهى كثيرة عند العرب وكان رجالهم يلبسون الدروع ويقال لهم «الدارعون» . قال السموءل فى قصيدته المشهورة :

---

(١) النحافة .

وأسيافنا فى كل شرق ومغرب　　لها من قراع الدارعين فلول

وقد بلغت غاية الدقة والإتقان فى الصنع فى عهد العباسيين ، فمنها الدروع الحديدية ، ومنها الفولاذية ، ومنها الكتانية التى يسمونها « الدلاص » .

وإنا لنجد حتى الآن أمثلة عديدة من هذه الأسلحة فى متحفات أوربا . وفى متحف مدريد درع أمير غرناطة ومغفره (وهى زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة) .

ضروبها ١ — البدن — الدرع أيا كانت .

٢ — الغلالة — درع صغيرة تحت العليا .

٣ — الشليل — درع قصيرة .

٤ — اللأمة — ضرب من الدروع .

٥ — الزغفة — درع واسعة ولينة .

٦ — الجنة — نحو من الدروع .

٧ — السربال — الدرع . وفى التنزيل « وسرابيل تقيكم بأسكم » .

٨ — البصيرة — ضرب من الدروع .

٩ — القردمانى — ضرب من الدروع .

١٠ — السنور والسرد — « « « .

١١ — الدروع السلوقية — نسبة إلى سلوق قرية باليمن .

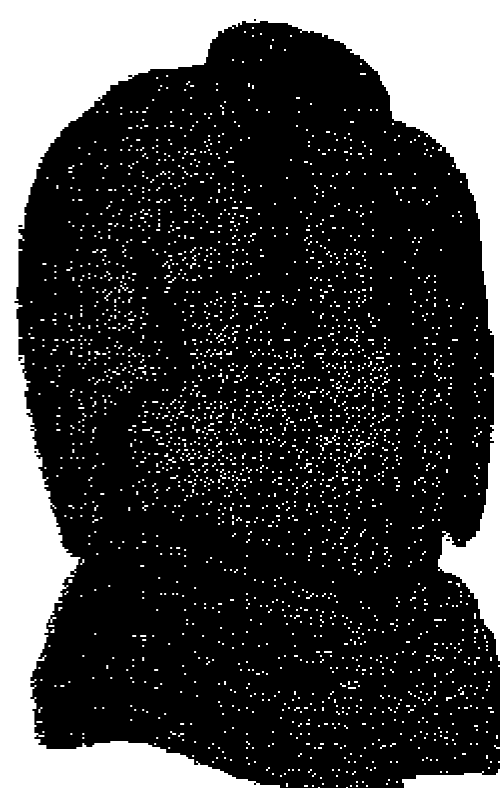
١٢ — الجوش — ضرب من الدروع .

١٣ — المهلهلة — أردأ الدروع .

١٤ — الحلقة — اسم درع للنعمان الملك .

١٥ — السمط — الدرع يعلقها الفارس على عجز فرسه .

١٦ — اليلب والدرق — هى جلود تلبس بمنزلة الدرع .



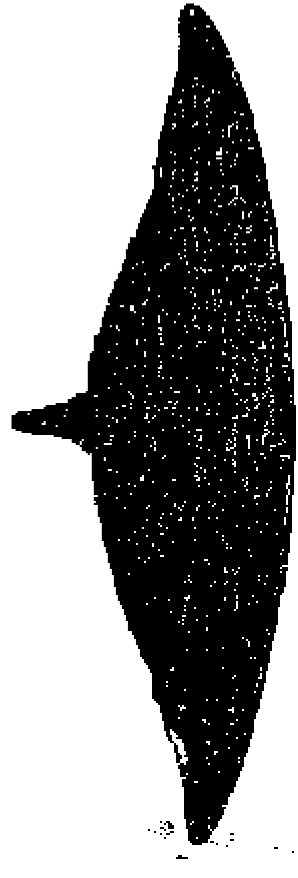
الدرع ـ شكل ٥٦

وكانت درع علي رضى الله عنه صدراً لا ظهر لها فقيل له فى ذلك فقال : « إذا استمكن عدوى من ظهرى فلا يبق » .

وقد روى محمد بن عبيد عن سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة عن السائب ابن يزيد أن النبي « صلعم » كان عليه درعان يوم أحد .

وروى أن يزيد بن حاتم اشترى أدرعاً وقال : « إنى لم أشتر أدرعا إنما اشتريت أعماراً » .

٥ — الترس (شكل ٥٧) : وهو مايتستر به المحارب ويتوقى به عدوه . وكان الجنود العباسيون يستعملونه لوقاية أنفسهم من ضربات العدو سواء أكانت الضربات بالسيوف أم بالرماح أم بالسهام أم بالحجارة .


شكل ٥٧

وكانت التروس عند العرب على أنواع منها :

١ — الترس المسطح — يتقى به الرمح .

٢ — الترس المستطيل — يتقى به النشاب لأن رأسه يستر رأس الفارس، وطوله يقيه فينظر بإحدى عينيه من التخصير ولا يكشف رأسه .

٣ — الترس المقبب — وهو المنحنى الأطراف إلى الخارج ، وهذا النوع لا يتقى به الرمح لأنه متى طعن ثبت الرمح فيه ، وصرع صاحبه ، ويتقى به السيف .

وقد افتن العرب فى صناعة التروس حتى أنهم كانوا ينقشون عليها الآيات والحكم والأشعار . وكانت التروس تتميز بأسماء البلاد التى صنعت فيها ، ولذا كان يتردد فى الحروب العباسية ذكر الترس الدمشقى ، والترس العـــراقى ، والترس الغرناطى وغيرها . ولأمير غرناطـة فى متحف مدريد أنواع كثيرة من

التروس .

وكان العرب قديماً يستعملون « الدرق » و « الحجفة » وهى تروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

أنواعه ١ — الجوب — ضرب من التروس

٢ — المجن — الترس لأنه يستجن به .

٣ — الفرض — ضرب من التروس .

٤ — المجنأ — « « « .

٥ — المجنب — « « « .

٦ — العنبر — « « « .

٧ — ذو بقر — الترس يعمل من جلود البقر .

٨ — الحجفة — الترس من الجلد .

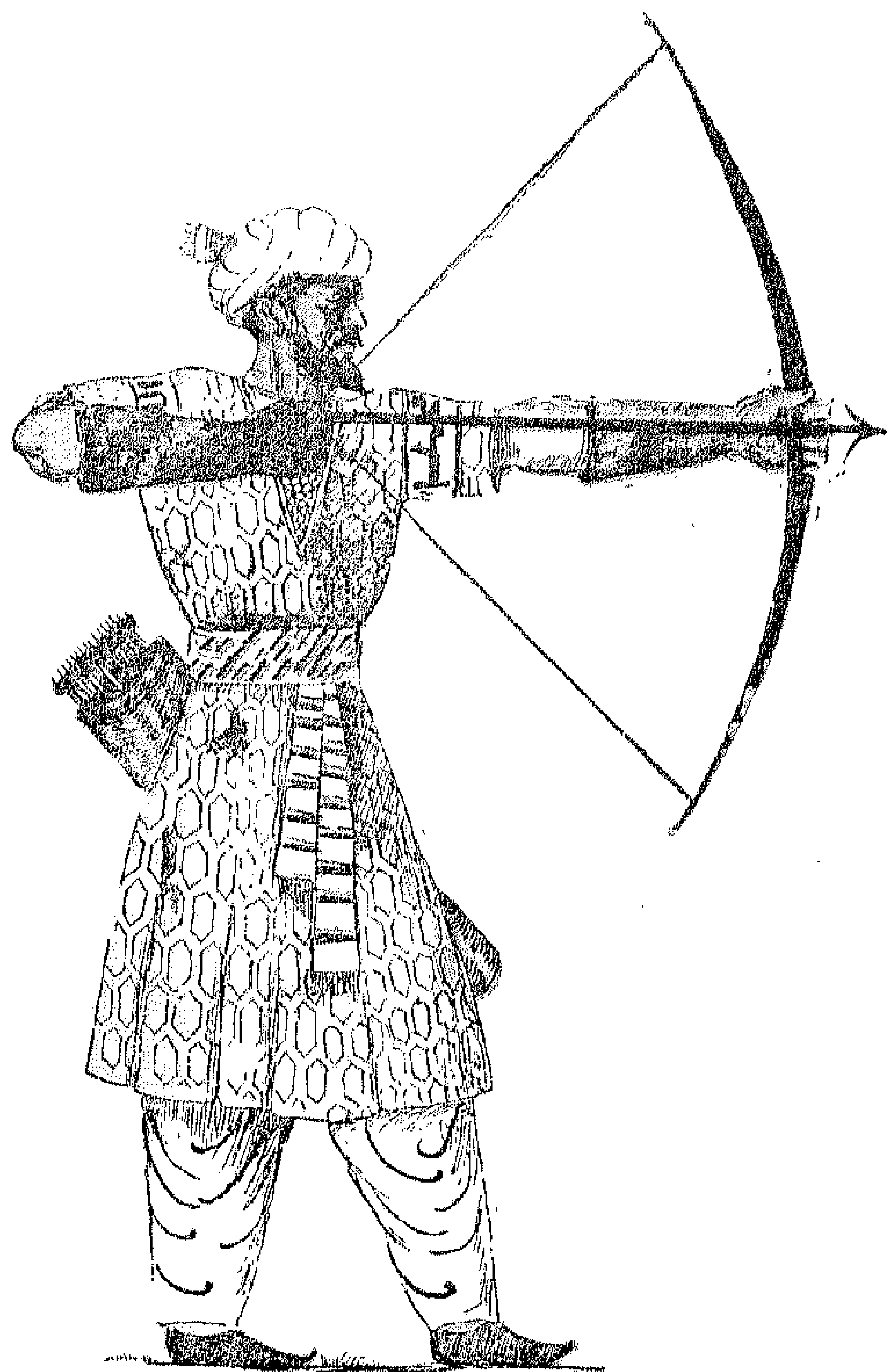
٩ — القفع — جنة (١) من خشب تدخل تحتها الرجال إذا مشوا إلى الحصون فى الحروب .

٦ — القسى : أول من عمل القسى من العرب رجل يدعى ماسخة وهو من الأزد (٢) ولذا تسمى القسى أيضاً الماسخية نسبة إليه . وهى فى الأصل نوعان قوس يد وقوس رجل . وقوس اليد ثلاثة أصناف : عربية (شكل ٥٨) وفارسية (شكل ٥٩) وتركية (شكل ٦٠) . والعربية نوعان فنها الحجازية ويصنعونها من عود النبع أو الشوحط وهى قضيب أو قضيبان ويسمونها شريحية والتى من فرع واحد أجود . وقال شاعرهم :

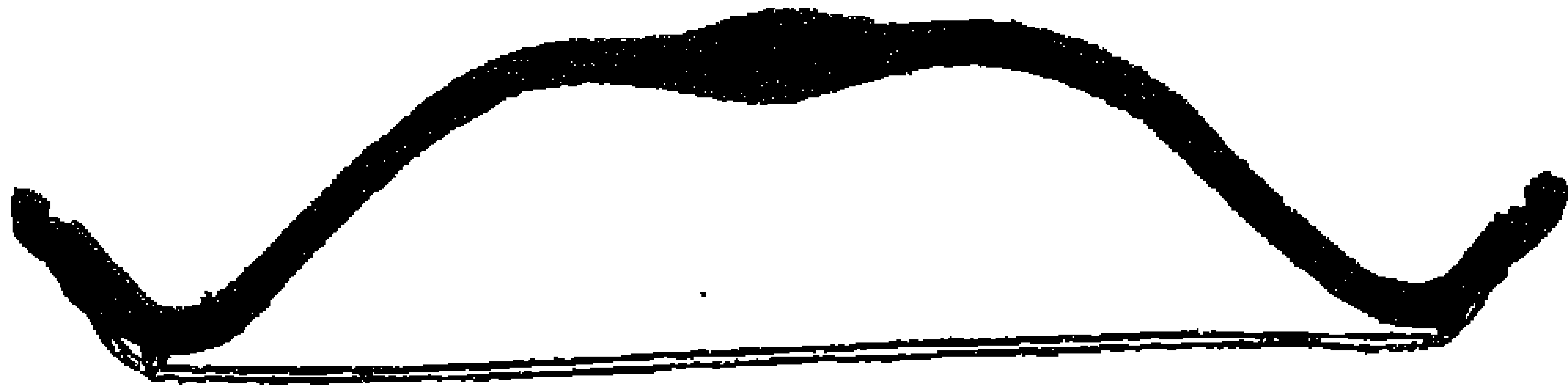
---

(١) الجنة ما استترت به من السلاح .

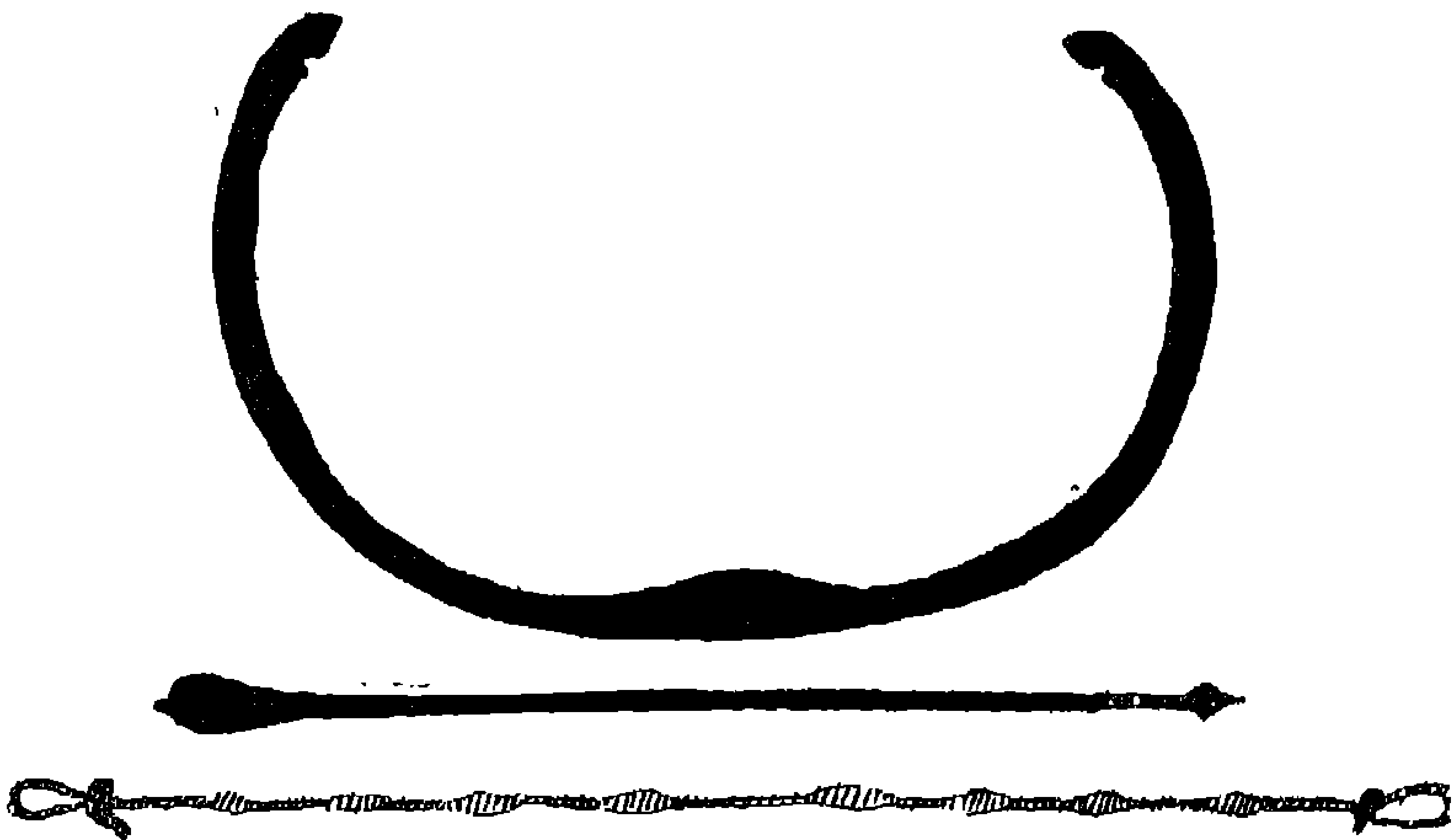
(٢) ان بنى كهلان تفرقوا قبيل سيل العرم وبعده وكانوا أحياء عديدة نذكر منها ثلاثة هى : لخم والأزد وطيء . أما لخم فقاموا فى العراق ومنهم المناذرة ملوك الحيرة ، وأما الأزد فنهم بنو غسان . أما طيء فأقاموا بنجد والحجاز فى جبلى أجا وسلمى .



القوس العربية — شكل ٥٨



القوس الفارسيه ــ شكل ٥٩



القوس التركيه ــ شكل ٦٠

ارم عليها وهى فرع أجمع وهى ثلاث أذرع وأضبع

وهذه قسى أهل البدو منهم . وأما أهل الحضر فيعقبون ظهورها ويكسون بطونها قرون المعز ، ولا تكاد هذه القسى ترى إلا بأرض الحجاز ولا ينتفع بها فى غيرها من الأماكن وليست لها سيات ولا مقابض .

والنوع الثانى منها الواسطية . وهى مصنوعة من أربعة أشياء : الخشب والعقب والقرن والغراء ، ولها سيتان ومقبض، وسميت واسطية لتوسطها من القسى الحجازية والفارسية وليست نسبة إلى واسط فانها كانت موجودة قبل بناء واسط، وتسميها العرب منفصلة لانفصال أجزائها قبل التركيب ، وهى أفضل القسى عندهم وتحت هذين النوعين أصناف كثيرة تجاوز العشرة .

وأما القوس الفارسية فهى قسى الجنود الإسلامية فى هذا الزمان فى الشام ومصر وملحقاتهما .

وأما القسى التركية فهى مثل الفارسية غير أنها أغلظ منها ، وأكثرها له قفل ومفتاح وتسمى الأنثى والذكر، ويجعلون لها ركابا فى طرف مجراها فاذا أراد أحدهم أن يوترها أدخل رجله فى ركابها فأوترها .

وأما قوس الرجل فنوعان : أحدهما هذه التركية ، والثانى قوس الجرخ وهى قوس لها جوزة ومفتاح، وأهل المغرب يعتنون بها كثيراً ويفضلونها ولها فوائدها ونكايتها فى الحصون والمعاقل .

وقوس اليد أنفع فى وقت مصافة الجيوش وملاقاة العدو فى الصحراء .

وأما قوس الرجل فأنفع وقت حصار القلاع والحصون وأنكى من قوس اليد وقد يكون الرمى بها من داخل الحصون أيضاً إلى العدو، والخارج أنفع وأنكى فيهم ، فلهذه موضع ولهذه موضع . وقوس اليد أعم نفعا وأكثرها استعمالا عند العرب وبراتها هم الرماة الحقيقيون . وسأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب

يوماعن السلاح فقال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول فى الرمح ؟ فقال أخوك وربما خانك فانقصف . قال : فما تقول فى الترس ؟ فقال هو المجن وعليه تدور الدوائر . قال : فالنبل . فقال منايا تخطىء وتصيب . قال : فالدرع . قال : متعبة للراجل ، مشغلة للراكب ، وإنها لحصن حصين . قال : فالسيف . قال : هناك ثكلتك أمك . فضربه بالدرة فقال : بل أمك لا أم لك .

وخير قسى اليد وأنفعها ما تركبت من الخشب والعقب والقرن والغراء وفى ذلك حكمة بليغة ، إنها منشأة وفقا لتركيب جسم الإنسان فان قوامه وبناءه على أربع : على العظم واللحم والعروق والدم . وكذا أنشئت القوس على هــذه الأربع . فالخشب لها بمنزلة العظم من الانسان ، والقرن بمنزلة اللحم المشبك على جميع أعضائها ، والعقب بمنزلة العروق المشتبكة على جميع أعضاء الحيوان والغراء فيها بمنزلة الدم الذى به يلتئم جمعها . ولما كان للانسان ظهر وبطن جعلوا لها ظهرا ، وكذلك تنطوى من ناحية بطنها كما ينطوى الانسان ، وإن كسر ظهرها انكسرت كالإنسان .

وقد ذكر الطبرى فى تاريخه أن جبريل نزل بالقوس على آدم فهو أول من رمى بها . وثبت فى الصحيح أن إسماعيل الخليل كان راميا . ورمى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى اندقت سية قوسه . وقد ذكر عنه « صلعم » أنه كانت عنــده ثلاث قسى . قوس معقبة تدعى الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس نبع تدعى الصفراء .

٧ ـ السهم : (شكل ٦١) السهم والنشاب والمنزع والنبل سواء إلا أن النبل جمع لا واحد له من لفظه ويجمع على نبال .

أنواعه :



شكل ٦١

١ — المريخ — سهم طويل له أربع آذان .

٢ — المسير — سهم فيه خطوط .

٣ — الحظوة — سهم صغير قدر ذراع .

٤ — الرهب — سهم عظيم .

٥ — السندرى — الأبيض من السهام .

٦ — كثاب — سهم صغير .

٧ — الجماح — سهم الصبى .

٨ — الزمخر — ضرب من السهام .

٩ — الأسل — » » »

١٠ — المحراس — سهم طويل .

١١ — الحسبان — سهام صغار يرمى بها عن القسى الفارسـية وواحدتها حسبانة .

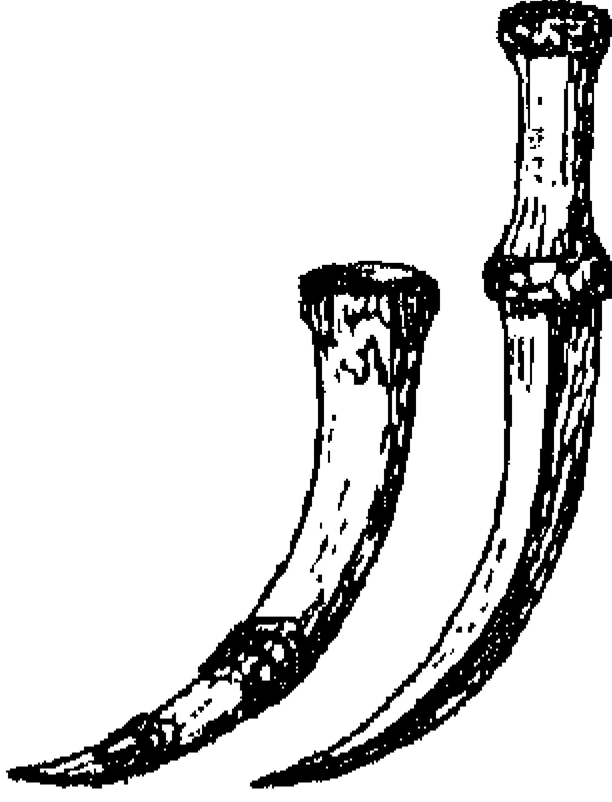
منسوبات السهام :

منها الرقمى والزعبرى واليثربى والأثربى والصاعدى . قال أبو ذؤيب :

فرمى فألحق صاعـدياً مطحرا   بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

٨ — الخنجر (شكل ٦٢) : هى السكين العظيمة .

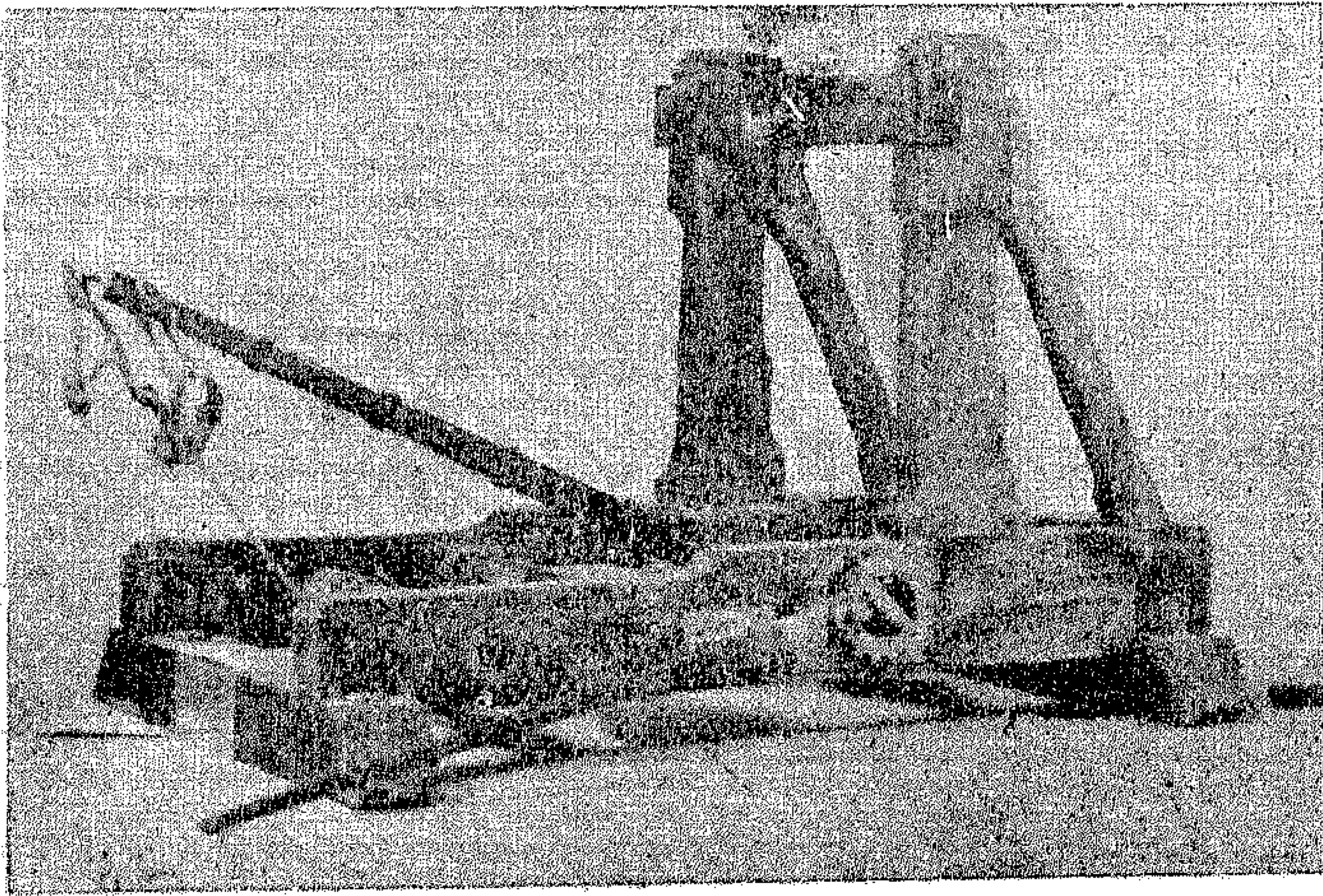
كما جاء فى كتاب سيبويه .



شكل ٦٢

٩ — المنجنيق (شكل ٦٣): كان من أعظم الآلات الحربية فتكا ، وأشدها نكاية ، ولاسيما فى الحصار ، ويتألف بصورة عامة من عمود طويل قوى موضوع على عربة ذات عجلتين ، فى رأسه حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين طويل فى طرفه الأعلى شبكة على شـكل كيس توضع فيه الحجارة أو « براميل » فيها مواد نارية مشـتعلة ، ثم يحرك ويرفع العمود على جرارته بعدد وحبال فيندفع من الشبكة ما وضع فيها من القذائف ويسقط على الأسوار المرتفعة بين جيوش الأعداء فيقتل ويحرق كل ما يصادفه .

وبعد أن استعملوه مدة طويلة فى هيئته الأصلية وجدوا أن الذين يذهبون به



شـكل ٦٣

لإضرامه يظلون عرضة لنيران العدو وسهامه ، لأنهم لا يجنون فائدتها مالم يقتربوا بها من الأسوار . حتى تصل قذائف مجانيقهم بين جيوش الأعـــداء ، فرأوا أن يرفقوا بالمجانيق عربات ذات أبراج يقف فيها الرجال الذين يرافقونهـــا فتقيهم متاريسها الخشبية المغطاة بالجلود القوية سهام العدو فيتيسر لهم الدنو من الأسوار والصعود عليها من الأبراج العالية وبذا تقل الأخطار عنهم .

والمنجنيق على أنواع كثيرة ، فنها ماهو بلوالب ، ومنها ماهو بدائرة وفيها أثقال من الرصاص إذا دار فيها الرجال رفعت السهم فإذا تركت رمت فلا تحتاج إلى عدد من الرجال ، وقد يتخذ بقسى كبيرة موتورة وتكون قبضاتها مشدودة إلى الأرض فى قواعد المنجنيق وفى أوتارهـا حبال مشدودة إلى حلقة المنجنيق وتحرك بزيادة قائم حتى تنفتح أوتارها ويحرك الحجر فى الكفة ثم يرمى فيخرج بشدة . وإذا أراد الرامى أن يقذف براميل من المواد النارية اتخـــذ له كفة من الزرد وحبلا بسلاسل .

وقال ابن هشام إن أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق رسول الله « صلعم » رمى به أهل الطائف .

وعنى الخليفة عمر بن الخطاب بهذا السلاح فكان عاملا من أكبر العوامل فى هدم القلاع والحصون ، ومن ذلك أن عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبى السرح استعمل المنجنيق فى حصار « دمقلة » (١) .

وعندما استتب الملك للأمويين ، تفننوا فى عمل المجانيق ، واستخدموها فى حروبهم ، فأدت لهم أعمالا جليلة فى الإحراق والتدمير وهدم القلاع والحصون ،

---

(١) وتسمى الآن دنقلة العجوز وهى مقابل مدينة دنقلة الحالية .

ووضعوا لها الأسماء التي تدل على بعض أوصافها على نحو ماتسمى به السفن والمدافع الكبرى فى هذه الأيام . وقد رمى الحجاج الكعبة بالمجانيق فى أثناء حصاره لعبد الله بن الزبير عند اعتصامه بها .

ومن أروع ماصنع من هذا السلاح « العروس » وهو ذلك المنجنيق العظيم الذى كان يصف فيه خمسمائة جندى والذى أرسله الحجاج الى ابن عمه محمد بن القاسم الثقفى القائد العربى المشهور فاقتحم به مدينة « الديبل »(١) وفتحها عنوة .

وقد تفنن العباسيون فى صنع المجانيق واهتموا بذلك اهتماما فائقا لما كان لها عندهم من أهمية ، فأصبح فى الألوية العباسية وفرقها أنواع مختلفة من المجانيق أدت لهم خدمات جليلة برا وبحرا .

ولو لم يكن للرشيد والمأمون مجانيق عظيمة لما استطاعا فتح « هرقلة » (٢) وحصار بغداد ولما تسنى للمعتصم هدم أسوار « عمورية »(٣) وإحراق منافذ المدينة بما رماه عليها من النفط والنار .

ويسمى رماة المنجنيق « المنجنيقيين » وهم لا يختلفون فى تأثيرهم فى العدو عن المدفعية فى العصر الحاضر .

١٠ — الدبابة : آلة سيارة تتخذ من الخشب الثخين المتلزز وتغلف باللباد أو الجلود المنقوعة فى الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير وتحرك بالجر ، وربما جعلت برجا من الخشب ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على بكر . فهى إذن عبارة عن قلعة سائرة على عجل ولها رأس محدد يصدمون به الأسوار لمحاربة المحاصرين فى الأسوار والجنود بداخلها محتمون بسقوفها وجوانبها من سهام العدو ، فهى

---

(١) مدينة حصينة على المحيط الهندى .

(٢) هى « اركلى » الحالية من الجمهورية التركية .

(٣) مدينة عظيمة ببلاد الروم وهى مدينة « بروسا » .

وإن لم تكن كالدبابة الحديثة فإنها تؤدى جميع الأغراض التى تقوم بها هذه الدبابة الحديدية ، وكانوا يسيرونها فى الأراضى الوعرة كما يسيرونها فى الأراضى السهلة ، وكانوا يقدمون الجنود أمامها بالجفان ، يحفظون من يسوق الدبابة ويديرها ، ويقوم بالرمى من داخلها ، ويصحبهم نفر من جنود هندسة الميدان ، فاذا اعترضتها الخنادق فى طريقها ،وكانت قليلة العرض طرحوا عليها الأخشاب كالجسور ، وإن كان الخندق عريضا طرح عليه حزم من الحطب وورق وتراب حتى يمتلىء فيمهد لها الطريق عندئذ ويسهل تقدمها .

وكان العرب يعرفون الدبابة قبل إسلامهم كما كانوا يعرفون كيف يقاومون الدبابة . وقد سير النبى « صلعم » جنده فى الدبابات ليتقى بها المسلمون سهام ثقيف عند حصاره لهم بالطائف . وقد استخدم المسلمون الدبابات فى عهد عمر بن الخطاب حين حاصر الجيش بلدة « بهر سير (١) » . وقد استعملت فى فتح حصون خيبر . أما فى عهد الأمويين ، فقد كان الدبابون صنفا ممتازا ، وكان القواد يحملون دباباتهم فى البحر على السفن الكبيرة .

وفى عهد العباسيين كانت الدبابات من المعدات التى تتقدم مع مشاتهم وتعينهم إلى مسافات قريبة جدا من العدو ، حتى تلصق بالأسوار وشرفات الحصون وهناك تؤثر تأثيرها المطلوب فتقذف الحجارة الضخمة أو كرات النار المشتعلة أو ترشق السهام أو تجالد بالسيوف والرماح وكانت صنفا من صنوف الجيش العباسى له أثره الفعال فى معظم حروبهم .

وفى عهد العباسيين سار جيش بقيادة العباس بن محمد ليفتح حصن كمخ وكان من الحصون المنيعة فى بلاد الروم فاستخدم المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالا شديدا حتى فتحوه .

---

(١) بلد فى فارس .

١١ — الكبش (شكل ٦٤) : آلة من خشب وحديد تجرها الخيل فتدق حوائط القلاع والحصون وتهدمها . وأصل الكبش دبابة لكن رأسه فى مقدمه مثل رأس الكبش ويتصل بهذا الرأس فى داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تنزلق على بكر معلق بسقف الدبابة لسهولة جرها ، ويتعاون الجنود الذين يتحصنون فى داخل الدبابة وجنود آخرون استتروا بدروع الدبابة ووقفوا خلفها يتعاون كل هؤلاء على دق جدران الأسوار بها دقا منتظما حتى تتصدع وتنهدم.

وقد روى أن الجنيد بن عبد الرحمن لما ولى السند أيام هشام بن عبد الملك سار بالسفن إلى الهند ثم غزا « الكيرج (١) » فاتخذ كباشا هدم بها أسوار المدينة فلما هدم الأسوار بالكباش ثلمها ودخلها وتم له فتح المدينة .

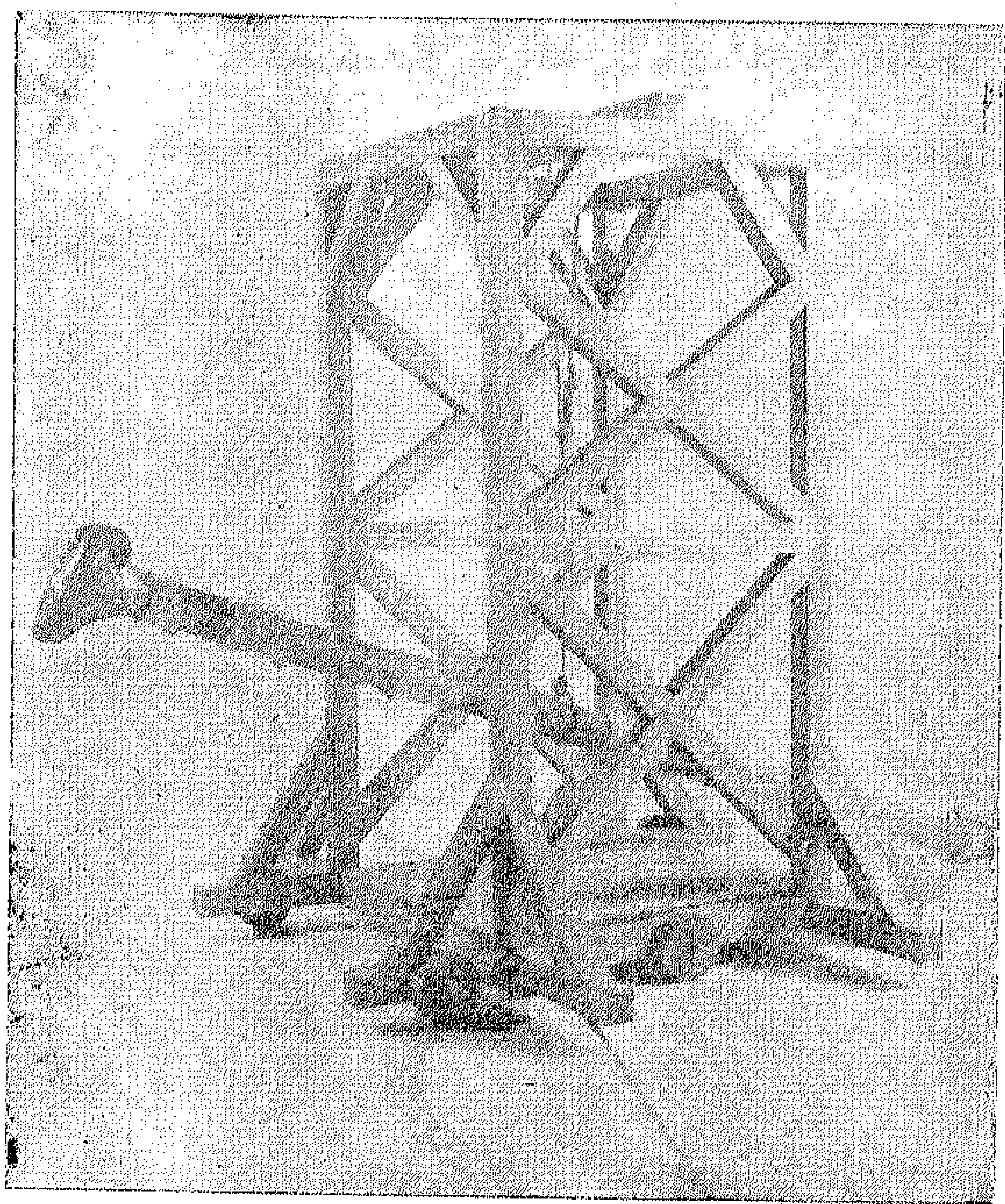
١٢ — الضبر : جلد يغشى خشبا فيه رجال يقرب للحصون لقتال أهلها . وهو أشبه بالسيارات المدرعة اليوم ، وقد استعمله النبى فى فتح الطائف .

١٣ — الحسك : من أدوات الحرب ربما اتخذ من حديد وألق حول العسكر وربما اتخذ من خشب فنصب حوله .

١٤ — الدبوس : آلة حربية من حديد، ذات أضلاع يحملها الفرسان فى السروج تحت أرجلهم ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح. وكانت تعرف أولا بالعمد وقد أدخلوا استعمال النار فى تلك الدبابيس أيضاً. والظاهر أن المقذوفات التى احترقت بها الكعبة فى حصار الحصين بن نمير لعبد الله بن الزبير كانت من هذه النار، واستخدمها العباسيون فى حروبهم مع الروم كما استخدمتها الجيوش الجرارة التى كانت بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبى فى حروبه مع الصليبيين .

---

(١) مدينة فى بلاد الهند .



شكل ٦٤

١٥ — البيضة (شكل ٦٥) : وهى من حديد تلبس فى الرأس .

البيضة وما فيها :

١ — الطراق : الحديد الذى يعرض ثم يدار فيجعل ساعداً .

٢ — المطيلة : اسم الحديدة التى تمطل من البيضة .

٣ — القونس: مقدم البيضة .

ضروبها :

١ — التركة : تشبيها بتركة النعامة وهى بيضتها إذا خرج منها الفرخ .

٢ — التريكة .

٣ — الخيضعة . قال أبو عبيد : « والضاربون الهام تحت الخيضعة »

٤ — العرمة .

وقد خالط العرب جيوش الروم والفرس، ورأوا ماعندهم من أدوات الحرب وعدتها فحسنوا أسلحتهم ، ثم إنهم لما استولوا على أمصارهم ، وغنموا أسلحتهم ، صاروا يستعملونها حتى برعوا فيها،فكان لديهم السيف والرمح والمزراق والقوس والترس والدرع وأنواع الأوهاق [١] والمقاليع والجلاهقات [٢] والمجانيق والدبابات والسلالم والرتيلة والعرادة .

ولما استخلف العباسيون وصلتهم كل هذه الأسلحة ، فأخذ عمالهم ورجالهم

---

(١) جمع الوهق وهو الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان .

(٢) جمع جلاهق وهى البندق الذى يرمى به الطير .

العسكريون يزيدون على تلك الأسلحة ويفتنون فى صنعها ويجرون التعديل والتصليح على الاختراعات القديمة ، حتى كان جيشهم بصنوفه المختلفة وبأسلحته المتنوعة الكثيرة مثال الجيوش الراقية فى تلك العصور حتى انتقلت صناعة الأسلحة الى الأمم الأوربية فأخذوها عن العرب .

ولما فتح العرب إسبانيا فى بداية القرن الثامن الميلادى أدخلوا إليها صناعات كثيرة كان من جملتها صناعة الأسلحة التى برعوا فيها ، وكان أول مصنع أنشىء لصنع الأسلحة المصانع التى أقامها العرب فى الشام والقاهرة وفيها كانت تطبع السيوف وتصنع التروس والدروع وغيرها .

فى السلاح : قال المهلب لبنيه : يا بنى لا يقعدن أحد منكم فى السوق ، فان كنتم لا بد فاعلين فالى زراد أو سراج أو وراق .

وبلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبعث ابنه الأغر وقال : « يا بنى كن يدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فانه ظل الموت ، واتق الرمح فانه رشاء المنية ، ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فبماذا أقاتل ؟ قال بما قال الشاعر :

جلاميد يملأن الأكف كأنها ... رؤوس رجال حلقت فى المواسم

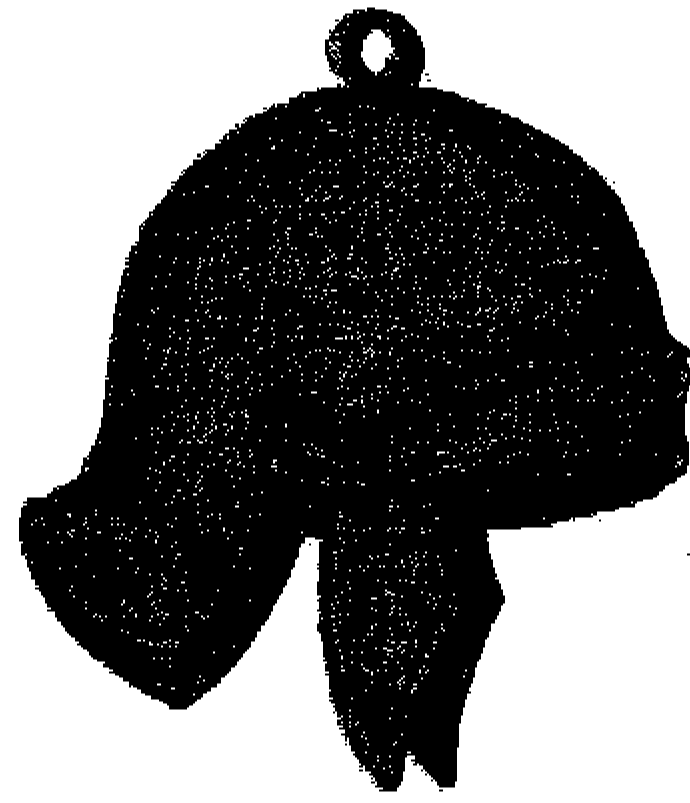
وقال على بن أمية :

دهتنا أمور تشيب الوليد ... ويخذل فيها الصديق الصديق

فناء مبيد وذعر عتيد ... وجوع شديد وخوف وضيق

وداعى الصباح بطول الصياح ... السلاح السلاح فما نستفيق

فبالله نبلغ ما نرتجى ... وبالله ندفع ما لا نطيق



البيضه ـ شكل ٦٥

الباب السادس

الرياضة البدنية عند العرب فى الاسلام

كانت الرياضة البدنية عند العرب فى الإسلام تتجلى فى السباق الذى كان على أنواع منها : السباق بالأقدام والمسابقة بين الخيل والمسابقة بين الإبل والمصارعة والرمى بالسهام والرهان والسباحة والطعن بالرمح وركوب الخيل مسرجة ومعراة وغير ذلك مما اقتبسه الأوربيون منهم.

فالرياضة البدنية بفروعها وأصولها وكل ما يفخر به الأوربيون من ذلك انما هو مأخوذ أصلا من ضروب الرياضة البدنية عند العرب فى عصرى الجاهلية والإسلام ومن تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم .

فأولا — المسابقة على الأقدام : عن عائشة رضى الله عنها قالت سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال هذه بتلك .

وعن سلمه بن الأكوع قال بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبداً فجعل يقول ألاسابق إلى المدينة هل من سابق؟ فقلت أما تكرم كريماً ولاتهاب شريفاً قال لا إلا أن يكون رسول الله « صلعم » قال قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى ذرنى فلأسابق الرجل قال إن شئت قال فسبقته إلى المدينة . وتسابق الصحابة على الأقدام بين يديه « صلعم » بغير رهان .

وثانيا — المسابقة بين الخيل : عن أبى عمر قال «سابق رسول الله «صلعم»

بين الخيل وفضل القرح أى التى كمل سنها . فأرسلت التى ضمرت منهـــا وأمدها الحفياء إلى ثنية الوداع والتى لم تضمر أمدها ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق » .

وعن موسى بن عقبة أن بين الحفياء إلى ثنية الوداع ستة أميال أوسبعة. وقال البخارى : قال سفيان «من الحفياء إلى ثنية الوداع خمسة أميال أوستة ، ومن ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق ميل». والحديث كما قال الصنعانى فى كتابه «سبل السلام» دليل على مشروعية السباق وأنه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد فى الغزو والانتفاع بها فى الجهاد .

وثالثا ــ المسابقة بين الابل : وأما مسابقته بين الإبل ففى صحيح البخارى تعليقا عن أنس بن مالك قال « كانت العضباء(١) لاتسبق فجاء أعرابى على قعود(٢) له فسابقها فسبقها الأعرابى، وكأن ذلك شق على أصحاب رسول الله «صلعم» فقال (حق على الله ألا يرفع شيء إلا وضعه) » .

ورابعا ــ المصارعة : ورد فى سنن أبى داود عن محمد بن على بن ركانة أن ركانة صارع النبى « صلعم » فصرعه النبى .

وعن أبى الحجاج الحافظ فى كتاب تهذيب الكمال قال « أن ركانة كان من مسلمة الفتح وهو الذى صارع النبى «صلعم» مرتين أو ثلاثا وذلك قبل إسلامه ، وقيل إن ذلك كان سبب إسلامه وهو أمثل ما روى فى مصارعة النبى « صلعم » .

وقال الزبير بن بكار فى كتاب النسب « وركانة الذى صارع النبى « صلعم » بمكة قبل الاسلام وكان من أشد الناس قال : يامحمد إن صارعتنى آمنت بك . فصرعه النبى « صلعم » فقال أشهد أنك ساحر ثم أسلم بعد ذلك .

وخامسا ــ الرمى بالسهام : ورد فى صحيح البخارى عن سلمة بن الأكوع

---

(١) ناقة الرسول .
(٢) جمل .

قال : مر النبي بنفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال (ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بنى فلان) . قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » (مالكم لاترمون ؟) فقالوا (كيف نرمى وأنت معهم ؟) فقال (ارمو وأنا معكم كلكم) .

وقال مصعب بن سعد كان سعد يقول « أى بنى تعلموا الرماية فانها خير لعبكم » .

وسادسا — الرهان : أما عن الرهان فقد روى فى المسند من حديث أنس أنه قيل : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله « صلعم » أو كان رسول الله «صلعم»؟ قال نعم والله لقد راهن رسول الله « صلعم » على فرس له يقال له سبحة فسبق الناس فبش لذلك وأعجبه .

وفى سنن أبى داود عن ابن عمر أن النبي « صلعم » سبق (راهن) بين الخيل وفضل القرح (التى كمل سنها) فى الغاية .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي « صلعم » قال : من أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار ومن أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فهو ليس بقمار .

وثبت عن الصديق أنه راهن كفار مكة على غلبة الروم للفرس وراهنوه على ألا يكون ذلك ، ووضعوا الحظ من الجانبين وكان ذلك بعلم النبي « صلعم » وإذنه .

وعن أبى هريرة قال — قال رسول الله « صلعم » : لا سبق (رهان) إلا فى خف أو حافر أو نصل .

وقوله « إلا فى خف » المراد به الإبل ، والحافر الخيل ، والنصل السهم .

وسابعا — السباحة : وأما عن السباحة فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح : أن علموا غلمانكم العوم .

وثامنا وتاسعا — الطعن بالرمح وركوب الخيل مسرجة ومعراة : ثبت عنه « صلعم » أنه طعن بالرمح . وأنه ركب الخيل مسرجة ومعراة .

قال ابن إسحق فى المغازى « حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله «صلعم» رمى عن قوسه بيده الكريمة يوم أحد حتى اندقت سنها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده .

وأما طعنه « صلعم » بالحربة ففى مغازى موسى بن عقبة وابن إسحق والأموى وغيرها أنه لما كان يوم أحد وأسند رسول الله « صلعم » الى الجبل أدركه أبى ابن خلف وهو يقول — أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا . قال ابن اسحق — وكان أبى ابن خلف كما حدثنى صالح بن عوف يلقى رسول الله «صلعم» بمكة فيقول — يا محمد إن عندى العود (فرس له) أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها — فيقول « بل أنا أقتلك إن شاء الله » . قال موسى بن عقبة عن سعيد بن المسيب فلما أدرك أبى رسول الله « صلعم » اعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله « صلعم » فخلوا طريقه واستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار ليقى رسول الله « صلعم » بنفسه فقتل مصعب وأبصر رسول الله « صلعم » ترقوة أبى ابن خلف من فرجة فى سابغة الدرع والبيضة فطعنه بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فكسر ضلعا من أضلاعه فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال قتلنى والله محمد .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الرماح فى كتابه فقال «يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب » .

وفى سنن ابن ماجة عن على بن أبى طالب قال : كانت بيد النبى « صلعم » قوس عربية فرأى رجلا بيده قوس فارسية فقال : ما هذه ؟ ألقها وعليك بهذه وأشباهها ورماح القنا فانهما يزيد الله بهما فى الدين ويمكن لكم فى البلاد .

وكذلك ركب النبى « صلعم » الخيل مسرجة ومعراة .

فقد روى فى الصحيحين عن أنس قال — كان رسول الله « صلعم » أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة عندما كان ممتطيا فرســا عريان لأبى طلحة فخرجوا فاذا هم برسول الله « صلعم » قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر وهو يقول « لن تراعوا » وقال النبى « صلعم » « وجدناه بحرا » قال ثابت « فما سبق ذلك الفرس بعد ذلك وكان فرسا يبطىء »

التمارين الرياضية

لم يكن هذا النوع من الرياضة معروفا لدى العرب بشكله و نظامه الحاليين ، غير أنه بظهور الإسلام دخل العرب فى دين الله أفواجا وفرض عليهم تأدية الصلوات الخمس بانتظام كل يوم ، وقد قال الله تعالى « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ». ففى قيام المصلى بتأدية هذه الصلوات الخمس يقوم فى الوقت نفسه وبطريقة منظمة بتأدية تمرينات رياضية تعتبر من خيرة التمرينات وأفضلها لتقوية الجسم وللمحافظة عليه سليما معافى ، وذلك وفقا لأحدث الآراء فى التربية البدنية الحديثة ، فحركة الذراعين عند النية مع تكبيرة الإحرام هى تمرين للذراعين ، وثنى الجذع عند الركوع ثم مده مع التحميد هو تمرين للظهر ، أما النزول بالجسم من وضع الوقوف إلى السجود ثم العودة به إلى ذلك الوضع فهو تمرين للفخذين والرجلين والمفاصل ، كذلك السجود عند كل ركعة هو تمرين للبطن والظهر وهو تمرين رائع لمقاومة التجويف القطنى واحديداب الظهر وهما عيبان بدنيان كثيرا ما ينتابان الجسم ، أما الجلوس الأخير مع الركوع بعد الركعة الأخيرة لقراءة التشهد ثم التسليم فهو ذو أثر بين فى تليين حركة العمود الفقرى إلى الجانب وبخاصة فى القسم الظهرى منه حيث يكون التصلب عادة على أشده ، زد على ذلك أن لف الرأس والرقبة يمينا ثم يسارا عند التسليم يعتبر تمرينا من أحسن التمارين الرياضية للرقبة ، فهو يكسبها مرونة فى الحركة وقوة وجمــالا ، وفوق ذلك يعطى الرأس وضعها الصحيح ولذلك أثره وأهميته فى قوام

الجسم عامة ، ثم إن هذا التمرين يكسب عضلات القسم العنقى من العمود الفقرى ليونة ومرونة كما أنه ذو أثر حسن فى الدورة الدموية فى الرأس .

وإقعاء المصلى للتيمم وضربه بكفيه على تراب طاهر حركة لتمرين عضلات البطن ، أما مسح وجهه فهو حركة للذراعين ، ومسح ساعده اليمنى بيده اليسرى مع لفت الرأس يمينا وساعده اليسرى بيده اليمنى مع لفت الرأس يسارا فذلك تمرين فيه مرونة لحركة العمود الفقرى جانبا وتمرين حسن للرأس والرقبة .

والإسلام كما جاء بصحة الأديان فقد جاء بصحة الأبدان أيضاً ، وقد قال النبى « صلعم » من حديث له « إن لربك عليك حقا وإن لبدنك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه » .

يظن بعض المسلمين أن الإسلام لا يعرف الرياضة البدنية وما كان للاسلام أن يهمل أمر الأجسام بعد أن خلقها الله تعالى وأبدعها بحكمته ، وقد قال تعالى يصف نفسه جل وعلا «فتبارك الله أحسن الخالقين». وقال تعالى أيضاً « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » . وبين الله لنا أنه اصطفى رجلا للملك واختاره لتدبير الأمور وتصريف الشئون لسعة علمه وقوة جسمه فقال تعالى « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » .

وقد كان رسل الله صلوات الله عليهم أصحاء الأبدان أقوياءها فكانت لهم مهابة وجلال وقدرة على مقاومة المشركين والجهال ، وحدثنا القرآن الكريم أن موسى عليه السلام وكز رجلا معتديا فقضى عليه .

ومن الله على نبيه أيوب عليه السلام بالشفاء بعد المرض وقوة البدن بعد الضعف فقال تعالى « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس بدنا وأقواهم جسما ويقول على كرم الله وجهه فى وصفه « كنا نسير معه وإنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث » وكان يسابق الخيل ويتقن ركوبها ويعرف كرائمها ويفاضل بينها ويحسن القتال عليها . ويقول على كرم الله وجهه « كان الشجاع فينا فى الحرب هو الذى يقرب من رسول الله لشدة قربه من صفوف الأعداء » وكان يقول « صلعم » أسألوا الله العفو والعافية فانه ما أوتى أحد بعد يقين خيرا من معافاه » .

الكشافة

إن نظام الكشافة يرى فى شعائر الحج من سفر وإحرام وتخشن وطواف وسعى ووقوف بعرفات فى وقت واحد ثم الذهاب لمنى ثم لمزدلفة رحلات منظمة مزجت بالعبادة ، وتنقل مرتب قرن بالتضرع ، ونظام كشفى جميل ، يسمو على أحسن نظام للكشافة .

الرياضة البدنية الوقائية

١ — الصيام : قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

إن فى صيام رمضان ، وهو ركن من أركان الإسلام ، فوائد كثيرة للصائم الذى يلزمه الاعتدال فى طعام الافطار والسحور ، ومراعاة ما يناسب خلو المعدة النهار كله وقت الافطار ، كما أن السحور يجب أن يقتصر على بضع لقمات لأنه لا ضرر من الجوع فى ذاته .

والصيام رياضة بدنية رائعة وبه تكون الوقاية من حالات كثيرة منها : الاضطرابات المعوية المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية . وهنا

ينجح الصيام كوقاية بدنية لأن بين الأكلة والأخرى مدة طويلة وهو أنجع طريق لتطهير الأمعاء .

ب — زيادة الوزن الناشيء من كثرة الغــذاء وقلة الحركة . فالصيام هنا أعظم واق ، مع الاعتدال فى الطعام وقت الافطار والاكتفاء بالماء فى السحور .

حـ — زيادة ضغط الدم وهو نتيجة الترف والانفعالات النفسية .

ء — البول السكرى وهو قبل ظهوره يكون غالبا مصحوبا بازدياد فى الوزن ، فهنا يكون الصيام رياضة واقية فعالة للبدن .

هـ — التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بتورم .

و — أمراض القلب المصحوبة بتورم .

ز — التهاب المفاصل المزمن لاسيما إذا كان مصحوبا ببدانة ، كما يحدث عادة عند السيدات بعد سن الأربعين فى الغالب .

ومن المقطوع بصحته أن زيادة البدانة يصحبها استعداد للبول السكرى . وزيادة ضغط الدم ، والتهاب المفاصل المزمن ، وغير ذلك .

ومع قلة الوزن يقل الاستعداد لهذه الأمراض بالنسبة نفسها . وهــذا هو السبب فى أن شركات التأمين لا تقبل تأمينا على أفراد يزداد وزنهم إلا بشروط تتعقد كلما زاد الوزن .

٢ — الوضوء : قال تعــالى « يا أيهـا الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

وحركات الوضوء يقصد بها تنظيف البدن وتنشيطه ووقايته .

ا — فتنظيف الفم عدة مرات فى اليوم من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة .

ب — أما غسل طاقتى الأنف بماء بارد فهو من أهم سبل الوقاية من الزكام المتكرر .

حـ — وغسل الوجه والأذنين واليدين عدة مرات كل يوم هو أحسن وقاية لها مما قد تتعرض له من الأمراض الجلدية والالتهابات .

الباب السابع

الألعاب الرياضية

العرب قوم ذوو ماض مجيد ، وتاريخ عتيد ، ضربوا بسهم وافر فى مختلف العلوم والفنون . فسبقو أهل الغرب بعدة قرون .

والعرب أمة عظيمة لم يغرب عن بالهم ما للألعاب الرياضية من أهمية فى تكوين الجسم وتنشيطه ، فكانت لهم ألعابهم الخاصة بهم . وهذه الألعاب على الرغم من مر الدهور وكر العصور كانت ولا تزال هى الأصل الذى نقل عنه أهل الغرب معظم ألعابهم التى اشتهرت الآن فى أنحاء العالم شرقا وغربا ، واقترنت أخيراً باسمهم. فالى العرب يرجع الفضل الأول فى تلك الألعاب . فمن المقطوع بصحته أنها صيغت من نسج عقولهم بل انها وليدة بيئتهم التى عاشوا فيها . ومن هذه الألعاب :

١ — الأنبوثة : وهى لعبة يحفر فيها الصبيان ويدفنون شيئا فمن استخرجه فقد غلب .

٢ — اللبخة : هى فى الأصل نوع من الشجر غير اللبخ المعروف الآن وكان فى مصر حتى منتصف القرن التاسع الهجرى وله ثمر كالبلح ولكنه مر المذاق إلا أنه مفيد للقلب . قال الشعرانى فى طبقاته الكبرى المعروفة بلواقح الأنوار فى ترجمة الشيخ عثمان الحطاب المتوفى فى أوائل القرن التاسع الهجرى مانصه « وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار (اللصوص) ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد ضرب الجميع فلا تصيبه واحدة » . هكذا أخبر عن نفسه فى صباه .

والعامة فى مصر يسمونها « التحطيب » لأنها تلعب بالحطب أو العصا الغليظة « النبوت » . وهى تسمى عند أهل الصعيد باسم « لعب القلاوى » . وفى جهات الفيوم يسمونها « الملاقفة » ، وفى الوجه البحرى فى جهة المنوفية « المحاجفة » . وهى تلعب فى مصر فى الأعياد والمواسم ومواكب العرس . يقفون بالمواكب وقفات فى الطريق يكافح فيها اللاعبان . وأكثر مايكون ذلك فى أعراس الريف . وطريقة اللعب أن يتبارز فتيان بيد كل منهما هراوة يسمونها « النبوت » يضرب بها ويتلقى الضربات فتكون سلاحه وترسه ، فاذا شرعا فى اللعب كان هم كل واحد أن يصيب ولا يصاب فلا يزالان يكافحان حتى يجد أحدهما غرة من صاحبه فيصيبه إصابة خفيفة يسمونها « بالكشف » ويقولون قد كشفه ، فيجتهد المصاب أن يقابل هذه الضربة بضربة أقوى منها يسمونها « الغطا » فان أصابه تعادلا ولم يغلب أحدهما الآخر وإلا عد المكشوف مغلوبا .

وكان السلطان بيبرس كثيراً مايذهب إلى بلدة سرياقوس من أعمال مديرية القليوبية لحضور مباريات بين الأهالى فى هذه اللعبة .

٣ — الدحو : قال الحارثة بن أبى رافع وقيل الحارثة بن رافع قال : كنت ألاعب الحسن والحسين رضى الله عنهما بالدحو ، قالوا وما الدحو ؟ قال كنا نحفر أدحية كأدحية بيض النعام ونضع عليها سارية ثم نبعد عنها بمسافة طويلة ونسوى الرمل فنضع عليه كرة من الخشب وربما وضعنا جوزة « جوزة الهند » ويمسك اللاعب « بالمدحاة » (وهى عصا من الخشب بجدوحة الطرف كالهلال) بكلتا يديه ويهوى بها على الكرة فما أتت على شىء إلا اختطفته ثم تجرى بعد ذلك وراءها فإذا ما اقتربنا من السارية رفعناها وإن سقطت الكرة فى الأدحية عد ضاربها غالبا .

ملاحظة — هذه اللعبة هى الأصل فى لعبة الجولف الآن .

٤ — التدبيح أو الدباح : هى اللعبة المعروفة الآن عند العامة وفى بلاد الشرق العربى باسم «عنكب شد واركب» وصفتها عندهم أن يحنى صبى ظهره كهيئة الراكع ويسند رأســه على حائط على حين يقف آخر بعيداً فيقول «عنكب» فيجيبه الآخر «شد واركب» فيقبل وهو يعدو فيقفز فوقه ويركبه فان وقع غلب وانحنى بدله وإلا ظل راكبا عليه حتى يكل ويتعب ويعترف بالعجز. وقد يشترك فيها جماعة بأن ينحنى نصفهم ويركب النصف الآخر.

٥ — الكلط أو الكلطة : فى الأصل عدو المقطوع الرجل ثم استعمل لنوع من العدو على رجل واحدة.

٦ — العرد : هو قذف الحجر أو التطويح به إلى أقصى مسافة.

٧ — الربع : ويعرف بعلاج القوة وهو عبارة عن أحجار متفاوتة الثقل يتمرن الإنسان على حملها وأول من فكر فى ذلك هو «جابر بن عبدالله الأنصارى» وكان يمارسها وكان مشهورا نتيجة مرانه على هذه اللعبة بأنه كان مفتول العضلات قويها.

ملاحظة — هذه اللعبة هى الأصل فى رفع الأثقال الآن، حتى أن كلمة «الربع» ذاتها لاتزال باقية ولاتزال هى نفسها التى تطلق على هذا النوع من الرياضة حتى وقتنا هذا.

٨ — اللبط : هى ضرب من ضروب المغالبة والمصارعة.

٩ — الداش أو الدوشنة : وهى تلعب بحصاة أو كرة تلقى ثم تلتقف.

١٠ — الجبة والآل : وهى معروفة عند العامة فى مصر فالجبة عبارة عن خمس حصيات كل حصاة فى مقدار الجوزة يطرح الصبى أربعا منها على الأرض ثم

يلقى الخامسة فى الهواء ويأخذ واحدة من الأرض يتلقفها بها ثم يطرحها فى جانب ويعاد اللعب هكذا حتى يأتى على الأربع ثم يطرحها ويتلقف الحصاة الملقاة بحصاتين حصاتين ثم يطرحها ويتلقف الملقاة بواحدة فقط ثم بالثلاث الباقية فى مرة واحدة ثم يجمع الخمسة فى كفه ويقلبها ويتلقفها بظهرها ثم يعيد قلبها فيلقفها بباطنها فان فعل كل ذلك ولم تقع منه حصاة على الأرض غلب رفيقه وإلا أخذ الآخر الحصيات وتولى اللعب .

والآن بالمد يكون بثلاث حصيات فقط تلقى واحدة وتتلقف بالاثنتين المطروحتين معا عشر مرات متواليات، ومن يتم عليه الغلب فى كلتا اللعبتين يضرب على كفه بالمخراق (الطرة) .

١١ — دحندح : هى لعبة من لعب صبيان العرب . يجتمع لها الصبيان فيقولونها فمن أخطأ قام على رجله وحجل على إحدى رجليه سبع مرات . ويظهر أن هذه الكلمة كانت صعبة على ألسنتهم حتى أصبح يضرب بها المثل فيقول العربى « هو أهون على من دحندح » .

١٢ — الدستبند : هو نوع من أنواع الرقص كان يقوم به العرب فى أوقات فراغهم . والكلمة فارسية مكونة من مقطعين ـ دست ومعناه اليد وبند ومعناه الربط .

١٣ — الدوامة : وهى فلكة يرميها الصبى بخيط فتدوم على الأرض أى تدور وسميت دوامة لأنها من سرعة دورانها تظهر للرائى كأنها سكنت وهدأت وهى تلف بسير أو خيط ثم ترمى على الأرض فتدور وهى المعروفة فى مصر باسم « النحلة » ويسميها العامة فى الحجاز باسم « المدوان » .

١٤ — الرجاجة . وهى « المرجيحة » كما يسميها العامة فى مصر .

١٥ — الزحلوقة . هى لعبة للصبيان يجتمعون فيأخذون خشبة فيضعونها على قوز من رمل ثم يجلس على أحد طرفيها جماعة وعلى الآخر جماعة فأى الجماعتين كانت أرزن ارتفعت الأخرى فينادون أصحاب الطرف الآخر ألا جاوا أى خففوا عن عددكم حتى نساويكم فى التعادل . واسمها أيضاً « الزلخة » .

١٦ — سفد اللقاح : هى انتظام الصبيان بعضهم فى أثر بعض كل واحد آخذ بحجزة صاحبه من خلفه ولا يزال الصبيان فى مصر يلعبونها ويسمونها « البابور » .

١٧ — الصراع : وهو أن يتماسك اثنان ويتعالجا حتى يطرح أحدهما الآخر على الأرض . وهو ضرب من الرياضة معروف عندنا الآن باسم « المصارعة » .

وللصراع ضروب فمن ضروبه « الشغزبية » وهى ضرب من الحيلة فى الصراع وهى أن تلوى رجل خصمك برجلك فتقول شغزبته شغزبة . ومن ضروبه الأخرى « الشفلقة » وهى أن يكسع الإنسان إنسانا آخر من خلفه فيصرعه .

ومن ضروبه « الظهارية » وهى أن يصرع إنسان إنساناً آخر على الظهر .

ومن ضروبه « القرطبى » وهى الصرع على القفا .

ومن ضروبه « الهضة » وهى أنه إذا صرعه جثا عليه .

وإذا احتمله فصرعه يقال قد نشز به . وإذا أخذ رأسه تحت إبطه فصرعه قيل قد « تعرقه » وإذا وقعا معاً ولم يصرع أحدهما الآخر قيل وقع المصطرعان « كعكمى عير » أى كتعادل وزنين على ظهر حمار عند وقوعهما . ويقال « عفسه » أى ضربه إلى الأرض وضغطه ضغطاً شديداً فضرب به . « والدهشرة » هى سرعة الأخذ فى الصراع . « والعرضة » هى حيلة فى المصارعة . وكانوا يسمون البطل

« العجار » أو « العرنة » ومن الطريف أن كلمة « العرنة » هذه لا تزال تطلق على اسم قرية من أعمال دمشق اشتهر أهلها من قديم الزمان بقوة الجسم والعضل . ويغلب على الظن أن هناك صلة وثيقة بين هذه الكلمة العربية التي تدل على البطولة والأصل في تسمية هذه القرية السورية العربية .

١٨ — عظم وضاح : هى لعبة من ألعاب العرب ينقسم فيها الصبيان فريقين وفيها يعمدون إلى عظم أبيض فيرمونه فى ظلمة الليل ثم يتفرقون فى طلبه فمن وجده منهم فله الفوز بأن يركب أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذى يجدون فيه العظمة إلى الموضع الذى رموا بها منه . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلعب هذه اللعبة وهو صغير مع الغلمان .

١٩ — العلاج : ضرب من ضروب تمرين أعضاء الجسم وإظهار القوة وذلك برفع الأثقال . وقد كانت الأثقال أحجاراً فى ذلك العهد .

٢٠ — الثقاف : وهو اللعب بالسيف وممارسته . وهو الأصل فى لعبة الشيش الآن .

٢١ — الغميضاء : وهى لعبة معروفة فى مصر بين الصبيان وفيها يغمض الصبى عينيه ثم يأتى صبى آخر فيضربه ثم يسأل من ضربك فإذا عرفه حل محله وإن لم يعرفه استمر .

٢٢ — القفيزى : هى لعبة للصبيان ينصبون فيها خشبة ويتقافزون عليها . وهى تقابل ما يسمى بالوثب العالى الآن .

٢٣ — الكرة والصولجان : وهى اللعبة المعروفة الآن عند أهل الغرب باسم لعبة « البولو » وفى ذلك قال أحد شعراء العرب :

كرة ضربت بصوالجة   فتلقفها رجل رجل

جاء في الآيين (١) : من إجادة الضرب بالصولجان أن يضرب الكرة قدما ضرب خلسة يدير فيه يده إلى أذنه ويميل صولجانه إلى أسفل من صدره ويكون ضربه متشازراً مترفقاً مترسلا ولا يغفل الضرب ويرسل السنان خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة إلى غاية الغرض ثم الجر للكرة من موقعها ، والتوخى للضرب لها تحت محزم الدابة (راجع شكل ٤٨) ومن قبل لبتها فى رفق ، وشدة المزاولة والمجاحشة على تلك الحال والترك للاستعانة فى ضرب الكرة بسوط والتأثير فى الأرض بصولجان والكسر له جهلا باستعماله أو عقر قوائم الدابة ، والاحتراس من إيذاء من جرى معه فى ميدانه ، وحسن الكف للدابة فى شدة جريه ، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال ، والمجانبة للغضب والسب ، والاحتمال ، والملاهاة ، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وإن كان ست كرين بدرهم ، وترك طرد النظارة والجلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان انما جعل ستين ذراعاً لئلا يحال ولا يضار من جلس على حائطه .

٢٤ — الطبطابة : هى لعبة تستعمل فيها كرة صغيرة وإطار من خشب فيه شباك مجدول من العصب وله فى أسفله مقبض تضرب به الكرة الصغيرة . وهذه اللعبة العربية هى الأصل فى لعبة التنس المعروفة الآن .

ومن الطريف أن المقطع الأخير من اسم اللعبة وهو « طابة » هو الاسم الذى يطلق على الكرة فى بلاد الشرق العربى كسوريا ولبنان :

٢٥ — المهزام : وهى اللعبة المعروفة فى مصر باسم « الاستغماية » .

٢٦ — النفاز : وهى لعبة توائب .

---

(١) كلمة فارسية معناها القانون أو النظام .

٢٧ ــ الثقاف : هو نوع من اللعب بالسيف تزاوله النساء البدويات في رقصهن بالولائم والأعراس .

٢٨ ــ المواغدة : وهى المسابقة والمباراة فى السير والعدو .

٢٩ ــ الكجة : لعبة يأخذ الصبى فيها خرقة فيدورها كأنها كرة ويلعب بها.

٣٠ ــ الحوفزى : أن تلقى الصبى على أطراف رجليك فترفعه ، وقد حوفز .

٣١ ــ الربيعة : حجر تمتحن بإشالته القوى .

٣٢ــ الحمص : حمص الغلام ترجح على الأرجوحة من غير أن يرجحه أحد .

٣٣ ــ الجعرى : لعبة للصبيان وهو أن يحمل الصبى بين اثنين على أيديهما ، وهى معروفة فى مصر باسم « كرسى السلطان » .

٣٤ ــ المقلاء والقلة : عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذى يضرب به يسمى المقلاء ، والقلة الخشبة الصغيرة التى تنصب ، والقلو وهو اللعب بالقلة يكون برميها فى الجو ، ثم ضربها بالمقلاء فى يدك وهى خشبة قدر ذراع فتستمر القلة ماضية فاذا وقعت كان طرفاها ناتئين على الأرض فتضرب أحد طرفيها فتستدير وترتفع ثم تقابلها بالمقلاء فتضربها فى الهواء فتستمر ماضية وذلك هو القلو .

٣٥ ــ الجماح : سهم يجعل على رأسه طين كالبندقة يرمى به الصبيان البندقة .

٣٦ ــ الحجورة : لعبة يلعبها الصبيان بأن يخطوا خطا مستديراً ويقف فيه صبى ويحيط به الصبيان ويضربونه فمن أخذه منهم أقامه مكانه .

٣٧ ــ البوصاء : لعبة يلعب بها الصبيان فيأخذون عوداً فى رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم .

٣٨ — التضرفط : أن تركب أحداً وتخرج رجليك من تحت إبطيه وتجعلهما على عنقه .

٣٩ — المقثة : خشبة مستديرة على قدر فرص يلعب بها الصبيان .

٤٠ — الدعلجة : لعبة للصبيان يختلفون فيها للجيئة والذهاب .

٤١ — المخراق : منديل أو نحوه يطوى فيضرب به .

٤٢ — التخاسى : تخاسى الرجلان أى لعبا بالزوج والفرد .

٤٣ — ردت الجارية : رفعت رجلا ومشت على أخرى تلعب .

٤٤ — الجناباء والجنابى : لعبة للصبيان يتجانبان فيها فيعتصم كل واحد من الآخر .

٤٥ — الكرة والميجار : الميجار شبه صولجان تضرب به الكرة واللعبة كلعبة الكرة والصولجان .

لعبة البندق

كانت ضمن ألعاب الخلفاء . والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص . اقتبس العرب هذه اللعبة فى أواخر أيام الخليفة عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها فى بادىء الأمر منكراً ثم ألفوها حتى شكلوا فرقاً من الجند ترمى بها .

وكان رماة البندق من العرب فى العصر العباسى طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحى المدن يتسابقون فى رميه على الطير ونحوه . ويعدون ذلك من قبيل الفتوة . ويغلب فى رماة البندق أن يشتغلوا بتطيير الحمام ، ولهم زى خاص ، يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ، ويسمونها سراويل الفتوة .

وقد بلغ من ولع أحد خلفاء العرب فى العصر العباسى « الناصر لدين الله »

أن جعل لرمى البنـدق شأناً وجعل منـه فنـا لا يزاوله إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها ، على أن تـكون بينهم روابط وثيقة ، على نحو ما عند بعض الجمعيات فى وقتنا الحاضر وجعل نفسه رئيس هذه الطائفة وكان هو نفسه يلبس سروال الفتوة . وإن النظام الذى ابتدعه الخليفة الناصر أصل هيئات وجمعيـات الفروسية الأوروبية فى القرون الوسطى .

وكان لرمى البنـدق عنـد العرب شأن كبير فى العصور الوسطى الاسـلامية ، بالعراق والشـام ومصر وفارس . وخط البندقانيين بالقاهرة ينسب إلى صناعة أقواس البندق . ثم تفننوا فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخرة الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق. فلما اخترع البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب ، وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه .

وكان لرمى البندق شأن عظيم عند العرب لاسيما عنـد بنى العباس ، وهو لعبة فارسية ، يصنع فيها البندق من الطين ، أو الحجارة ، أو الرصاص وترمى بالقسى واقتبس العرب هذه اللعبة فى أواخر أيام عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها منـكراً فألفوها ، إلى أن ألفوا فرقاً من الجنـد ترمى بهـا ، وكان رماة البنـدق فى عهـد العباسيين طائفة كبيرة ، يخرجون إلى ضواحى المدن فيتسابقون فى رميها على الطير وأمثاله . وكان للرشيد فرقة يقال لها « النمل » تسير بين يديه ، وترمي البندق على من يقف فى طريق الموكب ... ولمـا انتقلت الخلافة إلى الناصر لدين الله ، جعل لرمى البندق شأناً ، لأنه كان ولعاً به حتى جعله فناً ، لا يزاوله إلا الفتيان .

لعبـة الـكرة عند العرب المغاربة

على الرغم من حرارة الجو فى بلاد المغرب ، التى تحد من نشاط سكانها ، نرى المغاربة يحبون لعبة الـكرة بكل أنواعها . ويقوم صانعو الجلود فى مختلف البلاد

يعمل الكرات الكروية الشكل بمهارة ، من الجلد المتعدد الألوان ، ويثبتون حوافها بخيوط مذهبة أو مفضضة . ثم يبطنونها من الداخل بفضلات الجلد أو بالصوف أو الوبر أو ما شابه ذلك . وتتفاوت حجومها من حجم البرتقالة إلى حجم البطيخة .

أما الأطفال فتواقون إلى تحقيق الميل الطبيعي للعب ، ولذا نجدهم يستمدون من مختلف أنواع لعب الكرة كل متعتهم ورياضتهم . واللعبة العادية تكون بتبادل شخصين قذف الكرة ، وفى الوقت نفسه يجريان ويقومان بكل ما يلزم من الحركات لئلا يتمكن أحد المشتركين فى اللعبة خلافهما من التقاط الكرة .

وهناك لعبة « الميس » وهى عبارة عن إصابة هدف من الطوب على ارتفاع حوالى خمسة عشر سنتيمتراً . ويتناوب المتبارون فى اللعب الواحد بعد الآخر ، فيضع كل منهم طرف قدمه اليسرى على خط مرسوم على بعد خمسة أو ستة أمتار من الهدف ، ثم يقذف بالكرة محاولا إصابة الهدف . وهى لعبة محبوبة وشائعة بين سكان الريف والحضر فى مصر . وهناك تنويع فى هذه اللعبة ، فمثلا فى حالة إصابة الهدف يجرى الفائز ويتناول الكرة بأسرع ما يمكنه ، ويقذف بها بكل قوته أحد زملائه الهاربين . والطفل الذى تصيبه الكرة يصبح جواداً للفائز .

وليس الأطفال هم الذين يحبون لعبة الكرة فقط . فان آباءهم لا يقلون عنهم حماسة لها ويلعبونها عادة بالعصا . ويبلغ هذا الحماس أحياناً حداً كبيراً لدرجة أن اللعبة كثيراً ما تنتهى بمعركة حامية تستعمل فيها العصى لا لضرب الكرة ولكن لضرب الرؤوس .

ويقول « دوتيه » الذى درس هذه اللعبة لدى قبائل « الرحامنة » المراكشيين ، إن هناك ثلاث طرق للعب الكرة . فى الأولى توضع الكرة فى وسط الأرض بين الفريقين المتباريين ، واللاعب الذى يستطيع أن يقترب منها قبل غيره ، يقذف بها

بقدمه جهة الفريق المضاد ويبذل هؤلاء جهدهم لمنع الكرة من التسلل إلى منطقتهم ، فاذا لم يتمكنوا تكون الغلبة عليهم . ويقول « دوتيه » إن لهذه اللعبة مثيلا عرف فى فرنسا فى مقاطعتى بريتانيا ونورمانديا . وقد اقتبسها منهم الإنجليز كما يقال فى حرب المائة سنة ، ثم أخذها الفرنسيون منهم بعد تحويرها إلى لعبة جديدة تحت اسم « كرة القدم » .

وفى الطريقة الثانية يتغير أساس اللعبة كلياً ، إذ يقوم على محاولة كل فريق جذب الكرة نحو منطقته بدلا من القذف بها إلى المنطقة المقابلة . كما أن الكرة لا تقذف باليد بل بعصا ذات شكل معقوف يسمونها « العقفة » ، ولا يمكن إتمام اللعبة بدونها فهى التى تتلق الكرة أو تقذف بها فى الاتجاه المطلوب وهى تشبه لعبة الهوكى الآن .

وهذه اللعبة كما يقول « دوتيه » ليست إلا لعبة « الكرة بالمضرب » التى نقلها أهالى نورمانديا وبريتانيا إلى كندا فأصبحت هناك لعبتهم الوطنية .

والطريقة الثالثة تجعل اللعبة بعيدة عن متناول الغالبية من الناس كما سنرى :ـ

« تقذف الكرة فى الهواء ـ كما يقول « دوتيه » ـ وعلى الذى يلتقطها أن يقوم بحركة انقلاب على الأيدى (شقلبة) ثم يدفع أقرب لاعب منه ثم يقذف الكرة مرة ثانية . وهو لا يستطيع قذف الكرة إلا بعد أن يؤدى تلك الحركة الانقلابية ودفع اللاعب القريب منه » .

وإن الإنسان لتأخذه الدهشة عندما يشاهد السرعة الفائقة التى يؤدى بها هؤلاء القوم هذه اللعبة المعقدة . وإن الضربات التى يكيلونها ـ وعادة يكون ذلك بالأرجل ـ من العنف بحيث تضيف إلى اللعبة شيئا من الوحشية . واللاعبون غير

مقسمين إلى فرق ، بل اللعب يكون انفرادياً والغالب هو الذى يستطيع أن يصبر إلى النهاية . ولهذه الطريقة صفة شعبية أكثر من سابقتيها . وفى بعض جهات مراكش يقف اللاعبون فى دائرة ، ويمسك أحدهم بالكرة ، ثم يقذف بها إلى لاعب آخر فى الدائرة ، وهذا الأخير يلتقط الكرة ثم يقوم بالحركة الانقلابية المشار إليها ، ويحاول ضرب أحد زملائه أو دفعه ثم يقذف بالكرة لزميل آخر وهكذا . وإذا لم يتمكن اللاعب الذى قذفت له الكرة من التقاطها قبل أن تصل للأرض ، فعليه أن يلتقطها من الأرض ويقذف بها إلى اللاعب المجاور له ، وليس لأى لاعب آخر أن يختاره بعد ذلك ، كما أنه لايقوم بالحركة الانقلابية .

وقد درس « دوتيه » عدة أنواع من ألعاب الكرة فى الجزائر حيث تلعب عادة باليد فقط دون استعمال العصا ، وتسمى لعبة « الدوخة » وهى تشبه نوعاً ما اللعبة التى سبق وصفها والتى يلعبها الأطفال .

ثم يعود « دوتيه » إلى وصف طرق أخرى للعب الكرة متبعة فى مراكش فيقول : « مما يسترعى النظر أن لعبة الكرة فى مراكش يقوم بها عادة الطلبة ، فى حين أن هذا التمييز أقل ظهوراً فى الجزائر . وفى مراكش نفسها نجد أن لعبة الكرة بدون العصا وبالقدم هى لعبة الطلبة ، ولا يوجد من يلعبها غيرهم . وطريقة لعبهم لها كالآتى : يقسم اللاعبون فريقين ويقذف كل فريق الكرة بدوره بالأقدام ، ثم يقترب الفريقان شيئاً فشيئاً ويختلطون اختلاطاً تاما ، ويحاول كل لاعب أن يوقع كل من يقترب من الكرة ليقذفها بقدمه ولكن يحظر عليهم فى هذه المحاولة استعمال الأيدى بل يكون الدفع بالصدر أو بالكتف أو بالساق أو بالقدم . ويمكن أيضاً استعمال العرقلة (الشنكلة) ولكن دون الاستعانة بالأيدى . وفى جهات أخرى يلعب الجميع الكرة ولكنها تخلو من الضرب . والطلبة وحدهم ، وهم يلعبون

على حدة يستعملون الطريقة نفسها حتى تكاد اللعبة تكون معركة حقيقية . وهذه الطريقة الأخيرة هى الأكثر شيوعاً بين طلبة المدارس فى مراكش » .

ويشير الكاتب إلى أن لعبة الكرة لا تكون عادة إلا في فصل الربيع . كما كان الفرنسيون يلعبونها فى أفنية الكنائس فى العصور الوسطى ، وأنه إلى عهد الثورة الفرنسية كان أسقف أفرانش وتلاميذه يلعبون الكرة أيضاً بالعصا فوق الرمال . وكانوا يعطون إشارة البدء فى اللعب بدق ناقوس الكاتدرائية بكل قوة . ويستنتج الكاتب من ذلك أن لعبة الكرة هى اللعبة المفضلة لدى الطوائف ذات الصبغة الدينية ، كما أن لها كل الصفات المميزة للحفلات الإقطاعية التى كانت تقيمها بعض الطوائف الخاصة .

المصارعة باليد والعاب القوى

إن ألعاب المصارعة باليد مباحة لدى العرب لاسيما وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد زاولها بنفسه . كما أن الرغبة فيها كانت كبيرة لأنها تؤهل من يزاولها للحروب المقدسة وذلك كوسيلة لزيادة القوة البدنية بالتدريب .

والمصارعة معروفة فى مصر وبلاد المغرب ومراكش على الأخص .

أما ألعاب القوى بالمعنى الذى نفهمه من هذا اللفظ فتكاد تكون مجهولة لدى العرب . وإن كان لدى عرب المغرب فى سوس المراكشية طائفة تتكون من أتباع أحد الأولياء المسمى « سيدى أحمد أبو موسى » الذين يمارسون عدداً معيناً من التمرينات ، سواء بأجهزة أو بدونها .

وهذه التمرينات عادة عبارة عن قفزات جريئة ، وما يسمى بقفزات القرود وحركات بهلوانية جانبية على الأقدام أو الأيدى وكذا عمل الأهرام البشرية ، حيث يمتاز الشبان بمرونة فائقة .

وقد شاهد « مرسيير » أحد هؤلاء ويبلغ من العمر أربعين سنة يحمل الأفراد التسعة الذين يتكون منهم فريقه ويؤدى بهم شكل الأهرام .

وإذا استعملت أجهزة لتأدية هذه الألعاب فهى عادة العقلة والمتوازيان والحلقات .

ولاعبوا القوس فى سوس المراكشية يكونون فرقا تتكون من عشرة أشخاص للفرقة ، واحد منهم أو اثنان موسيقيون ، وهى فرق تامة التنظيم يرأس كلا منها رئيس ، ويقومون بالطواف حول العالم . وهم يشاهدون فى مسارح الصالات الكبرى فى أوربا وأمريكا ، وطبيعى أن أعمالهم وملابسهم قد تأثرت بالكثير من النفوذ الذى أضفاه عليهم الأوربيون والأمريكيون .

وعندما يؤدون ألعابهم معتمدين على مواردهم الخاصة خارج الردهات الكبرى تكون هذه الألعاب مصحوبة بنغمات شجية من « الناى » المراكشى وهو يشبه المزمار الذى يحدث نغمات أعلى من الناى العربى .

الباب الثامن

المشى والعدو

كان النبى « صلعم » كثيرا ما يتريض على الأقدام ويقطع فى سبيل ذلك مسافات طويلة ، وكان عليه الصلاة والسلام يتكفأ فى مشيته، وقد ثبت علميا فيما بعد أن لهذا التكفؤ فائدة عظيمة فى إراحة القلب أثناء السير .

وقال المفضل الضبى : كان سليك بن سلكة التميمى من أشد فرسان العرب وأذكرهم وأدل الناس بالأرض وأجودهم عدوا على رجليه .

وكان البدوى الأول — كما كان أفراد جميع الأمم التى عاشت فى بيئه مشابهة للبيداء — من أقدر المشاة . فقد كانوا يقومون برحلات الاستكلاء مرتين على الأقل فى السنة ذهابا الى المراعى وإيابا منها ، ويقطعون فى سبيل ذلك مسافات شاسعة تربو أحيانا على ألف ميل . وتلك الرحلات — وان كان يتخللها وقفات طويلة حيث توجد الخضرة ، كانت المسافة بين كل مرحلة منها والأخرى تستغرق ما ينوف على عشر ساعات وأحيانا تزيد الى أن تبلغ خمس عشرة ساعة سيرا على الأقدام وربما زادت أكثر من ذلك . ولم يكن باستطاعة الإنسان فى تلك الفيافى أن يقتطع رحلته وقتما يشاء وحيثما أراد وهو كما نعلم مرهون بالحاجة الملحة للماء الصالح للشرب له ولرجال قافلته ولدوابه ، فقد كان مسيرا إلى حيث يوجد الماء. غير أن المسافة بين موقعى ماء قد تزيد أحيانا على احتمال الطاقة البشرية ، وفى هذه الحالات كان الرحالة يجعلون الرحلة تشتمل على مرحلتين أو ثلاث تستريح خلالها دوابهم ، ويقنعون هم بجرعة ماء مما حملوه معهم للطوارىء .

وإنا لنجد أن القبيلة أو الأسرة الواحدة ، التى يكون مقامها وقتا ما ، طال أو قصر ، فى بقعة خصبة ، لا يكاد يستغنى رجالها أو نساؤها عن المواشى . وقد

كانت دواعى الحذر الغريزية توجب حط الرحال على بعد معين من الماء — وهو نقطة التفرع الرئيسية إلى جميع الطرق — ليكونوا بمأمن من إغارات اللصوص أو هجمات الأعداء الذين يجتذبهم الماء ليرووا عطشهم فتتهيأ لهم الفرصة السانحة لأخذ أعدائهم على غرة .

وعلى ذلك نجد أن النساء ، وهن المناط بهن جلب الماء ، كن يقطعن المسافة بين محط القبيلة ومنبع الماء ذهابا وإيابا مرة أو مرتين فى اليوم الواحد ، كما كان يناط بهن جمع الحطب من يوم لآخر ، وهى مهمة كانت تتفاوت فى سهولتها تبعا لقرب المخيم أو بعده عن البقاع المشجرة ، فاذا كانت البقعة وما يجاورها جرداء عارية فان الوقود الوحيد الذى يتيسر لهن عندئذ الحصول عليه هو «روث» الإبل الجاف الذى كن يضطررن لجمعه من مرعى الإبل على مسيرة أميال عدة .

وكان الأطفال يتبعون الأغنام الى المراعى ، ولما كانت المزروعات متباعدة فقد كانوا يقطعون مسافات ليست بالقصيرة ، وكان عليهم أيضا سقى الغنم مرة أو مرتين فى اليوم تبعا للفصل ولطبيعة المرعى ، قبل إيوائها فى أماكنها بين خيام القبيلة . كما أنهم كانوا يقودون الأغنام ذوات اللبن « الحلوب » من المرعى إلى المخيم لعلفها وقت الظهيرة .

وينتهز رجال القبيلة فرصة تهيئة الأرض لإقامة طويلة ، فيتمتعون بالراحة فترات ليست بالقصيرة . وإن كانت تلك الفترات كثيرا ما كان يتخللها عمليات متنوعة يقومون بها كمطاردة قبيلة معادية أو السعى لتغيير أصناف الطعام بعد أن يكونوا قد ملوا الاستمرار على صنف واحد لفترة طويلة .

وقد يتساءل البعض — ما الضرورة لقطع كل تلك المسافات سيرا على الأقدام وقد توافرت لديهم دواب الحمل ؟ وللاجابة عن هذا السؤال ، يجب أولا ألا ننسى أن البدو الأولين ، لم يكونوا يعرفون الخيل ، وقد كان أول دخولها

إلى بلاد العرب منذ عهد حديث ، وظل استعمالها مقصورا على الأعمال الحربية والقنص ، وفيما عدا ذلك كانت تترك فى المرعى . أما الحمار الصغير وليد البلاد الحارة ، ذلك الحيوان الجلد الصبور فلم يكن بالكثرة التى تسمح لكل بدوى باقتناء واحد لنفسه . لم يبق إذن سوى الجمل ، وهو بلا شك حيوان حمل لايوازن ،ولولاه لاستحالت الحياة على البدوى ، ولا تقتصر ميزته على مقدرته على حمل ما يقرب من مائتين وأربعين كيلوجراما ولا على مقدرته على قطع مسافات شاسعة دون الحاجة إلى الماء حتى يصل إلى بقعة صالحة للاستسقاء ، بل إن أنثاه تعطى لبنا وافرا عظيم القيمة الغذائية للانسان وللخيول الأصيلة . ويكاد الجمل يكون الحيوان الوحيد الذى يمد البدوى باللحم ، كما أن جلده يعطى مادة ثمينة عظيمة المتانة ، تدخل فى صناعة العديد من الأدوات الشائعة الاستعمال ، كما أن فضلاته تكاد تكون المصدر الوحيد للوقود فى البادية . ولا يفوتنا أن الجمل يصلح أحيانا أن يكون مستودعا للغذاء والماء ، فنجد أن صائدى النعام ، فى فصل الصيف القائظ وفى البقاع الجافة الجرداء ، يستصحبون معهم بعض الإبل الكبيرة السن يشبعونها ماء ثم يقطعون ألسنتها فتعجز عندئذ عن الاجترار ولا يبقى لها من الحياة سوى بضعة أيام ، ففى كل ليلة بعد الانتهاء من عملية الصيد ، تذبح واحدة منها ، ويؤخذ الماء المخزون فيها ويعطى لحمها ودمها للخيل . وهذه الأخيرة أكثر احتمالا من الإنسان فى إساغة الماء الملح فى تلك البقاع والذى تشتد ملوحته فى ذلك الفصل القائظ .

والآن ، وقد أوضحنا الخواص الأساسية للجمل ، نبدأ بدراسته من ناحية فائدته للحمل . إن مما لا شك فيه أن الجمل يوفر كثيرا من العناء لجميع أفراد القبيلة ، رجالا ونساء وأطفالا ، طوال مدة الترحال سعيا وراء المرعى . ولكن سرعان ما يتبين للبدوى أن قوى الجمل محدودة وأنه لا يستطيع دفعه للعمل باستمرار ، كما أنه

لا مناص له من إطلاق الحرية له فى أثناء السير الطويل ليسير بخطا بطيئة فيلتقط من جانبى الطريق كل ما سمحت له رقبته الطويلة بالتقاطه . وأخيرا يجد أنه عندما يكل متن الجمل ، يلزمه من الراحة فى المرعى بقدر ما أدى من خدمات وتحمل من جهود وإلا افتقده نهائيا نتيجة للإجهاد ، وعلى ذلك نجد أن البدوى يعرف جيدا أنه يجب عليه العناية التامة بالجمل فيما يختص بطعامه وشرابه وكمية الحمل الذى يستطيع أن يكلفه إياه ومن جهة أخرى يجد أنه إذا اضطر للإسراع فى قطع مسافة قصيرة فالأفضل له أن يقطعها سيرا على قدميه بدلا من استخدام الجمل المثقل الظهر الذى لا تزيد سرعته فى المتوسط على ثلاثة أميال فى الساعة .

وهنا يحل التساؤل مرة أخرى — هل جمل السباق حقيقة معروفة أو هو أسطورة من الأساطير ؟ والجواب بالطبع بالنفى . فهو موجود فعلا ، وقد اتفقت الآراء على أنه الخلاصة الناتجة من جمال الحمل ، وهو يختلف عنها فيما يختلف فيه الحصان الأصيل عن حصان الجر ، ولكن هذا الجمل النفيس — وهو ما يسميه أهل المغرب بالمهر ويسميه أهل الشرق بالهجين — لا يستعمل إلا فى حالات المطاردة ، سواء أكان راكبه هو التابع أو المتبوع . وفى هذه الحالة لا يتردد راكبه فى حثه على السير بسرعة تتفاوت بين ستة أميال وثمانية فى الساعة ، لفترة قد تصل إلى عشر ساعات ، خلال أيام عدة متواصلة ولو أدى ذلك إلى قتله . ولكن الجمل إذا استطاع تحمل مثل هذا الجهد ، احتاج إلى راحة طويلة وكمية وافرة من الغذاء الجيد المتنوع .

وفيما عدا هذه الحالات الاستثنائية ، فإن صاحب المهر أو الهجين يبالغ دائما فى رعايته ، فهو لا يكتفى بتحميله أقل ما يمكن من الأثقال ، ولكنه كثيرا ما يترجل عنه فى أثناء السير ويقطع مراحل عدة من المسافة سيرا على قدميه ، وقد تصل هذه المراحل فى مجموعها إلى نصف المسافة ، وبعبارة أخرى حوالى ثلاثين أو أربعين ميلا .

وأرجو أن يغفر لى القارىء هذا التباعد عن موضوعنا الأصلى الذى كان يرمى إلى تبيان كيف أن مقتضيات الحياة اليومية قد جعلت من رجل البادية أحد المشاة المهرة . فهو دائما نحيف القامة ، لا يأكل إلا ما يسد رمقه ، معرض لشمس محرقة ، يمتلىء قوة وحيوية ، فلا يهدد حياته سوى أن يقتل أو يجرح جرحا مميتا فى إحدى اشتباكاته مع العدو . وقد كان الشاعر عنترة ، وهو بدوى يقرب من الزنوج ، يشبه نفسه عندما كان يستلقى مستريحا على الرمال ، بزهر النرد ألقاه اللاعبون فى أحد الأركان .

وهذا الاستعداد الفطرى للمشى يظهر جليا فى جميع الجنود الذين تؤلف منهم الفرق البدوية ، على شريطة أن تتوافر لهم كميـــات الماء اللازمة للشرب ، وهى تعادل تقريبا ضعف ما يحتاج إليه الجندى الأوروبى فى الظروف نفسها .

ولكن المسافات التى يقطعها المشاة المهرة ، أكثر ما تكون ظاهرة لدى المحترفين وهم العداؤون . وقد كان يوجد من هذه الطائفة عدد كبير فى جميع العصور وفى جميع البلاد العربية أو التى يغلب فيها العنصر العربى . وكان للتسابق على الأقدام مكانة عظيمة . ونذكر لهذه المناسبة ، أن النبى عليه الصلاة والسلام كان قد تسابق هو وزوجه السيدة عائشة . وقد ذكر الجنرال مارجريت (١) حادثة لأحد عدائيه المسمى رحاب بن سعدان من أولاد نايل الذى قتل عام ١٨٤٥ ، وكان قد كلف حمل رسالة من أحد رؤساء قبيلته الى الأمير عبد القادر . وكان ابن سعدان يلبس قميصا ساذجا وقد تمنطق فوقه بحزام من الجلد وعباءة خفيفة ، فابتدأ سيره فى الصباح الباكر ولم يكن يحمل سوى عشر أوقيات من الدقيق المحموص وضعها فى أنابيب من الغاب داخل قميصه ، وكذا ثلاثة لترات من الماء فى زمزمية

---

(١) Général Marguerjtte

علقها فى رقبته ، وكان يقبض فى يمناه على عصا ، هى كل ما تسلح به للدفاع عن نفسه . استمر ابن سعدان فى سيره بلا توقف حتى كانت الساعة منتصف الرابعة بعد الظهر ، فتوقف لتناول نصف الدقيق الذى يحمله وليروى ظمأه . ثم استأنف السير عند هبوط الظلام حتى وصل إلى غرضه قبيل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، فبلغ مقدار ما قطعه أربعا وخمسين مرحلة فى حوالى ست وعشرين ساعة ، أى بسرعة تزيد فى المتوسط على ثلاثة أميال فى الساعة . وإلى هنا يعتبر هذا العمل باهراً جداً ، ولكن بقية الرواية تزيدنا عجبا فإن ابن سعدان لم يكد يقضى بضع ساعات فى معسكر الأمير ، ولم يكن قد طلب منه جزاء خدمته سوى أن يمنحه بركته ، حتى ابتدأ رحلته عائداً إلى قبيلته وهو مزود ببركة الأمير المقدسة ولم تستغرق منه رحلة الإياب ، أكثر مما استغرقته رحلة الذهاب . وقد أطلق على ابن سعدان بعد هذه الرحلة لقب « جواد نفسه » يقصد بذلك أنه كان يسير على قدميه بالسرعة التى يسير بها غيره ممتطيا صهوة الجواد.

وللقصة بقية ، فلكى يدلل الجنرال « مارجريت » على صحة هذه التسمية « بعد ما أصبحت جميع بلاد الجزائر خاضعة لفرنسا » عين ابن سعدان دليلا فى المكتب العربى فى « جلفة » ولكنه رفض استخدام الجواد الذى قدم اليه ، وكان يفضل السير على قدميه أغلب الأحيان عند مرافقته للفرسان الذين كانوا يمرون للتفتيش على المنطقة مع الجنرال « مارجريت » .

فبعضها يذكرنا بالأعمال التى رواها الكتاب العرب الخاصة بالرجال الذين كانوا يطاردون الغزلان جريا على الأقدام ويسابقون الخيول .

ولا داعى لسرد باقى الحالات الخارقة لهذا الرجل العربى المغربى فهى كثيرة وقد اشتهر المراكشيون أيضاً بأنهم قوم يضطلعون بأشد المهن عنفا . وإلى عهد قريب ، قبل الاحتلال الفرنسى للبلاد ، لم يكن هناك نظام موضوع للبريد بين البلاد الداخلية وتلك التى على الساحل المراكشى ، فكان لدى السلطان العدد الكافى

من الرسل الراكبين لحمل أوامره إلى مختلف البلاد ، كما كان الأعيان ورؤساء الجيش ، وهؤلاء كانوا يعتبرون كسلاطين على الجماعات التي يرأسونها ، يرسلون رسائلهم إلى السلطان بوساطة الفرسان . أما العامة فاذا ما احتاجوا لإرسال رسالة عاجلة لقريب في داخل البلاد ، اضطروا إلى استخدام رسول خاص ، وفي بعض الأحيان كان يشترك عدد من التجار في استخدام رسول مشترك لهم . أما فيما يتعلق بالرسائل غير العاجلة ، فكانوا ينتهزون فرصة سفر صديق أو قريب فيكلفونه إيصال الرسائل وغيرها مما يستطيع حمله .

ويرجع الفضل في إنشاء أول خدمة بريدية خاصة ، إلى تاجر أوربي من «موجادور» ، وكان من كبار المصدرين لمنتجات الجنوب ، وكانت علاقاته عديدة بعاصمة الجنوب وهي مراكش ، وكان عدد الأشخاص الذين يطلبون الانتفاع بمعاملته كبيراً حتى إنه توصل لإنشاء خدمة بريدية نصف أسبوعية ، واصدار طوابع بريد خاصة لذلك ، وكانت النتائج مرضية إلى حد أنه أخذ كبار تجار الساحل يحتذون حذوه شيئاً فشيئاً ، وتلتهم في ذلك الجماعات الأجنبية المقيمة في طنجة ، فقاموا بإنشاء قواعد و محطات أكثر اتساعا لنظام بريدي تام بوساطة الرسل الراكبين خلال البلاد المراكشية بأجمعها . ونشأت بذلك الخدمات البريدية الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية وازدادت قيمة الرسل أهمية ، كما أخذت الحاجة إلى هذا النظام في التراسل تزداد حتى أخذ الجمهور يشترك في الانتفاع بخدماته رغم ما كان يحتمل من الأخطار التي تواجه الرسل في طريقهم . ولما تنبهت الحكومة الشريفية لهذا السبق في الابتكار أنشأت هي الأخرى خدمة بريدية مشابهة ، ولو أنها ظلت في مستوى أقل كثيرا من مثيلتها الأهلية بسبب عدم إخلاص الوسطاء .

وكما هي العادة ، أخذ هذا النظام في الانتشار حتى أصبح في كل مدينة مراكشية

هيئة من الرسل ثابتة التنظيم برأسها « أمين » أو « سنديك » . ولكن لنترك هذه التفصيلات الإدارية جانبا ولنواجه ما يهمنا منها من الناحية الرياضية .

كان الرسل المراكشيون يستخدمون الطريقة التى اتبعها العداؤون من أبناء قبيلة ابن سعدان ، فكانوا يحملون أقل ما يمكن من الوزن سواء فى متاعهم الشخصى أو فيما يحملون من رسائل، وكانوا يحملون نفس أنابيب الغاب ، يضعونها بين الجسم والقميص الذى يلبسون ، وكانت تلك الأنابيب تحوى قطعا من اللحم الجاف أو الحشيش » . ولم تكن بهم حاجة لحمل الماء بالنسبة لأن بلادهم كانت أكثر خصبا من الهضاب العالية الجزائرية ، وهذه الميزة الأخيرة قد وفرت لهم ما يقرب وزنه من ثلاثة كيلوجرامات كانوا يستعيضون عنها بما يوازيها ثقلا من الرسائل . وفى فصل الشتاء ، الذى كان يمتد أحياناً حتى شهر مايو ، كانوا يضطرون لحمل عباءة من المشمع وهى اللباس الوحيد الذى كان يقيهم الأمطار الشديدة فى المنطقة الساحلية والوصول إلى نهاية رحلتهم دون أى تتعرض الرسائل التى يحملونها للتلف . ولا ننسى هنا الإشارة إلى العصا التقليدية التى كانوا يتسلحون بها دائما .

وكان الرسل التابعون لمختلف الهيئات البريدية ، وجميعهم من أصل واحد ، يجتمعون عادة عند بدء الرحلة ليسيروا معاً فى جماعات تكون ذات طريق واحد ، فيتقاسمون المصير ساء أو حسن . وكانوا يستعملون أيضاً طريقة الجبليين من أهل الجزائر فى المشى ، ولكن خطواتهم كانت أكثر اتساعا ، وكان نظام السير يقضى بالاستراحة ساعة كل أربع ساعات حتى نهاية المرحلة . ومعنى ذلك أنهم كانوا يقطعون أحيانا من سبعين إلى مائة وخمسين ميلا فى الرحلة . وكانوا عند وصولهم إلى مكان الاستراحة يستبدل بهم فريق آخر يكون فى انتظارهم (غيار) وكان نظام العمل يقضى بأن يستريح كل رسول يوما كاملا بين كل مرحلتين حسب طول المسافة بين المرحلة والأخرى . وكانت سرعة السير ، بما فيها من فترات الراحة ،

تختلف بنسبة عكسية حسب المسافة المقطوعة . ففي مرحلة طولها أربعون ميلا مثلا ، (كالتي بين طنجه ولاراش) كانت السرعة تزيد قليلا عن ميلين ونصف ميل في الساعة وكانت المسافة كلها تقطع في حوالي ست عشرة ساعة . وفي مرحلة طولها خمسون ميلا (كالتي بين طنجة والقصر) كانت السرعة تهبط إلى حوالي ميلين في الساعة وهكذا . وكانت هذه السرعات المتباينة هي المقياس للأعمال التجارية التي يقوم بها الرسل بأحمالهم التي سبق الإشارة اليها .

وفي خلال السير كانت قطع اللحم التي في أنابيب الغاب أو قطع الحشيش ، تهيء لهم غذاء أكثر قيمة مما كان يهيؤه لهم الدقيق المحموص ، كما كان تأثير الحشيش يجعلهم يسبحون في نوع من الغيبوبة أو التخدير الجزئي مما يجعل المجهود الذي يبذلونه في السير آلياً أو بعبارة أخرى غير إرادي .

وإذا وازنا هذه الرحلات بالتي ذكرها الجنرال «مارجريت» وجدنا أن الظواهر تميل إلى تفضيل العدائين الجزائريين ، ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن هؤلاء لم يكونوا يقطعون مثل تلك الرحلات بأشواط مستمرة بل كانت رحلاتهم عبارة عن مجهودات غير عادية تظهر في مناسبات غير عادية . في حين كان الرسل المراكشيون يقومون بتلك الرحلات بالطريقة السابق شرحها بنظام تام مستمر ويحملون من الأثقال في ظروف جوية أشد وفي بلاد تكثر فيها الحوادث أكثر مما يحمله زملاؤهم الجزائريون .

هذا وفي الحالات العاجلة حينما كان يعتبر النظام البريدي اليومي بطيئا ، كان بعض الأفراد يستخدمون الرسل المتخصصين . وكانوا يتفقون معهم على زيادة السرعة المعتادة ، ولا سيما وهم يحملون ما يقل كثيراً في الوزن عن زملائهم العاديين ، وكان مثل هؤلاء الرسل يسيرون بخطوة رياضية بطيئة ولكنها متسعة ، وكان يطلق على مثل هذه الخطوة في البلاد العربية لفظة « خزات الكلب » أو خطوة

الـكلب ، كما كانت الفترات بين أوقات الراحة أكثر تباعداً . وبذلك كان يستطيع الرسول أن يسير بسرعة متوسطة قدرها أربعة أميال فى الساعة بما فيها من فترات الراحة ، وذلك فى المراحل التى تبلغ من أربعين إلى خمسين ميلا . وتقل هذه السرعة بنسبة تزيد عن ميلين ونصف ميل فى الساعة فى المراحل التى يبلغ طولها مائة وأربعين ميلا . فـكانت المسافة بين طنجه ولاراش تقطع فى عشر ساعات بدلا من ست عشرة ساعة ، والمسافة التى بين طنجه والقصر فى اثنتى عشرة ساعة بدلا من أربع وعشرين . وكانت هذه الرحلات طبيعية ومنظمة فى حين أن الرحلات التى أشار اليها الجنرال مارجريت لم تـكن لتوازيها لو أمكن تنظيمها .

والشىء الذى يستخلص من كل ذلك هو فرق وظيفى فى الطريقة التى يتبعها الجيش المنظم مثلا ، وتلك التى يتبعها المشاة العرب المحترفون . ففى بعض بلاد أوربا مثلا يعترفون عادة بأن المشى السريع يشمل مسافات قصيرة ومتعددة مع توافق سريع ، فى حين أن المشاة والعدائين العرب ، بعـكس ذلك يقطعون مسافات طويلة بتوافق أبطأ نسبياً .

ويلاحظ أنه فى المناطق التى أدخلت فيها السكك الحديدية أو السيارات ، استعملت طرق تراسل أسرع من طرق الرسل المشاة . ومع ذلك فقد ظل استخدام هؤلاء الرسل مستمراً فى مثل تلك المناطق عند مايكون اتساع قضبان السكك الحديدية مما لا تزيد على ستين سنتيمتراً كما يقضى بذلك القانون فى بلاد الجزائر ، لأن القطارات لاتستطيع أن تقطع أكثر من أربعين ميلا فى اليوم الواحد وبذلك أمكن الرسل أن تتفوق عليها كثيراً ، ولما استبدلت القضبان الضيقة بالقضبان العادية ، قضى على هذا التفوق وأصبح استخدامهم مقصوراً على المناطق التى لم تصل إليها السكك الحديدية الحديثة .

وقد ذكر « شاردان » في معرض التـــدليل على الرحلات غير العادية لبعض العدائين ، أنه في أثناء حكم « الشاطر » كان لقب الوصيف السائر للشاه لا يمنحه إلا من يقطع ستا وثلاثين عقدة في اثنتي عشرة ساعة ، أي بسرعة متوسطة قدرها سبعة أميال في الساعة ، وذلك تحت مراقبة فرسان راكبين يصير تنظيمهم على مراحل . وقد أضاف « شاردان » أنه كان من النادر الحصول على أمثلة لتطبيق هذا النظام بإخلاص تام .

الباب التاسع

الرقص

هل يمكن اعتبار الرقص ضربا من ضروب الرياضة ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال لم تثر اختلافا فى فرنسا الى سنوات قليلة خلت ، فقد كان الجميع قبل يجيبون عنه بالنفى ، ولكن الميول الحديثة والتطورات الفكرية جعلت الرقص فى أيامنا هذه فى عداد ضروب الرياضة عند أهل أوربا .

وفى البلاد التى تتكلم بالعربية ، وبخاصة الطوائف الإسلامية ، نجد غموضاً فى الحكم على هذا الضرب من حيث عمومه فكثيرا ما يكون مقصوراً على أحد الجنسين دون الآخر - مع أنه وإن لم يكن هو الوسيلة والمصدر للربح الشخصى - من ألعاب المهارة التى يقوم بها الرجال المتمرنون فقط .

وإن الفكرة التى ترمى إلى جعل الرقص مقصورا على الجنس الضعيف لها استثناءات عديدة ، فهناك الرقص المختلط حيث يشترك الرجال والنساء ، وهناك الرقص الذى يقوم به الرجال وحدهم .

وعلى ذلك فسأتكلم عن الرقص من نواحيه المختلفة وباعتباره ضربا من ضروب الرياضة .

رقص النساء منفردات

فى الشرق

كان رقص النساء منفردات معروفا عند العرب وكانت الرقصات يظهرن أمام المتفرجين فى أبهى حللهن وكن يقمن بأنواع من الرقص كثيرة الشبه بما نشاهده فى هذا العصر (شكل ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨) .

إن النفوذ التركى الأوربى قد أثر إلى حد كبير فى فن الرقص فى الشرق . ففى مسارح القاهرة وبيروت والآستانة لم يعد باستطاعة الراقصة المحترفة ـ وهى عادة مسيحية أو يهودية من أصل عربى أو تركى أو أرمنى ـ أن تجرؤ على الظهور باللباس التقليدى الذى كنا نسر لرؤيتها به . والراقصة السورية التى تلبس ثوبا من ثياب السهر على الطراز الأوربى ، مفتوح الصدر عارى الذراعين ، وقد حلى ببعض الحلى الشرقية ، هى فى الوقت نفسه مغنية وغناؤها لدى الجمهور أهم من رقصها . وهى تستعمل فى الرقص الصنجات المعدنية ، وهى أقراص صغيرة مثبتة فى الإبهام والوسطى بكلتا اليدين وتصدر عنها نغمة معدنية على فترات قصيرة متشابهة ، وهى بعيدة الشبه عن الأصوات المعدنية العنيفة العالية التى تصدر عن الصنجات الإسبانية. والرقص نفسه كالملابس ونغمة الصنجات شديد التراخى والفتور والتشابه، وليست الحركات العنيفة أو طرقات الصنجات أو حركات البطن المثيرة ، هى التى تجعل للرقص أهميته ، إذ أن هذه ليست إلا حركات تؤدى بتراخ ، وغرضها الأساسى إثارة الغرائز الحيوانية. والموسيقى نفسها الصادرة من الناى والكمان ، والقيثاره تؤدى بهذا الفتور والتشابه المستمر ، وهى خالية من العنف الذى يسمو أحيانا بالموسيقى الأندلسية الشائعة فى شمال غرب أفريقا .

وفيما عدا هذه الدائرة التى تشمل المحترفين ، نجد بعض أمثلة لنساء سوريات من الطبقة العليا يوافقن فى ظروف خاصة وفى دائرة محدودة لا تتعدى الأصدقاء على القيام ببعض الرقصات القديمة التصويرية بالملابس الوطنية ، وهن يشعرن تماما بما يمثلنه فى رقصهن من النواحى الفنية الغنية بالتعبير . فالملابس الموشاة بالذهب ، ذات المظهر العادى والألوان الزاهية، والحلى الوطنية ذات الحجم الكبير، واللمعان الساطع ، والأصوات العالية الصادرة من الطبل الذى تضربه الراقصة ـ كل ذلك يكسب الرقص كل مافقده فى الحالة الأولى التى وصفتها ، من صفات وابتكار .



رسم نقش بالألوان المائيــة
يرجع إلى القرن التاسع الميلادي
وقد وجد فى أطلال مدينـة
سامرا بالعراق .

شكل ٦٦



رسم راقصة على علبة من العاج محفوظة
فى متحف مدينة فلورنسة ولعلها من
صناعة مصر أو صقليــة فى القرن
الثالث عشر الميلادى .

شكل ٦٧



شكل ٦٨

رسم مكمل لراقصة على قطعة من الخزف ذى البريق المعدنى

من صناعة مصر فى العصر الفاطمى .

(دار الآثار العربية — القاهرة)

ومجموعة الموسيقين فى هــــذه الحـالة غنية بآلات الطرق والطبـول المختلفـة الشكل والصوت .

ومما لاشك فيه أن الوطنيين (أهالى البلد) يستطيعون أن يميزوا العـديد من خطوات الرقص التى قد تلتبس على الأجنبي ، ولـكن من النادر أن يشبه المنظر ما اصطلح على تسميته فى باريس برقص البطن .

وغير هذه الرقصات التصويرية ، التى قد يختلف فيها عدد الراقصات ، وتضفى تخيلاتهم التاريخية على الرقص نفسه شيئاً من الجدة ، توجد رقصة شعبية فى متناول الجميع ، وهى مدرجة بصفة إجبارية فى جميع برامج الاحتفالات فى سوريا ولبنان ، وهى رقصة « الدبكة » ووصفها كما يلى : تقف ثلاث فلاحات متقاربات فى صف واحد ثم يتقدمن قفزا بخطوات قصيرة ملوحات بشدة بالرجل اليمنى إلى الأمام نحو ثلاث فلاحات أخريات واقفات أمامهن ، وعندما يتقارب الصفان ، يحي بعضهن البعض باحترام تمثيلى ، ثم يتقهقرن إلى الخلف ، وتـكرر هذه الحركة بهذا النظام . ويصاحب هذه الرقصة غناء شعبي يشترك فيه الجميع ويسـاعده توقيع على ناى مزدوج من الغاب . وتؤدى هذه الرقصة عادة ليلا فى الهواء الطلق وتنار الظلمة بأضواء متناثرة مبتـكرة ، فمثلا تعمل حفر صغيرة متقاربة جدا فى الأرض وتملأ من البترول ثم يشعل . وقد وصف « فورماتتين » وصفاً قوياً مناظر من هذا القبيل والتأثيرات القوية التى تحدثها الإضاءة سالفة الذكر .

فى المغرب

إن الرقص التصويرى فى بلاد المغرب قد احتفظ بمظهره الفطرى أكثر مما فى البلاد العربية الأخرى حتى فى المناطق التى قد يـكون لـكثرة السائحين فيها أثر ظاهر . ولو أنه تأثر قليلا من حيث ملابس الرقص واســـتعمال بعض الحلى

الأوربية . ولكن هذا التطور ماهو إلا مرحلة أولى ، ويجب أن نقصد إلى صميم القبائل لدراسة الرقص فى مظهره الحقيقى . فهناك نرى الرقص فى مظهر مختلف قليلا حسب التقاليد العامة المشتركة فى مجموع القبائل . ومثل تلك الصفات هى الافراط فى وسائل الزينة والملابس والحلى والألوان الزاهية والروائح وجمود الوجه بسبب ما أضفى عليه من مساحيق وطبقة الكحل التى تغطى الحاجبين على شكل قوسين يتلاقيان عند مبدأ الأنف والأهداب المسداة فى خفر والأيدى والأرجل عارية ، وقد غطيت بطبقة من الحناء ، والحركات التى تشبه فى اتئادها حركات رجال الدين ، والتوافق الموسيقى العالى المتشابه وآلات الموسيقى نفسها ، المزمار يرافقه الطبل « والدربكة » .

ونجد فى بلاد المغرب بوجه عام ، أن الرقص يقتضى حركات أكثر للأذرع والأيدي التى تجذب أو تدفع حبيباً وهمياً . ولنساء المغرب عادة أذرع غاية فى الجمال ، وأطراف دقيقة تحوطها أساور ثقال وخلاخيل ضخمة حول الكاحل ، وهن يعرفن هذه الصفات فى أنفسهن، ولكنهن على الرغم من ذلك يحتفظن بكثير من النبل والتواضع فى حركاتهن ، مما يعيد إلى الذهن أحياناً رقصات بلاد « أنام » المقدسة .

غير أن بعض هذه الرقصات لا يتجلى فيها هذا القياس وهذا الاعتزاز ونقاء التصوير . وتلك هى الرقصات التى تقبض فيها الراقصة بيديها منديلين كبيرين من الحرير ، تحركهما بالتبادل فى مستوى أفقى، فى حين تطرق على بطنها طرقات غريبة . وهذه الرقصات تلاقى استحساناً كبيراً فى القبائل العريقة فى العروبة ، أو عند المتحضرين وبخاصة فى مراكش . وليس المجال مما يسمح بذكر الأسماء الفنية لهذه الرقصات فهى لن تدلنا على شىء ، وكل ما يذكر عنها أنها أقرب ما تكون شبهاً برقصة البطن المصرية ، غير أنها تمتاز عنها ببعض النشاط الخفى والجاذبية للمشاهدين.

وأحيانا تشمل هذه الرقصات ، كما فى بعض الرقصات الروسية ، حركات دائرية للجذع الغرض منها هز الصدر بشدة . وأخيراً قد تؤدى حركة أخرى مستحسنة جداً وهى تمثيل الثعبان ، بتحريك الرأس ببطء من اليمين إلى اليسار وبالعكس مع محاولة إبقائها رأسية .

وقد تبين أن الرقص فى مراكش هو الأكثر بطأ فى التقدم والأقل قيمة من الناحية الفنية كما أنه أقرب إلى الحيوانية فى تفصيلاته .

ومهما كان نوع الرقص عند العرب ، فإنه يختلف عن الرقص التصويرى فى مختلف البلاد الأوربية ، فى ضآلة خطواته ، وقفزاته التى تتحرك فيها الأرجل بلا ضابط شعورى ، وطبقاً لتوافق ظاهر قليل الضوضاء .

وهذه القفزات الخالية من التلويح أوالحركات تعتمدعلى السيقان أو العضلات السفلى أو المهارة . وكل ما يتحرك هو الأرجل التى تتتابع فى حركاتها ، وتمد الشعراء العرب بما يشبهونه باهتزاز الحمام ، فى حين تتلامس جوانب الكاحلين .

الرقص المختلط

إن الرقص المختلط الذى كان من الأمور الطبيعية لدى الأنسان الأول ، قد ظل قائماً حتى يومنا هذا . ففى بلاد الشرق يقوم المسيحيون من الرجال والنساء ، الذين يتكلمون بالعربية ، برقصة الدبكة بطريقة واحدة ، أى أن كلا من الحلقتين اللتين يتكون منهما فريق الرقص ، تكون إحداهما من النساء والأخرى من الرجال . وفى أثناء السهرات التى تقام فى المدن على الطريقة الأوربية ، كثيراً ما يتذكر الشبان رقصتهم الوطنية ، فيطالبون برقصة الدبكة بعد الانتهاء من رقصة الفوكس تروت أو التانجو . وفى هذه الحالة يجرون بعض التحوير فى الفكرة الأولية للرقصة ، فإن الأزواج الذين يؤدون الرقصة يقفون الواحد وراء الآخر فى دائرة كما هو الحال فى بعض الرقصات الرباعية القديمة .

ويذكر « جوبينو (١) » بعض رقصات مختلطة عند بعض الطوائف التى يمكن اعتبارها من الشيعيين ، ولو أنهم يختلفون عن هؤلاء فى بعض اعتقاداتهم مثل جماعة الأنصارية فى سوريا وفارس . وهذه الرقصات أكثر اختلاطاً عن سابقتها إذ يقف الراقصون من الرجال والنساء بالتبادل ، متشابكى الأيدى فى حلقات مقفلة .

وأشار كثير من الكتاب إلى الرقص المختلط فى بلاد المغرب وبخاصة فى البلاد التى ظلت على حالتها الأصلية .

وفى مراكش لدى قبـــائل « الدكالة » ، يلاحظ « دوتيه » أنهم يؤدون الرقصات المختلطة فى جميع مناسبات الأعياد . فيرقص النساء مختلطات بالرجال مع عدم التقيد بنظام خاص . فأحياناً يرقص رجل وامرأة كل منهما تجاه الآخر ، ويتباريان فى الاقتدار على رقص مدة أطول . وأحياناً يرقصون فى صفوف الواحد وراء الآخر ، النساء فى جهة ، والرجال فى جهة أخرى ، ويبلغ عدد أفراد كل جهة أحيانا نحو الثلاثين . ونرى هذه الطريقة تشبه الدبكة فى سوريا ولبنان .

وفى ضواحى رباط ، على ما أعتقد فى معظم مناطق الإمبراطورية الشريفية ، يقوم البدو برقصة مختلطة يطلقون عليها اسم « هيدوس » إذ يقف حوالى نحو عشرين رجلا وامرأة مختلطين فى صف واحد ، ثم يتقدمون ويتأخرون وهم يقومون بحركات غير منتظمة من حركات البطن والأرداف وتصاحبهم عادة موسيقى هى أقرب ما تكون إلى الضجيج .

رقص الرجال

إن رقص الرجال معروف فى كل مكان ، وبعض أنواعه عبارة عن رقص دينى والبعض الآخر مادى . ومن الأول ما يقوم به طائفة المولوية المشهورين باسم « الدراويش الدائرة » .

---

(١) Gobineau

ومنظر هذه الرقصة أبعد ما يكون عن الجمال . وفى كثير من الطوائف يقوم الراقصون بنوع من التمايل المتزن على نغمات موسيقى عنيفة مصحوبة بترتيلات دينية متكررة ومتزايدة فى الارتفاع حتى إنها لتكاد تصم الآذان . ويصل تأثير هذه الحركات بالراقصين إلى درجة قريبة من الغيبوبة تكفى لكى يقوموا باحراق أجزاء من أجسامهم أو جرحها أو بترها دون أن يشعروا بألم أو يحصل نزيف . وبمثل هذه الطريقة كانوا يحتفلون فى بعض البلاد العربية بذكرى موت الحسين بن على لدى الطوائف الأنصارية والمتولية وغيرها من طوائف الشيعة. ويقابل ذلك فى بلاد المغرب طوائف أهمها العيسوية والحوارشة . وقد ذكر «موليراس» (١) رقصة شائعة لدى « الحداويين » فى« بلاد الريف » ولكنه لم يبين لنا النمط الذى كانت عليه الرقصة ..

وإنا نعلم أن كل هذه الأفعال ، التى نجدها أثراً لدى معظم الشعوب عند ما نتعمق فى تاريخهم الدينى ، أقول إن هذه الأفعال لا أساس لها فى الدين الإسلامى ، وقد كتب كثير من العلماء المجلدات العديدة فى تفسيرها والنهو عنها وإن كان ذلك بدون جدوى ، ولذا لن يفاجأ القارىء عند ما أذكر له أنه فى الرقص الدينى نفسه، لم يتمكن المسلمون من منع اختلاط الجنسين ، ففى مراكش خاصة ينضم كثير من النساء إلى حلقات الرقص والذكر مع الرجال ، ويرقصن معهم وقد تهدلت شعورهن وأخذن يحركن رؤوسهن حتى ليكدن يفقدن التوازن .

ولدى البدو من سكان المغرب ، بعض الرقصات الدينية الأخرى يقوم بها الرجال ويظلون خلالها محافظين على شعورهم واتزانهم . ويقف الراقصون كل ثلاثة أو أربعة منهم فى صف ، ثم يتقدمون أو يتقهقرون نحو صف آخر أمامهم أو خلفهم مع حركات متمايلة للأمام . وفى الوقت نفسه يغنى الراقصون بالدور وبالإجابات مع التكرار . ويرافق الرقص أنغام الناى المصنوع من الغاب فيرتل

---

(١) Mouliéras



شكل ٦٩
رسم راقص على قطعة من العاج ترجع إلى العصر الفاطمى .
وهى محفوظة الآن فى متحف اللوفر بباريس .

بصوت هادىء جميل ومعه طبل أو طبلان . وهذا النوع من الرقص عظيم الشبه برقصة الدبكة وقد انتقلت إلى المحيط الدينى ولكن لايشترك فيها النساء .

وكان رقص الرجال بالمنديل معروفا عند العرب وبخاصة فى عهد الدولة الفاطمية (شكل ٦٩) .

رقصة السيف والتحطيب

وغير الرقص الحقيقى بعض تمرينات تشترك فيها للرقص من صفات وتحتاج لتدريب تام ولا تخلو من الخطر . ومن تلك التمرينات الرقص بالسيف ، وهو معروف فى كل مكان ، ولكنه يظهر فى سوريا على حقيقته الأصلية التى ترجع للعصور الوسطى ، ويقوم به شخصان يمسك كل منهما فى يده اليسرى بالدرع الصغيرة المستديرة من الصلب المحفور بالأشكال الفارسية . وفى اليد اليمنى يمسك كل منهما بسيف عربى بشكل عارضة متوسطة الاتساع ذات حافة مستديرة غير حادة . وتبدأ المباراة بدورات بديعة فى جميع الاتجاهات، ثم يتباعد الخصمان ويتقاربان ويحاول كل منهما الالتفاف بالآخر بقفزات خفيفة ، ويصوب نحو رأس الآخر ضربات

عالية يتجنبها بالسيف أو الدرع . وتتوقف هذه القفزات كلما لمس أحدهما الآخر . وتنحصر المهارة فى هذا التمرين فى السرعة والدقة ، وفى أن تكون اللمسة خالصة ، أى لاتسبب إصابة فعلية أو دواراً ، إذ أن الرأس لا يحميه إلا الطربوش « والكوفيه » الرفيعة الملفوفة حوله . وإليك وصف « شاردان » لهذا النوع من الرقص فى بلاد العجم — « والمبارزة هى تمرين آخر القصد منه الاستعراض والتسلية . وعند ما يصل المتبارزان إلى الميدان يضع كل منهما سلاحه أرضاً عند قدميه . وهذا السلاح هو سيف مستقيم ودرع . ثم يركع الخصمان ويقبلان السلاح ويرفعانه إلى جبهتهما ليلامسها ثم ينتصبان واقفين . وحين تبدأ الموسيقى يبدآن فى القفز ويقومان بالعديد من الحركات ويتخذان كثيراً من الأوضاع بالجسم والذراعين بمهارة عظيمة ، ثم يلتحمان ويتبادلان عدداً من الضربات يتلقيانها بدرعهما ، ويكون الضرب دائماً بحد السيف ، إلا إذا تقاربا جداً فيضربان بسنه. وكثيراً ما تتطور المبارزة إلى التحام عنيف قد يصل إلى حد إراقة الدماء ، ولكن إذا تطور الصدام إلى هذا الحد قام الحكم بإبعادهما » .

وقد وصف « موليپراس » قفزات السيف بدون الدرع لدى « الجبلية » فى مراكش ويؤكد أن المتبارزين كثيراً ما يجرح أحدهما الآخر .

وهناك لعبة التحطيب وهى تامة الشبه بالمبارزة بالسيف ، ولو ان العصا المستعملة أصعب فى الاستعمال بالنسبة لطولها الذى يزيد على مترين . وتعتبر هذه الرياضة لدى « الجبلية » من قبيل المبارزة الفنية ، كما أنها موجودة فى سوريا . وكثيراً ما تعمل حفلات التحطيب فى المواسم .

وهناك نوع آخر من هذا القبيل يقوم فى مراكش على اعتبار أنه أحد الألعاب . وهذا هو « الركلة » أو الرفسة . وهى لفظة لاتطلق عادة إلا فى حالة استعمال قدم واحدة كما تفعل الدابة عند ما ترفس بقدمها فجأة وبدون سابق إنذار .

وتقوم «الجبلية» بلعبة «الركلة» تحت اسم «الرحبة»، وكذا أهل المغرب فى سوس . وفى هـــذه اللعبة لايلبس المتباريان عادة سوى السروال (البنطلون) ويحـــاولان الاقتراب أحدهما من الآخر والالتفاف للوصول إلى وضع يمكنهما من الوقوف على رجل واحدة وتوجيه الأخرى بسرعة لتضرب غريمها فى جانبه أو ظهره . ولما كانت الرجل دائماً عارية ، كان طبعيا أن تكون الضربة بالسطح الخارجى للقدم أو الساق ، وليس من الخلف للأمام كما يفعل الأطفال عند ما يتضاربون . وليس الغرض هو الإيذاء وإنما هو مجرد تسجيل عدد من النقط فى أثناء اللعبة ، ويكون الغالب فى النهاية من حصل على أكبر عدد من النقط . ولذا يحاول كل من المتبارين استخدام أقصى قوة مركزية بالتوازن على قدم واحدة بسرعة كبيرة مع استجماع القوة العضلية للتماسك فى أثناء الرفس .

وخلاصة القول أن لألعاب الرقص أهمية خاصة فى البلاد العربية ، سواء للتدريب على الحرب أو للرياضة فى المواسم والأعياد أو الحفلات «العائلية» أو ما شابه ذلك .

تم بحمـــد الله

أسماء طيور الصيد وحيواناتها

وما يقابلها باللغتين اللاتينية والانجليزية

(الطيور)

الباشق .	Accipiter Nisus. Sparrow hawk.
الباز .	Accipiter Gentilis. Goshawk.
الباز الأشهب .	Accipiter Albidus White Goshawk.
الزرق . الـكوهي .	Elanus Caeruleus. Black-winged kite.
الصقر .	Accipiter. Hawk.
الشرق .	Falcon Cherrug
العقاب .	Aquila. The eagle.
العقاب الرخماء .	Haliaetus Leucocephalus. Bald-headed eagle.
العقاب اللماعة .	Aquila Chrysaetus. Golden eagle.
العقاب الصرارة .	Circaetus Gallicus. Short-toed eagle.
ملك العقبان .	Aquila Heliaca. Imperial eagle.
العقاب البحرية البيضاء الذنب .	Haliaetus Albicilla. White-tailed sea eagle.
العقاب النسارية . الملسوري . الناسوري .	Pandion Osprey.

F. Peregrinus. Peregrine falcon.	الشاهين .
Falco. Subbuteo. Hobby.	الكونج .
Buteo Ferox. Buzzard.	السقاوى .
Larus. Gull.	الزمج . النورس .
Burhinus Oedicnemus. Stone curlew.	الكروان . الكروان الجبلى .
Numenius Arquatus. Common curlew.	كروان الغيط .
Phoenicopterus Ruber Antiquorum. Flamingo.	النحام .
Ammoperdix Heyi. Sand partridge.	الحجل .
Otis. Bustard.	الحبارى .
Pheasant.	الدراج . تدرج .
Lark.	القنبرة .
Eremophila Alpestris. Desert horned lark.	قنبرة الصحراء .
Ammomanes Deserti. Desert lark.	قنبرة البادية .
Galerida Cristata. Crested lark.	قنبرة متوجة .
Crane.	الكركى .
Megalornis Grus Grus. Common grey crane.	الرهو .
Crowned crane.	الغرنوق .

(الحيوانات)

Capreolus. Roebuck or roe deer.	اليحمور .
Oryx Beatrix. Princess Beatrice's antelope.	المهاة . المها .
Cervus dama or Dama Dama. Fallow deer.	الأيل .
Capra Arabica Arabian Ibex.	الوعل .
Ovis Lervia. Bearded Argali.	الأرويه .
He-goat.	التيس .
Lepus Cuniculus. Common rabbit.	عكرشة (أرنب) .
Acinonyx Jubatus. The Cheeta. The Chita. The Hunting Leopard.	فهد الصيد .
Equus Burchelli. Zebra.	الحمار الوحشى.

مراجع الكتاب

١ ـــ الحيوان للجاحظ
٢ ـــ حياة الحيوان للدميرى
٣ ـــ كتاب السلوك للمقريزى
٤ ـــ بلوغ الأرب للألوسى
٥ ـــ مسالك الأبصار للعمرى
٦ ـــ المؤتلف والمختلف للآمدى
٧ ـــ نهاية الأرب للنويرى
٨ ـــ السنن الكبرى للبيهقى
٩ ـــ العمدة لابن رشيق القيروانى
١٠ ـــ الاعتبار لأسامة بن منقذ
١١ ـــ فقه اللغة للثعالبى
١٢ ـــ المخصص لابن سيده
١٣ ـــ خطط الشام لمحمد كرد على
١٤ ـــ نيل الأوطار للشوكانى
١٥ ـــ سبل السلام للصنعانى
١٦ ـــ المهـــذب لأبى اسحاق الشيرازى
١٧ ـــ عيون الأخبار لابن قتيبة
١٨ ـــ العقد الفريد لابن عبد ربه
١٩ ـــ نفح الطيب للعلامة المقرى الأشعرى
٢٠ ـــ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى
٢١ ـــ المدخل لابن الحاج
٢٢ ـــ المستطرف فى كل فن مستظرف للأبشيهى
٢٣ ـــ صبح الأعشى للقلقشندى
٢٤ ـــ مقاتل الفرسان لأبى عبيدة
٢٥ ـــ سراج الليل فى سروج الخيل ليوسف بن فرنسيس الحاج
٢٦ ـــ الخيول وفرسانها للدكتور نجيب بك خورى
٢٧ ـــ اللباب فى الأشباب للدكتور شوكت موفق الشطى
٢٨ ـــ أنس الملا بوحش الفلا لمحمد بن منجلى
٢٩ ـــ حلية الفرسان وشعار الشجعان للعلامة على بن عبد الرحمن بن هديل
٣٠ ـــ كتاب الخيل لمحمد بن محمد
٣١ ـــ مناهج السرور والرشاد فى

الرمى والسباق لعبد القادر
ابن أحمد بن على الفاكهى
٣٢ — نخبة عقد الجياد فى الصافنات
الجياد للأمير محمد باشا
٣٣ — عجائب المخلوقات للقزوينى
٣٤ — معجم الحيوان لأمين المعلوف
٣٥ — معجم البلدان لياقوت الحموى
٣٦ — عقد الجمان لعبيد الله بن
جبريل .
٣٧ — الحجج البينات فى علم
الحيوانات لأحمد ندى
٣٨ — مروج الذهب للمسعودى
٣٩ — الأنيس المفيد للطالب المستفيد
للعلامة المستشرق البارون
سلفستر دى ساسى

٤٠ — أبحاث الأب انستاس
الكرملى فى مجلات لغة العرب
والمقتطف والمشرق والمقتبس
والصفا .
٤١ — رحلة فى الشام وجزيرة العرب
للودوفيكو دى فارثيما .
٤٢ — رسالة أبى اسحق الصابى فى
الصيد .
٤٣ — فضل القوس العربية لمصطفى
الشوربجى الفرحاتى .
٤٤ — الجندية فى الدولة العباسية
للأستاذ نعمان ثابت .
٤٥ — تاريخ التمدن الإسلامى
لجورجى زيدان .
٤٦ — رسالة فى الصيد للدكتور
زكى حسن .

47 — Les Arabes en Syrie avant l'Islam par René Dussaud.

48 — The Renaissance of Islam by Adam Metz.

49 — Gleanings from the Desert of Arabia by Upton.

50 — The Encyclopedia of Islam.

51 — List of Birds of Prey, Cairo 1923 by Major Stanley Folwer, Ex-director of the Zoological Gardens, Guiza.

52 — Traité des simples par Ibn El-Beitar par Lucien Leclère.

53 — In Unknown Arabia by Major R. E. Cheesman.

54 — The Art of War in Mediaeval Ages by Sir Charles Oman.

55 — History of the Arabs by Hitti.

دار النيل للطباعة ت ٥٨٨٥٥



